بيتر ستراوب - ستيفن كينج

التعويذة

الجزء الرابع - التعويذة

ترجمة: منى عبد اللطيف

سما للنشر والتوزيع

سادر الكتب

© 2026، سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ج.م.ع.

تحذير: هذا المؤلف محمي بموجب قوانين حقوق التأليف والطبع والنشر والاتفاقيات الدولية، ولا يجوز استنساخ أي جزء منه أو تخزينه في نظام استرجاع أو نقله بأي شكل أو بأي وسيلة، إلكترونية أو ميكانيكية أو تصوير أو تسجيل أو غير ذلك دون إذن مُسبق من الناشر، وأي نسخ أو توزيع غير مُصرح به كتابيًّا من الناشر لهذا المؤلف أو لجزء منه، قد ينتج عنه الملاحقة القانونية المدنية والجزائية إلى أقصى حدود القانون.

إشراف عام: نجلاء محمد رضا قاسم

اسـم الـكـتـاب: التعويذة ج 4
اسـم المؤلـف: بيتر استوب - ستيفن كينج
اسـم المترجم : منى عبد اللطيف
النـاشـر: سما للنشر والتوزيع
إخـراج داخـلى : محمد على حنفى
الترقيـم الـدولى: 978-977-781-849-0
رقـم الإيـداع: 2026/4570

دار سما للنشر والتوزيع
15 يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهرة - ج.م.ع.
تليفون: 24517300 202+ / 01271919100 2+
email: samanasher@yahoo.com

الفصل الرابع والثلاثون

أندرس

1

فجأة أدرك جاك، رغم أنه ما زال يركض، أنه كان يركض في الهواء، كشخصية كرتونية لا تملك سوى لحظة واحدة من دهشة الوعي قبل أن تسقط من ارتفاع ألفي قدم مباشرة نحو الأسفل.. لكنه لم يكن على ارتفاع ألفي قدم، بل إنه امتلك وقت ليعي أن الأرض لم تعد تحت قدميه، ثم سقط من ارتفاع يكاد يكون أربعة أو خمسة أقدام وهو مستمر في الركض! ترنح قليلاً وكاد أن يحتفظ بتوازنه، لكن ريتشارد اندفع نحوه فسقطا معًا متدحرجين.

«احذر، جاك!» صرخ ريتشارد ولم يبدو أنه ينوي اتباع نصيحته الخاصة، إذ اغمض عيناه بشدة.. «احذر الذئب! احذر السيد دوفري! احذر...»

«كفى يا ريتشارد!» تلك الصرخات التي الخانقة أرعبته أكثر من أي شيء آخر.. بدا ريتشارد كالمجنون، مجنون حقًا..

«توقف، نحن بخير! لقد رحلوا!»

«احذر إثيريدج! احذر الحشرات! احذر، جاك!»

«ريتشارد، لقد رحلوا! انظر حولك، من أجل جاسون!» لم تتح له فرصة أن ينظر بنفسه، لكنه أدرك أنهما نجيا فالهواء

ظل ساكنًا عذب الشذى، والليل هادئ تمامًا إلا من نسيمٍ رقيق دافئ.

«احذر، جاك! احذر، جاك! احذر، احذر...»

تردد صدى خاطئ داخل رأسه، حيث تذكر صياح فتيان الكلاب خارج منزل نلسون وهم يرددون رافعين أصواتهم برجاء متوتر، ونداءات لحوحة متعاقبة

«احذر، جاك!» صاح ريتشارد بمرارة، غاضًا بصره للأرض، ويبدو عليه الحماس المفرط كما لو كان مسلمًا متشددًا يرغب بإرضاء الله. «احذر! الذئب! المفتشون! المدير! احذر...»

وفي ذعر من احتمال أن يكون ريتشارد قد جن فعلاً، أمسك جاك برأس ريتشارد من خلف ياقة سترته وصفع وجهه.

انقطع كلام ريتشارد فجأة، نظر إليه مفتوح الفم مندهشًا، وقد تجلى على خده الأثر الأحمر للصفعة، تلاشى خجل جاك وحل محله فضول مستعجل لمعرفة مكانهما بالضبط.. كان هناك ما يكفي من الضوء ليظهر ذلك الأثر.

أجابه إحساس داخلي جزئي عن السؤال بل يقينيًا لا يقبل الجدل... على الأقل قد بلغ الحدوده.

«الحدود، جاكي.. أنت الآن على الحدود.»

قبل أن ينصرف للتفكير، كان عليه أن يهتم بريتشارد.

«هل أنت بخير، ريتشي؟»

نظر إليه مصدومًا ومتألمًا.. «لقد ضربتني، جاك.»

«نعم لقد صفعتك من هول ذعرك..»

«لم أكن مذعورًا! لم أكن أبدًا مذعورًا في حياتي...» توقف فجأة وقفز واقفًا ناظرًا حوله بقلق..»الذئب! علينا الحذر من الذئب يا جاك! إذا تجاوزنا السياج فلن يستطيع اللحاق بنا!»

كاد ينطلق نحو الظلام صوب السياج الشائك الذي كان الآن في عالم آخر، لولا أن جاك أمسك به وأوقفه.

«الذئب رحل يا ريتشارد.»

«ماذا؟»

«لقد نجونا.»

«عمّا تتحدث؟»

«الأراضي الحدودية، ريتشارد! نحن في الأراضي الحدودية! لقد قلبنا المسار!»

وأردف جاك في نفسه وهو يفرك كتفه المتألم «وكدت أن تخلع ذراعي من مفصلها، أيها المشكك.. في المرة القادمة سأجرب أن أسحب طفلًا صغيرًا مازال يؤمن بسانتا كلوز وأرنب عيد الفصح.»

«هذا هراء،» قال ريتشارد ببطء.. «لا وجود لما يسمى بالأراضي الحدودية، جاك.»

«إن لم تكن،» أجاب جاك بجدية، «فكيف لهذا الذئب الأبيض

العظيم ألا يجهز عليك؟ أو على مديرك الحقير؟»

تأمل ريتشارد جاك، فتح فمه ليقول شيئًا، ثم أغلقه، نظر بتمعن حوله (على الأقل باهتمام أكثر هذه المرة)، فعل جاك الشيء ذاته، مستمتعًا بدفء ونقاء الهواء.. قد يندفع مورغان وجماعته من المجانين في أية لحظة، لكن الآن كان من المستحيل ألا ينعم بفرح العودة إلى هنا.

كانا في مرج بديع من أعشاب صفراء طويلة، بأعناق مشعرة ليست قمحًا، لكنها شبيهة بالقمح، نوع من الحبوب الصالحة للأكل على الأقل... انبسطت في كل الاتجاهات تحت ظلام الليل. مر النسيم الدافئ بين العشب محدثًا تموجات غامضة وجميلة، على الجانب الأيمن، هناك مبنى خشبي على نتوء صغير، أمامه عمود يحمل مصباحًا يشتعل بشعلة صفراء ساطعة بالكاد يمكن النظر إليها مباشرةً.

رأى جاك أن المبنى ذو شكل مثمن الأضلاع، كان الصبيان قد دخلا الأراضي الحدودية عند الحافة الخارجية للدائرة الضوئية التي يصدرها ذلك المصباح، وعلى الجانب الآخر من الدائرة، هناك شيء معدني يلمع بفعل ضوء المصباح في ومضات متقطعة.. رمق جاك ذلك الوهج الفضي، ثم فهم.. لم يكن شعورًا بالدهشة بقدر ما كان إدراكًا لتلاقٍ كان ينتظره، كأن قطعتين ضخمتين من أحجية صور، إحداهما في الأراضي الأمريكية والأخرى هنا، قد تآلفتا بتناغم.

إنها قضبان السكة الحديدية.. ورغم استحالة تبيّن الاتجاه

في الظلام، ظن جاك أنه يعرف ما هو الاتجاه الذي تتجه إليه تلك القضبان..

غرباً.

صاح جاك

«هيا بنا.»

فقال ريتشارد

«لا أريد الصعود إلى هناك.»

سأله جاك

«لمَ لا؟»

أجابه ريتشارد وهو يبلل شفتيه

«الكثير من الجنون يحيط بنا، قد يكون هناك كل شيء في ذلك المبنى.. كلاب أو أشخاص مجانين أو...»

بلل شفتيه مرة أخرى وأضاف «حشرات.»

قال جاك

«لقد أخبرتك، نحن الآن في الأراضي الحدودية، الجنون كله قد تلاشى هنا الجو نقي يا ريتشارد، ألا تشمه؟»

تمتم ريتشارد بصوتٍ ضعيف

«لا وجود لما يسمى بالأراضي الحدودية.»

قال جاك

«انظر حولك.»

قال ريتشارد

«لا.» وكان صوته أرق من أي وقت مضى، صوت طفل عنيد يثير الاستفزاز.

غرز جاك يده في قبضة من العشب الكثيف ذو الرؤوس المشعرة وقال

«انظر إلى هذا!»

التفت ريتشارد برأسه تجاهه.

كاد جاك يزحف عليه ليهزه، لكنه بدلاً من ذلك رمى العشب بعيدًا، وعد في سره حتى العشرة، ثم بدأ بالصعود إلى التل، عندما نظر إلى الأسفل رأى أنه يرتدي ما يشبه سروال جلديًا واقيًا، ويرتدي ريتشارد ملابس مشابهة، وحول عنقه منديلًا أحمر يشبه ما تراه في لوحات فريدريك ريمينغتون، لمس جاك عنقه فوجد منديلًا مشابهًا، ثم مرر يده على جسده ليكتشف أن معطف مايلز بيه كيغر الدافئ أصبح الآن شبيهًا بسترة مكسيكية من الصوف، فابتسم محدثًا نفسه»أراهن أنني أبدو كإعلان لتاكو بيل.»

كسى الذعر وجه ريتشارد عندما بدأ جاك بالصعود، تاركًا إياه وحيدًا عند القاع.

نادى ريتشارد

«إلى أين أنت ذاهب؟»

عاد جاك إليه، وضع يديه على كتفيه ونظر إلى عينيه بجدية قائلاً

«لا يمكننا البقاء هنا.. لابد أن بعضهم رأينا ونحن ننتقل، قد يكونون عاجزين عن اللحاق بنا، أو قد يكونون قادرين.. لا أعرف.. أعرف عن قوانين هذا المكان بقدر ما يعرف طفل في الخامسة عن المغناطيس وكل ما يعرفه الطفل أن المغناطيس أحيانًا يجذب وأحيانًا يصد، لكن هذا يكفي الآن.. علينا أن نغادر المكان هنا.. نهاية الحديث.»

تمتم ريتشارد

«أنا أحلم بهذا كله، أعلم أنني كذلك.»

أشار جاك إلى المبنى الخشبي المهترئ قائلاً

«يمكنك المجيء أو الإقامة هناك، وإن أردت البقاء، سأعود إليك عندما أتفحص المكان.»

قال ريتشارد بنظرة فارغة وعينين عاريتين من النظارات

«لا شيء من هذا يحدث حقًا نظرتي إلى السماء الغامقة للأراضي الغريبة هذه، مع تفرعات النجوم الغريبة وغير المألوفة، جعلتني أرتعد وأبعد نظري.. لدي حمى.. الأمر إنفلونزا.. هناك الكثير من الإنفلونزا مؤخرًا.. هذا كله هذيان.. أنت ضيف في هذياني، يا جاك.»

رد جاك مبتسمًا

«عندما تتاح لي الفرصة، سأرسل أحدًا إلى نقابة ممثلي الهذيان مع بطاقة عضويتي في اتحاد الفنانين، وحتى ذلك الحين، لماذا لا تبقى هنا، ريتشارد؟ إذا لم يكن شيء من هذا يحدث، فلن يكون لديك ما يدعو للقلق.»

عاد جاك للصعود مجددًا، معتقدًا أنه إن خاض محادثات الأخرى مثل هذه مع ريتشارد، سيقنعه أنه مجنون أيضاً.

وحين تجاوز نصف مسافة صعوده للتل انضم إليه ريتشارد.

قال جاك

«كنت سأعود إليك لو بقيت.»

رد ريتشارد

«أعلم، لكن فكرت أنه من الأفضل أن أرافقك طالما أن كل هذا حلم.»

قال جاك باسمًا

«حافظ على صمتك إذا كان هناك أحد في الأعلى.. أظن أنني رأيت أحدًا ينظر إلي من نافذة في مقدمة المبنى.»

سأله ريتشارد

«ما الذي ستفعله؟»

أجابه جاك

«سنتصرف حسب الموقف يا ريتشي بوي.. هذا ما أفعله

منذ غادرت نيو نزل قصر الحمراء... أتصرف حسب الموقف.»

3

وصلوا إلى الشرفة فأمسك ريتشارد بكتفي جاك مذعورًا.. استدار جاك نحوه بتعب؛ وأمسك ريتشارد القوى والمشهور في كانساس سيتي والذي استحال لشيء آخر سرعان ما شكّل عبء على جاك...

الذي سأله

«ماذا هناك؟»

رد ريتشارد

«هذا حلم بالتأكيد، ويمكنني إثبات ذلك.»

سأله جاك

«كيف ذلك؟»

رد ريتشارد

«لم نعد نتحدث الإنجليزية يا جاك! نتحدث لغة ما، ونتحدثها بإتقان تام، لكنها ليست الإنجليزية!»

قال جاك

«نعم، غريب، أليس كذلك؟»

ثم بدأ يصعد الدرج مجددًا، تاركًا ريتشارد يقف في الأسفل، فاغر الفم بدهشة.

4

بعد لحظات، استعاد ريتشارد وعيه وتسلق خلف جاك، كانت الألواح مهتزة ومرتخية وتفيض بالشظايا، قد نبتت سيقان من ذلك العشب القبّي المثقل بالرؤوس عبر بعض الفتحات في الظلمة العميقة، استطاع الصبيين سماع أزيز الحشرات النعسان... لم يكن صوت صرير الجنادب بل أكثر حلاوة... فكل شيء يبدو أجمل هنا، هكذا ظن جاك.

أصبح المصباح الخارجي خلفهما الآن؛ وظلالهما امتدت أمامهما على الشرفة ثم انعطفت بزوايا قائمة لتتسلق الباب، الذي غُلقت عليه لافتة قديمة باهتة، بدا للوهلة الأولى أنها مكتوبة بحروف سيريالية غريبة، لا يمكنك تبيّنها كالروسية، لكنها اتضحت، والكلمة لم تكن مفاجئة «محطة».

كاد جاك أن يخبط الباب بيده، لكنه هز رأسه قليلاً.. لا، لن يطرق.. إنه ليس مسكنًا خاصًا؛ اللافتة تقول «محطة»، وهذه كلمة مرتبطة بالمباني العامة... أماكن انتظار حافلات جرايهاوند وقطارات أمتراك، مناطق التحميل في سماء أصدقاء السفر.

دفع الباب ليُفتح، خرج إلى الشرفة ضوء لطيف وصوت غير ودود معًا.

«ابتعد، أيها الشيطان!» صاح ذلك الصوت المبحوح.. «ابتعد، سأذهب في الصباح! أقسم! القطار في الكوخ! ابتعدوا! لقد

وعدت أن أرحل وسأرحل، الآن ارحل... ارحل ودعني في سلام!»

كشر جاك عبوسًا، فتح ريتشارد فمه في دهشة؛ الغرفة نظيفة لكنها قديمة جدًا.. الألواح مهتزة لدرجة أن الجدران بدت وكأنها تتحرك، على حائط واحد، علقت لوحة لعربة خشبية تشبه في حجمها سفينة صيد الحيتان تقريبًا.

كان هناك منضدة قديمة، سطحها المموج شبيه للجدران، تمتد عبر منتصف الغرفة وتقسمها إلى نصفين، خلفها، على الحائط البعيد، كانت هناك لوحة طباشيرية داخلها جدول مكتوب على أحد أعمدته «وصول العربة» وعلى الآخر «مغادرة العربة». نظر جاك إلى تلك اللوحة القديمة وخمن أنها كانت مهجورة لفترة طويلة؛ واعتقد أنه لو حاول أحد أن يكتب عليها بطبشورٍ ناعم، لتشظت وسقطت على الأرض المهترئة.

على جانب المنضدة وقفت أكبر ساعة رملية رأها جاك على الإطلاق بحجم زجاجة شامبانيا كبيرة، امتلئت برمال خضراء.

قال الرجل العجوز المرتجف، راجيًا

«دعوني وشأني، ألم تسمعوا؟ لقد وعدت أن أرحل، وسأفعل! أرجوك مورغان، أتوسل رحمتك! لقد وعدت، وإن لم تصدقني، انظر في الكوخ! القطار جاهز، أقسم أن القطار

جاهزا!»

استمر الرجل الكبير في التكلم بنبرة مرتبكة.. مقرفصًا في الزاوية اليمنى البعيدة من الغرفة.

خمن جاك أن طوله لا يقل عن ستة أقدام وثلاثة إنشات، حتى في وضعه المنحني، وكان سقف المحطة المنخفض لا يبعد أكثر من أربع بوصات فوق رأسه، قد يكون عمره سبعين عامًا، أو ربما ثمانين ويحافظ على هيئته جيدًا، كانت لحيته البيضاء الثلجية تبدأ من تحت عينيه وتنساب إلى صدره كرذاذ من الشعر الناعم، ذو أكتاف عريضة محنية بانكسار، كما لو أن سنوات من حمل الأثقال قد هشمت عظامه.

لديه تجاعيد عميقة حول عينيه وندبات كست جبينه، بشرته صفراء شمعية، وقد ارتدى تنورة اسكتلندية بيضاء مشبكة بخيوط قرمزية مشرقة، وبدا واضحًا أنه خائف حتى الموت.. يلوح بعصاه القوية لكن بلا هيمنة أو قدر ضئيل من الهيبة.

نظر جاك بسرعة إلى ريتشارد عندما ذكر الرجل العجوز اسم والد ريتشارد، لكن ريتشارد لم يكن منتبه لمثل هذه التفاصيل.

قال جاك أثناء تقدمه نحو الرجل العجوز

«أنا لست من تظن.»

صرخ الرجل العجوز

«ابتعد! لا مزاح! أدرك أن الشيطان قد يتخذ وجهًا لطيفًا! ابتعد! سأرحل! القطار جاهز لصباح الغد! قلت ذلك وأعني ذلك، فابتعد، ألا تستطيع؟»

تحولت حقيبة الظهر الخاصة بجاك إلى حقيبة كتف معلقة على ذراعه،

حين اقترب جاك من المنضدة، عبث في الحقيبة ودفع المرآة وعددًا من أصابع النقود جانباً، وقبض بأصابعه حول ما يريد وأخرجه.. كانت القطعة النقدية التي أعطاها له القبطان فارين منذ زمن بعيد، القطعة التي على أحد وجهيها صورة الملكة وعلى الآخر الغريفون(1)، دفعها بقوة على المنضدة، مرة أخرى أصابه الدهشة من الشبه الكبير بين تلك الملامح وملامح والدته..

«هل هما بالفعل متشابهتين بهذا القدر منذ البداية؟ أم أنّي فقط أرى أوجه الشبه أكثر كلما فكّرت فيهما؟ أم أنّي في الواقع أجمع بينهما بطريقة ما، أجعلهما واحدًا؟

تراجع الرجل العجوز إلى الوراء أكثر مع اقتراب جاك، بدا وكأنه قد يدفع نفسه عبر جدار المبنى.. تدفقت كلماته في هذيان هستيري.. ولكن عندما رمى جاك القطعة النقدية على المنضدة مثل شرير في فيلم غربي يطالب بمشروب، توقف فجأة عن الكلام، نظر إلى القطعة، وعيناه تتسعان، وزوايا فمه ترتعش.

رفع عيناه إلى وجه جاك ورآه حقًا لأول مرة.

هامسًا بصوت مرتجف

«جيسون.»

اختفت سخرية الرجل القديمة، وأصبح يرتجف ليس خوفًا بل من إعجابًا..

«جيسون!»

قال جاك

«لا، اسمي...» ثم توقف ليدرك أن اللفظ الذي سيخرج بهذه اللغة الغريبة لن يكون «جاك» لكن...

«جيسون!» صرخ الرجل العجوز وخرّ على ركبتيه.

«جيسون، لقد أُتيت! جئت وسوف يصير كل شيء على ما يرام، نعم، كل شيء سيكون على ما يرام، وكل الأمور ستكون على خير ما يرام!»

قال جاك

«مرحبًا.»

رد الرجل

«مرحبًا، جيسون جئت وستكون الملكة بخير، نعم، كل الأمور ستكون على خير ما يرام!»

جاك، الذي لم يكن مستعدًا لمواجهة هذا التعبير العاطفي

الباكي مثل استعداده للتعامل مع الخوف والتصلب من حارس المحطة العجوز، التفت إلى ريتشارد... لكنه لم يجد منه أي مساعدة.. حيث رآه ممددًا على الأرض بجانب الباب، إما نائمًا أو يدّعي النوم بطريقة مثالية.

تأوه جاك

«يا إلهي.»

جثا الرجل العجوز على ركبتيه، يثرثر ويبكي، بدأ الموقف يتحول سريعًا من مجرد سخافة إلى كوميديا وجودية.. وجد جاك قسمًا قابلًا للطى وذهب خلف المنضدة.

قال جاك

«قم، أيها الخادم الصالح الأمين.» وتساءل بشكل سوداوي إذا كان المسيح أو بوذا قد واجهوا مثل هذه المشاكل من قبل.. «قف على قدميك، يا رجل.»

بكى الرجل العجوز

«جيسون! جيسون!»

غطى شعره الأبيض قدمي جاك داخل الصندل بينما انحنى ليقبلهما ولم تكن قبلات خفيفة، بل كانت قبلات عميقة وعاطفية، كما في مشهد لنعش في مخزن التبن، ما جعل جاك يضحك بلا حول ولا قوة..

لقد نجيا من إلينوي وهما الآن في محطة مهترئة وسط

حقل هائل من الحبوب التي ليست قمحًا تمامًا، في الأراضي الحدودية، وريتشارد نائم بجوار الباب، والرجل العجوز الغريب يقبل قدمي جاك، ولحيته تدغدغهما.

صاح جاك وهو يضحك

«انهض! أيها الخادم الأمين! انهض! هذا يكفي!»

صرخ الرجل

«جيسون!» صفعة! «كل شيء سيكون على ما يرام!»

صفعة.. صفعة!

فكر جاك ضاحكًا ودموعه تتجمع بينما يقبل الرجل أصابع قدميه من خلال الصندل

«لم أكن أعلم أن روبرت بيرنز يُقرأ هنا في الأراضي الحدودية، لكن يبدو أنهم يفعلون...»

صفعة..صفعة..صفعة!

«كفى!» صاح بأعلى صوته، وأخيرًا وقف الرجل العجوز أمامه مرتجفًا ويبكي، غير قادر على أن ينظر في عيني جاك.. لكن كتفيه العريضين رفعا قليلاً، وتخلصا من مظهر الانكسار، وشعر جاك بسعادة غامضة من أجل ذلك.

5

استغرق الأمر ساعة أو أكثر قبل أن يتمكّن جاك من إدارة حديث متماسك مع الرجل العجوز..

كانوا يبدأون بالكلام، ثم ينطلق أندرس، الذي كان يعمل في خدمة النقل، في واحدة من هجماته المعتادة من نوع «أوه جيسون... يا جيسوني... يا عظيم الشأن!»، وعلى جاك أن يهدئه بأسرع ما يمكن... بالتأكيد قبل أن تبدأ مراسم تقبيل القدمين مجددًا.. ومع ذلك، أحب جاك الرجل العجوز، وتعاطف معه، فلم يكن عليه سوى تخيّل شعوره لو ظهر يسوع أو بوذا في مغسلة سيارات محلية أو في طابور الغداء المدرسي... معترفًا بحقيقة واضحة أن جزءًا منه لم يكن مندهشًا تمامًا من تصرّف أندرس.. فعلى الرغم من شعوره وكأنه جاك، بدأ يشعر أكثر فأكثر... وكأنه الآخر.

لكنه قد مات...

كانت هذه الحقيقة؛ حقيقة لا جدال فيها.. مات جيسون، وربما كان مورغان من أوريّس له دور في موته، لكن أناسًا مثل جيسون، ليس لعودتهم سبيل؟ أليس كذلك؟

اعتبر جاك الوقت الذي قضاه لجعل أندرس يستغرق في الحديث قد سار على نحو جيد، ليس فقط لأنه سمح له بالتأكد من أن ريتشارد لم يكن يتظاهر؛ وأنه عاد فعليًا للنوم مجددًا.. وكان هذا جيدًا، بل لأن لدى أندرس الكثير ليقوله عن

مورغان.

مرة قال «لقد كانت هذه آخر محطة في العالم المعروف... وعُرفت باسم له وقع جميل ‹محطة الطليعة›، بعد بلوغ هذا الحد، يصبح العالم مكانًا وحشيًا.»

سأله جاك «وحشيّ كيف؟»

أشعل أندرس غليونه، ناظرًا في الظلام، وبدا وجهه كئيبًا.. ثم قال «لا أعلم.. هناك قصص عن الأراضي المدمّرة، لكن كل واحدة تختلف عن الأخرى، ودائمًا تبدأ بشيء مثل: ‹أعرف رجلًا التقى برجل ضلّ على حافة الأراضي المدمّرة لثلاثة أيام وقال...› لكني لم أسمع قط قصة تبدأ: ‹ضعت على حافة الأراضي المدمّرة لثلاثة أيام وأقول...› هل تدرك الفرق، يا سيدي جيسون؟»

أجاب جاك ببطء «أدركه..»

«الأراضي المدمّرة...» مجرد نطق الاسم تسبب في رفع شعيرات ذراعيه ورقبة عنقه.. «لا أحد يعرف حقًا ما هي؟»

قال أندرس «ليس على وجه اليقين.. لكن حتى لو صح ربع ما سمعته...»

سأل جاك «ماذا سمعت؟»

أجاب أندرس «أن هناك وحوشًا هناك تجعل ما في مناجم أوريّس يكاد يبدو طبيعيًا.. هناك كرات نارية تتدحرج عبر التلال والأماكن الخالية، تاركة وراءها آثارًا سوداء طويلة...

والآثار تبدوا سوداء في النهار على أي حال، لكنها تتوهج ليلًا، وإذا اقترب أحد كثيرًا من تلك الكرات النارية، يمرض مرضًا فظيعًا.. يفقد شعره، وتظهر قروح في جسده كله، ثم يبدأ في القيء؛ وربما يتحسّن، لكن غالبًا ما يظل يتقيأ حتى تتمزق معدته وينفجر حلقه ثم...»

وقف أندرس فجأة وقال «مولاي! لماذا تبدو هكذا؟ هل رأيت شيئًا من النافذة؟ هل رأيت شبحًا على تلك القضبان المزدوجة الملعونة؟»

فكر جاك «تسمم إشعاعي.. إنه لا يعلم عنه شيئا، لكنه وصف أعراض التسمم الإشعاعي بدقة تقريبًا.»

كانوا قد درسوا الأسلحة النووية وعواقب التعرض للإشعاع في مقرر العلوم الفيزيائية في السنة السابقة، وبما أن والدته كانت على الأقل مشاركة بشكل غير مباشر فى حركة تجميد الأسلحة النووية ومنع انتشار محطات الطاقة النووية، فقد كان جاك يولي الموضوع اهتمامًا بالغًا.

كم تناسب التسمم الإشعاعي مع فكرة الأراضي المدمّرة! ثم أدرك شيئًا آخر. الغرب هو المكان الذي أجريت فيه الاختبارات الأولى حيث تم تعليق نموذج قنبلة هيروشيما على برج ثم تم تفجيرها، حيث دُمرت أحياء كاملة لتقدير تأثير الانفجار النووي وحرائقه، وفي النهاية عادوا إلى يوتا ونيفادا، بين آخر الأراضي الأمريكية الحقيقية، واستمروا في الاختبارات تحت الأرض.. لقد علم أن هناك الكثير من أراضي

الحكومة في تلك الصحارى، وتلك التجارب لم تقتصر على القنابل فقط.

كم من تلك الأمور كان سلوات سيجلبها إلى هنا لو ماتت الملكة؟ وكم منها جلبه بالفعل؟ هل كانت هذه المحطة جزءًا من شبكة النقل لذلك؟

قال أندرس بقلق «لا تبدو جيدًا، يا مولاي، على الإطلاق.. تبدو شاحبًا كالورقة، أقسم أنك كذلك!»

قال جاك ببطء «أنا بخير.. اجلس.. واصل حديثك.. وأشعل غليونك، فقد انطفأ.»

أخذ أندرس غليونه، وأشعله مجددًا، وحول نظره من جاك إلى النافذة مرة أخرى... وكان وجهه هذه المرة ليس كئيبًا فحسب، بل هزيلًا من الخوف.. وقال «لكني سأعرف قريبًا إن كانت القصص صحيحة، على ما أظن.»

سأل جاك «لماذا؟»

أجاب أندرس «لأنني سأبدأ عبور الأراضي المدمّرة صباح الغد، عند أول خيط من خيوط شمس الصباح.. سأقود آلة مورغان الشيطانية في ذلك الكوخ، حاملاً أعمال الشيطان التي لا يعلم نوعها سوى الله.»

حدّق جاك فيه، قلبه ينبض بشدة، ودمه يزمجر في رأسه.

سأل «إلى أين؟ كم المسافة؟ إلى المحيط؟ الماء الكبير؟»

أومأ أندرس ببطء «نعم، إلى الماء.. و...» هان صوته فاستحال لهمس خائر القوى، ودارت عيناه نحو النوافذ المظلمة، كما لو كان يخشى أن شيء بلا اسم يتربص هناك، يراقب ويتجسس.

ثمأضاف «وهناك سيلتقي بي مورغان، وسنستلم بضائعه.»

سأل جاك من جديد «إلى أين؟»

أجاب أندرس بصوت خفيض مرتجف «إلى الفندق الأسود.»

6

اجتاحت جاك رغبة جامحة في الانفجار مرة أخرى بقهقهات صاخبة، بريّة، لا يمكن كبحها.. الفندق الأسود بدا كعنوان رواية غامضة مثيرة! ومع ذلك... ورغم ذلك... كل هذا لم يبدأ سوى في الفندق، أليس كذلك؟ فندق قصر الحمراء في نيوهامشير، على ساحل الأطلسي.. هل هناك فندق آخر، ربما حتى فندق قديم كبير على الطراز الفيكتوري، يطل على ساحل المحيط الهادئ؟ هل من المفترض أن تنتهي مغامرته الطويلة والغريبة هناك؟ في ما يشبه قصر الحمراء، ذات مدينة ملاهي رثة قريبة؟ أثرت فيه هذه الفكرة بشدة؛ بطريقة غريبة، لكنها دقيقة، بدت أنها تجسد فكرة النظائر وتوائمهم...

«لماذا تنظر إليّ هكذا، يا مولاي؟»

بدت نبرة أندرس مضطربة ومتوترة. أشاح جاك بعيدًا بنظره بسرعة.. «آسف،» قال. «كنت فقط أفكر.»

ابتسم جاك ابتسامة مطمئنة، وردّ رجل النقل بابتسامة مترددة.

«وأتمنى لو توقفت عن مناداتي بذلك.»

«مناداتك بماذا، يا مولاي؟»

«بمولاي.»

«بمولاي؟» بدا أندرس مرتبكًا.. لم يكن يكرر ما قاله جاك، بل كان يطلب توضيحًا.. شعر جاك أنه إذا حاول المضي في هذا النقاش، سينتهي به الأمر في منتصف مشهد كوميدي من نوع «من على الأول؟ وما على الثاني؟».

«لا يهم،» قال جاك، وانحنى للأمام.. «أريدك أن تخبرني بكل شيء.. هل تستطيع فعل ذلك؟»

«سأحاول، يا مولاي،» تمتم أندرس.

7

تسربت كلماته ببطء في البداية..

كان رجلاً أعزب قضى حياته كلها في محطات الطليعة ولم يعتد على الكلام في غالبية الأوقات.. والآن طُلب منه أن يتحدث على يد صبي يعتبره على أقل تقدير من العائلة الملكية، وربما حتى شيئًا أشبه بالإله! لكن، شيئًا فشيئًا، بدأت كلماته تأتي بسرعة أكبر، وبنهايات غير حاسمة لحكاياته لكنها مثيرة جدًا للتفكير، تدفقت الكلمات تقريبًا بلا توقف.. لم يجد جاك صعوبة في متابعة الحكاية رغم لكنة الرجل، والتي كان عقله يترجمها باستمرار إلى ما يشبه لكنة روبرت بيرنز الزائفة.

كان أندرس يعرف مورغان لأن مورغان، بكل بساطة، كان سيد محطات الطليعة.. لقبه الحقيقي، مورغان من أوريّس، لم يكن فخمًا هكذا، لكن من الناحية العملية، كادا أن يتساويان.. أوريّس هو المعسكر الشرقي الأبعد لمحطات الطليعة، والجزء المنظم حقًا والوحيد من تلك المساحة الكبيرة المغطاة بالعشب. وبما أنه يحكم أوريّس بالكامل، فقد رضخت بقية محطات الطليعة لسلطته بحكم الواقع.. كذلك، بدأ الذئاب السيئون يتجمعون حول مورغان خلال ما يقرب الخمسة عشر عامًا الماضية، في البداية لم يكن لذلك معنى كبير، لأن هناك عدد قليل فقط من الذئاب السيئة (إلا أن الكلمة التي استخدمها أندرس بدت أيضًا وكأنها تعني مجنونة في أذن

جاك).

لكن في السنوات الأخيرة، ازداد عددهم أكثر فأكثر، وقال أندرس إنه سمع حكايات تفيد أنه منذ مرض الملكة، أكثر من نصف قبيلة الرعاة مبدلي جلد أصيبت بالعدوى.. ولم تكن هذه الكائنات الوحيدة تحت سلطة مورغان من أوريّس، كما قال أندرس؛ فهناك آخرون، أسوأ حتى قيل أن بعضهم، يستطيع أن يجعل الرجل يفقد صوابه بنظرة واحدة.

فكر جاك في إلروي، شبح أوتلي تاب، واقشعر بدنه.

سأل «هل لهذه المنطقة من محطات الطليعة اسم؟»

«مولاي؟»

«هذه المنطقة التي نحن فيها الآن.»

«ليس لها اسم حقيقي معروف، يا مولاي، لكن سمعت الناس يطلقون عليها إيليس بريكس.»

«إيليس بريكس،» تمتم جاك، بدأت صورة جغرافية للمناطق تتشكل في ذهنه، غامضة وربما خاطئة في كثير من التفاصيل.. حيث رأى المناطق التي تقابل الشرق الأمريكي؛ ومحطات الطليعة التي تقابل الغرب الأوسط والسهول الكبرى (إيليس بريكس؟ إلينوي؟ نبراسكا؟)؛ والأراضي المدمّرة التي تقابل الغرب الأمريكي.

محدقًا في أندرس طويلاً وبتركيز شديد حتى بدأ رجل النقل يتحرك بقلق مرة أخرى.. قال جاك «آسف... واصل.»

قال أندرس إن والده هو آخر سائق مرحلة ينطلق «نحو الشرق» من محطة الطليعة، وكان أندرس تلميذه. لكنه أشار إلى أنه حتى في تلك الأيام، حدثت فوضى كبيرة واضطرابات في الشرق؛ قتل الملك القديم والحرب القصيرة التي تلت ذلك كانت بداية هذه الاضطرابات، وعلى الرغم من أن الحرب انتهت بتولي الملكة الطيبة لورا، استمرت الاضطرابات منذ ذلك الحين، وكأنها تتحرك تدريجيًا نحو الشرق، خارج الأراضي المدمّرة الفاسدة والمشوهة. وقال أندرس إن بعض الناس يعتقدون أن الشر بدأ من أقصى الغرب.

قال جاك «لست متأكدًا أنني أفهمك.» رغم أنه في قلبه شعر أنه يفهم.

قال أندرس «عند نهاية الأرض... عند حافة الماء الكبير، حيث أنا معني بالذهاب.»

بمعنى آخر، بدأ الأمر من نفس المكان الذي جاء منه والدي... والدي، وأنا، وريتشارد... ومورغان، الأرملة العجوز.

وأضاف أندرس أن المتاعب وصلت إلى محطات الطليعة، والآن قبيلة الذئاب جزئيًا فاسدة... ولم يستطع أحد تحديد مدى فسادها، لكن رجل النقل قال إنه يخشى أن يكون الفساد نهاية الجميع إذا لم يتوقف قريبًا.. لقد وصلت الاضطرابات إلى هنا، والآن وصلت حتى الشرق، حيث، كما سمع، إن الملكة

مريضة وعلى وشك الموت.

سأل أندرس، بتوسل خافت «أليس هذا صحيحًا، مولاي؟»

نظر جاك إليه وقال «هل يجب أن أعلم كيف أجيب؟»

قال أندرس «بالطبع... ألست ابنها؟»

لحظة، بدا وكأن العالم بأسره صمت.. توقف الطنين الحلو للحشرات في الخارج، بدا أن أنفاس ريتشارد الثقيلة البطيئة قد توقفت.

حتى قلبه بدا وكأنه توقف... ربما هذا أكثر ما أثار شعوره.

ثم، بصوت هادئ تمامًا، قال «نعم... أنا ابنها.. وهذا صحيح... إنها مريضة جدًا.»

أصر أندرس، وعيناه الآن تتوسلان بصراحة.. «لكن هل هي تحتضر؟ هل تحتضر، يا مولاي؟»

ابتسم جاك قليلًا وقال «هذا ما سيكشفه المستقبل.»

8

قال أندرس إنه حتى قبل أن تبدأ المصائب، كان مورغان من أوريّس مجرد لورد حدودي قليل الشهرة، لا أكثر؛ فقد ورث لقبه الهزلي عن أبٍ كان مهرّجًا زنخ الرائحة وحقيرًا. وأضاف أندرس أن والد مورغان عاش مادة للسخرية طوال حياته، وحتى طريقة موته كانت مادة للضحك..

«لقد أصيب بالإسهال بعد يوم من شرب نبيذ الخوخ، ومات وهو يركض على ساقيه.»

واستعد الناس لجعل ابن الرجل العجوز مادة للسخرية أيضًا، لكن الضحك توقف بعد قليل من بدء عمليات الإعدام في أوريّس.. وعندما بدأت المصائب في السنوات التي أعقبت وفاة الملك العجوز، ارتفع شأن مورغان كما يرتفع نجم نحس في السماء.

كل هذا لم يكن ذا أهمية كبيرة في هذه المساحات الشاسعة من محطات الطليعة.. هذه الفراغات العظيمة والخالية.. فقد قال أندرس إن السياسة تبدو بلا قيمة هنا، ولم يهتموا عمليًا سوى بالتحوّل المميت في قبيلة الذئاب، وبما أن معظم الذئاب المريضة اتجهت إلى المكان الآخر، لم يكن حتى هذا يحدث فرقًا كبيرًا بالنسبة لهم («هذا لا يهمنا كثيرًا، يا سيدي» هو ما أصرت آذان جاك أنها سمعته).

ثم، بعد وقت قصير من وصول خبر مرض الملكة إلى أقصى

الغرب، أرسل مورغان فرقة من العبيد المشوّهين والمغتصبين من مناجم أوريّس شرقًا؛ وهؤلاء العبيد تحت إشراف ذئاب مسروقة ومخلوقات غريبة أخرى... ورئيسهم رجلًا رهيبًا يحمل سوطًا؛ مكث هنا تقريبًا طوال المدة من بداية العمل، ثم اختفى.. أندرس، الذي قضى معظم تلك الأسابيع والأشهر الرهيبة مختبئًا في منزله على بُعد خمسة أميال جنوب هذا المكان، سعد برؤيته يغادر.. لقد سمع شائعات بأن مورغان استدعى الرجل صاحب السوط شرقًا، حيث وصلت الأمور إلى ذروتها؛ ولم يعرف أندرس إن كان هذا صحيحًا أم لا، ولم يهتم بذلك.. فقط سعد ببساطة لأن الرجل الذي رافقه أحيانًا صبي ضعيف، ذو مظهر غريب ومرعب قد رحل.

سأل جاك بإلحاح «اسمه؟ ما اسمه؟»

قال أندرس «مولاي، لا أعلم.. كان الذئاب يسمونه صاحب السياط، والعبيد يسمونه الشيطان.. أظن أن كلاهما محق.»

«هل كان يرتدي زيًا أنيقًا؟ معاطف مخملية؟ أحذية بها إبزيم من الأعلى ربما؟»

أومأ أندرس بالموافقة.

«هل كان يفوح منه عطر قوي؟»

«أجل! أجل، كان كذلك!»

«وكان للسوط خيوط من الجلد الخام مزينة بأغطية معدنية.»

«أجل، يا سيدي.. سوط شرير.. وقد برع جدًا في استخدامه، أجل، كان كذلك.»

إنه أوزموند.. جاردنر المنير.. كان هنا، يشرف على مشروع ما لمورغان... ثم مرضت الملكة واستدعي أوزموند إلى القصر الصيفي، حيث التقيت به للمرة الأولى بابتسامة مرحة.

قال جاك «ابنه، كيف بدا ابنه؟»

أجاب أندرس ببطء «نحيف، ذو عين واحدة كانت تسبح، هذا كل ما أستطيع تذكره... يا سيدي، كان من الصعب رؤية ابن صاحب السوط حيث بدا أن الذئاب تخافه أكثر من والده، رغم أن الابن لم يكن يحمل سوطًا، وقالوا إنه غامض.»

تأمل جاك «غامض...»

«نعم، هذه كلمتهم لمن يصعب رؤيته، مهما حاولت النظر إليه.. يقول الذئاب إن الاختفاء التام مستحيل، لكن المرء يستطيع أن يجعل نفسه غامضًا إذا عرف الحيلة.. ومعظم الذئاب يعرفونها، وهذا الولد الصغير أيضًا عرفها.. لذا كل ما أتذكره هو نحافته، تلك العين الطافية، وقبحه الأسود كالخطيئة المبتلاة بالزهري.»

توقف أندرس..

«لقد أحب إيذاء الأشياء... الأشياء الصغيرة.. أخذها تحت الشرفة، وسمعت أصوات صراخها الرهيب...» ارتجف أندرس.. « إن هذا أحد الأسباب التي جعلتني أبقى في منزلي، أعلم..

لا أحب سماع صغار الحيوانات يتألمون.. يجعلني أشعر بسوء فظيع، فعلاً.»

كل ما قاله أندرس أثار مئة سؤال جديد في ذهن جاك.. كان يرغب بشكل خاص في معرفة كل ما يعرفه أندرس عن الذئاب... فمجرد سماعها أيقظ في قلبه متعة متزامنة وشوقًا عميقًا مؤلمًا للذئب الخاص به.

لكن الوقت كان ضيقًا؛ فمن المقرر أن يقود الرجل العجوز غربًا عبر الأراضي المدمّرة صباح الغد، وقد تندفع فرقة من العلماء المجانين تحت قيادة مورغان نفسه مما يسميه أندرس «المكان الآخر» في أيو لحظة، وربما يستيقظ ريتشارد ليعرف من هو هذا المورغان الذي يتحدثون عنه، ومن هو هذا الغامض... ذلك الغامض الذي بدا بشكل مريب مشابهًا للشاب الذي عاش بجواره في منزل نلسون.

حثه «لقد جاءوا... هذه الفرقة جاءت، وأوزموند كان رئيسهم على الأقل حتى استدعاه أحدهم أو اضطر لقيادة الصلوات في الكنيسة الليلية في إنديانا...»

«مولاي؟» أحاطت الحيرة بوجه أندرس مرة أخرى.

«لقد جاءوا، وبنوا... ماذا؟» كان جاك متأكدًا من أنه يعرف الإجابة بالفعل، لكنه أراد سماع أندرس يقولها بنفسه.

قال أندرس «السكك، السكك المتجهة غربًا إلى الأراضي المدمّرة.. السكك التي يجب أن أسلكها بنفسي غدًا.» ارتجف...

قال جاك «لا!» غمر صدره شعور حار ومتقد كالشمس، نهض واقفًا، مرة أخرى شعر بتلك النقرة في رأسه، ذلك الإحساس الرهيب المقنع بأن الأشياء العظيمة تتجمع.

سقط أندرس على ركبتيه بصرخة بينما ملأ ضوء رهيب وجميل وجه جاك.. تحرك ريتشارد إثر الصوت وجلس نصف نائم.

قال جاك «ليس أنت... أنا.. وهو.» وأشار إلى ريتشارد.

«جاك؟» نظر إليه ريتشارد بحيرة نصف ناعسة وقريبة النظر.. «عن ماذا تتحدث؟ ولماذا هذا الرجل يشم الأرض؟»

قال لجاك «يا مولاي... تحت أمرك، بالطبع... لكنني لا أفهم...»

قال جاك «ليس أنت... نحن. سنأخذ القطار بلا منك.»

قال أندرس بتلعثم، لم يجرؤ بعد على النظر لأعلى «لكن مولاي، لماذا؟»

حدف جاك سوير في الظلام قائلاً «لأنني أظن أن هناك شيئًا في نهاية السكك... في نهاية السكك أو بالقرب منها... يجب أن أحصل عليه.»

فاصل

سلوت في هذا العالم (الجزء الرابع)

في العاشر من ديسمبر، جلس مورغان سلوت متدثرًا بمعطفه الكشميري الثقيل على الكرسي الخشبي الصغير المهترئ بجانب سرير ليلي سوير.

لسع البرد جسده، وقد أخفى كفيه في جيوبه، لكن مزاجه أفضل مما يوحي به مظهره المتجهم.. كانت ليلي تحتضر، على وشك الرحيل إلى ذلك المكان الذي لا يعود منه أحد أبدًا، حتى لو ملكة على سرير بحجم ملعب كرة قدم.

سرير ليلي لم يكن فخمًا، ولم تكن هي نفسها تشبه الملكة على الإطلاق.. لقد سلبها المرض جمالها، وجرد وجهها من نضارته، وشيّخها بسرعة عشرين سنة.. تجوّل سلوت بعينيه على العظام البارزة حول عينيها، وصدغها الصلب كقوقعة سلحفاة، جسدها المنهك بالكاد شكّل نتوءًا تحت الأغطية والبطانيات.. لقد عرف أن نُزل قصر الحمراء قد تلقى أجرًا جيدًا لترك ليلي كافانو سوير وشأنها، لأنه هو من دفع لهم.. لم يعودوا يهتمون بتدفئة غرفتها.. إنها الضيفة الوحيدة في الفندق إلى جانب موظف الاستقبال والطباخ، إلى جانب ثلاث خادمات برتغاليات يقضين كل وقتهن في تنظيف اللوبي، لابد أن الخادمات هن من حافظن على تكديس البطانيات حول ليلي..

أما سلوت نفسه، فقد استولى على الجناح المقابل، وأمر موظف الاستقبال والخادمات بمراقبتها عن كثب.

نظر إليها بحذر، وقال «تبدين أفضل يا ليلي.. أظن أنني أرى علامات تحسن.»

حركت شفتيها فقط، وقالت بصوت هزيل «لا أدري لماذا تتظاهر بأنك إنسان، سلوت.»

ابتسم، مردّدًا «أنا أفضل صديق لك.»

فتحت عينيها أخيرًا، ولم تكن باهتة بما يكفي لإرضائه.. همست «اخرج من هنا.. أنت مقرف.»

«أنا أحاول مساعدتك، وأتمنى أن تتذكري ذلك.. لدي كل الأوراق، ليلي، كل ما عليك فعله هو التوقيع عليها، بمجرد أن توقعي، سيتم الاعتناء بك وبابنك مدى الحياة.» أمعن النظر فيها بتعبير من الرضا الكئيب. «بالمناسبة.. لم أوفق كثيرًا في العثور على جاك، هل تحدثت إليه مؤخرًا؟»

«تعلمين أنني لم أفعل.» لم تذرف دمعة كما كان يأمل.

«أظن أن الصبي يجب أن يكون هنا، ألا تعتقدين؟»

«اذهب للجحيم.»

«أظن أنني سأستخدم حمامك، إن لم تمانعي،» قال، ووقف.

أغمضت عينيها مرة أخرى، متجاهلة إياه..

«آمل أن يبتعد عن المتاعب على أي حال،» قال، وهو

يمشي ببطء بجانب السرير. «أشياء فظيعة تحدث للأولاد على الطريق.» لم ترد ليلي.. «أشياء أكره التفكير فيها.» وصل إلى طرف السرير وتابع نحو باب الحمام.. وهي ملقاة تحت أغطيتها كالورقة المجعدة.. دخل سلوت الحمام.

فرك يديه معًا، أطبق الباب برفق، وفتح الصنابير، أخرج من جيب معطفه قنينة صغيرة بوزن غرامين، ومن جيب سترته الداخلي علبة تحتوي على مرآة وشفرة حلاقة وقشة نحاسية قصيرة، نقر على المرآة كمية دقيقة من أنقى كوكايين بيروفي استطاع إيجاده، ثم قطعها كطقسًا معتادًا، مكونًا خطين قصيرين.. استنشقهما عبر القشة النحاسية، حبس نفسه لثانية، ثم أطلق الهواء.. «آه.» شعر وكأن أنفاقًا واسعة شُقت عبر أنفاسه، بينما بدأت الرذاذات الصغيرة تمنحه اللذة.. غسل يديه تحت الماء، ثم رطب أنفه قليلاً، جفف وجهه ويديه، وابتسم لنفسه

«ذلك القطار الرائع... نعم، قطاري... أراهن أنني فخور به أكثر من ابني.»

كانت رؤيته للقطار، المتصل بكلا العالمين، أول تجسيد ملموس لخطة طويلة الأمد لإدخال التكنولوجيا الحديثة إلى الأراضي، وصولًا إلى بوينت فينوتي محمّلًا بشحنته الثمينة.. «بوينت فينوتي!» همس لنفسه بينما انفجرت مادة الكوكايين في دماغه، حاملة رسالتها المعتادة.. «كل شيء سيكون على ما يرام.» سيكون جاكي الصغير محظوظًا جدًا

إن غادر تلك البلدة الصغيرة الغريبة.. في الحقيقة، سيكون محظوظًا حتى لو وصل إليها، نظرًا لأنه سيضطر للعبور عبر الأراضي المحطمة، لكن المخدر ذكّره بأنه يفضل أن يصل جاك إلى بوينت فينوتي المليئة بالمخاطر، بل ويفضل أن ينجو من الفندق الأسود، الذي لم يكن مجرد ألواح وحجارة، بل كان حيًا بطريقة ما... لأن بإمكانه أن يخرج ممسكًا بالتعويذة بأيديه الصغيرة، وإذا حدث ذلك...

نعم، إذا وقع هذا الحدث الرائع، سيكون كل شيء على ما يرام بالفعل.

وسيتحطم كل من جاك سوير والتعويذة إلى نصفين.

وسيحصل هو، مورغان سلوت، على اللوحة التي تستحقها موهبته أخيرًا.. لمحة ثانية رآى نفسه يمد ذراعيه على فضاءات مرصعة بالنجوم، على عوالم مطوية معًا كعشاق على سرير، على كل ما تحميه التعويذة، وكل ما طمع فيه منذ أن اشترى الأجنكور منذ سنوات.. يستطيع جاك أن يهبه كل يشتهيه.. حلاوة.. مجد...

وللاحتفال، أخرج سلوت القنينة مرة أخرى، هذه المرة لم يلتزم بطقس الشفرة والمرآة، بل استخدم الملعقة المرفقة لرفع مسحوق أبيض إلى فتحة أنفه اليمنى، ثم اليسرى.. «حلاوة... نعم.»

عاد إلى غرفة النوم، وبدت ليلي أكثر نشاطًا قليلًا، لكن

انتشاؤه لم يخفت.. تابعت عيناها، الفارغتان والمضيئتان بشكل غريب داخل حواف عظامها، كل تحركاته.. ثم قالت «لديك عادة جديدة مقرفة، أيها العم المتورم.»

«وأنتِ تحتضرين،» تمتم.. «فأيّهما تختارين؟»

«استمر في تناول هذا القرف، وستحتضر أنت أيضًا.»

عاد سلوت إلى الكرسي المهترئ، غير متأثر بعدائها.. «يا إلهي يا ليلي... الجميع يتعاطى الكوكايين الآن.. أنت غريبة عن العصر لقد اغتربت عن العصر منذ سنوات.. هل تريدين تجربة القليل منه؟» رفع القنينة من جيبه وهزها بسلسلة الملعقة.

«اخرج من هنا.»

قفزت ليلي على سريرها بسرعة كالأفعى، وبصقت في وجهه.

«حقيرة!» تراجع، ممسكًا بمنديل جيبه بينما انزلق على خده الرذاذ..

«إذا كان هذا الشيء رائعًا لهذه الدرجة، فلماذا تضطر للتسلل إلى الحمام لتأخذه؟ لا تجب، فقط دعني وشأني.. لا أريد رؤيتك مجددًا، أيها المتورم.. اخرُج من هنا بشحمتك السميكة.»

«ستموتين وحيدة، ليلي،» قالها، بصوت اختلجته بهجة باردة وقاسية. «ستموتين وحيدة، وستمنحك هذه البلدة

الهزلية جنازة فقيرة، وسيُقتل ابنك لأنه لا يستطيع مواجهة ما ينتظره، ولن يسمع أحد عنكما أبدًا.» ابتسم، ويداه المتدليتان متجهمتان كقبضتين مشدودتين.. «تتذكرين آشر دوندورف، ليلي؟ عميلنا؟ المساعد في سلسلة فلاناغان وفلاناغان؟ قرأت عنه في هوليوود ريبورتر قبل أسابيع قليلة.. أطلق النار على نفسه في غرفة المعيشة، لكنه لم يصوب جيدًا، فبدلًا من قتل نفسه فجّر سقف فمه ووضع نفسه في غيبوبة.. قد يظل هكذا لسنوات، سمعت أنه يتحلل ببطء.» ثم انحنى نحوها، عاقدًا جبينه.. «أنتِ وعميلنا الطيب آشر لديكما الكثير من القواسم المشتركة، على ما يبدو.»

حدقت فيه بلا شعور، وعند تلك اللحظة بدت كإحدى النساء القاسيات على الحدود، تحمل بندقية سنجاب في يد وكتاب مقدس في اليد الأخرى.

«ابني سينقذ حياتي،» رددت.. «جاك سينقذ حياتي، ولن تستطيع منعه.»

«حسنًا، سنرى، أليس كذلك؟» أجابها سلوت.. «الأيام بيننا..»

الفصل الخامس والثلاثون

الأراضي المدمّرة

1

«لكن... هل ستكون في أمان يا مولاي؟» سأل أندرس، جاثيًا أمام جاك، وقد انساب تنورته الكلتية الواسعة بلونها الأبيض الموشّى بالأحمر من حوله.

«جاك؟» نادى ريتشارد، بصوتٍ حادٍ متوتّر لا علاقة له بما يحدث، أشبه بصريرٍ مزعج.

«وهل ستكون أنت في أمان؟» ردّ جاك.

أمال أندرس رأسه الضخم الأبيض جانبًا وحدّق في جاك بعينين نصف مغمضتين كأنّما يحاول تفسير لغزًا ما.. فبدا ككلب عملاق حائر.

«أعني... سأكون في أمان بمقدار ما ستكون أنت في أمان.. هذا كل ما أعنيه.»

«لكن يا مولاي...»

«جاك؟» عاد صوت ريتشارد المرتعش.. «أنا... أنا نمت.. كان ينبغي أن أستيقظ... لكنّنا ما زلنا في هذا المكان الغريب، إذن لا بدّ أنّني ما زلت أحلم... لكنّي أريد أن أستيقظ يا جاك.. لا أريد هذا الحلم بعد الآن.. لا... لا أريده.»

«ولهذا حطّمتَ نظّارتك اللعينة»، ردد جاك في نفسه.. أمّا بصوت مسموع فقال.. «هذا ليس حلمًا يا ريتشي بوي.. نحن على وشك الانطلاق.. سنأخذ جولة بالقطار.»

«هاه؟» تمتم ريتشارد وهو يفرك وجهه ويجلس، وإذا كان أندرس يبدو ككلب أبيض ضخم يرتدي تنّورة، فإنّ ريتشارد بدا حينها مثل طفلٍ أفاق لتوّه من نومٍ ثقيل.

«يا مولاي جايسون...» قال أندرس. وقد بدا الآن كأنه على وشك البكاء... بكاء ارتياح، كما ظنّ جاك.. «هل هي إرادتكم؟ هل هي إرادتكم أن تقودوا تلك الآلة الشيطانية عبر الأراضي المدمّرة؟»

«بكل تأكيد هي كذلك»، رد جاك.

«أين نحن؟» سأل ريتشارد. «هل أنت متأكد أنهم لا يطاردوننا؟»

استدار جاك إليه، وقد جلس ريتشارد على الأرض الصفراء المتموّجة، يرمش ببطء، والخوف لم يزل محاصره مثل ضباب.

«حسنًا»، قال جاك.. «سأجيبك، نحن في منطقة من الأراضي تُسمّى إيليس بريكس...»

«رأسي يؤلمني...» تمتم ريتشارد وقد أغمض عينيه.

«و»، تابع جاك، «سنأخذ قطار هذا الرجل ونعبر به الأراضي المدمّرة وصولاً للفندق الأسود، أو إلى أقرب نقطة نستطيع

بلوغها.. هذا كل ما في الأمر يا ريتشارد، صدّق أو لا تصدّق.. وكلما أسرعنا في فعل ذلك، أسرعنا في الهرب ممّا قد يكون يتعقّبنا.»

«إيثريدج...» همس ريتشارد.. «السيد دوفري...» وأخذ يتلفّت في أرجاء مقصورة المحطة الهادئة كأنّه يتوقّع أن يندفع مطاردوهم من الجدران نفسها.. «إنه ورمٌ في المخ، كما تعلم»، قال لجاك بنبرة من يقدّم تحليلًا منطقيًا..»هذا هو سبب صداعي.»

«يا مولاي جايسون...» كان العجوز أندرس يقول، منحنياً حتى لامس شعره الكث الألواح المتموّجة.. «ما أطيبك أيها العليّ... ما أطيبك أمام دناءة خدمك... ما أكرمك مع من لا يستحقّون بركتك...» وزحف إلى الأمام، ورأى جاك بالرعب أنّه على وشك أن يبدأ طقوس تقبيل قدميه من جديد.

«متقدّم جدًا، هذا الورم...» أضاف ريتشارد ببرود طبي.

«انهض، أرجوك يا أندرس»، قال جاك متراجعًا خطوة.. «انهض... هيا... يكفي هذا.»

لكنّ العجوز استمر في الزحف، يهذي من شدّة ارتياحه لأنه لن يضطرّ لعبور الأراضي المدمّرة.

«انهض!» صرخ جاك بصوت جهوري.

رفع أندرس رأسه وعبست جبهته بالتجاعيد.. «حسنًا يا مولاي.» ونهض ببطء.

«هيا يا صاحب الورم، تعالى إلى هنا يا ريتشارد»، قال جاك..
«علينا أن نتبين كيف سنقود هذا القطار اللعين.»

2

تحرّك أندرس خلف الطاولة الطويلة المتموّجة، وأخذ ينقّب في أحد الأدراج.. وقال وهو ينقب داخله

«أظنّ أنها تعمل على الشياطين يا مولاي... شياطين غريبة، تجدهم متراصّين معًا كأنهم سقطوا من السماء دفعة واحدة.. لا يبدون أحياء... ومع ذلك فهم كذلك... أجل.»

ثم أخرج من الدرج أضخم شمعة رآها جاك في حياته، والتقط من فوق الطاولة شريطًا رقيقًا من الخشب الطريّ، طوله قدم كاملة، وأنزل أحد طرفيه في مصباح متّقد، اشتعل الخشب سريعًا، فاستعمله أندرس لإضرام تلك الشمعة الهائلة، ثم لوّح بما يشبه «عود الثقاب» في الهواء حتى انطفأ، تاركًا خيطًا من الدخان يلتفّ صاعدًا.

«شياطين؟» سأل جاك.

«أشياء مربّعة غريبة... أظنّ أن الشياطين محبوسة فيها.. وبالكثرة ما فرقعت واطلقت الشرر! سأريكم إيّاها، يا مولاي جايسون.»

ومن دون كلمة أخرى، اندفع نحو الباب، وتوهّج الشمعة في يده نعّم ملامحه المليئة بالتجاعيد، تبعه جاك إلى الخارج حيث انبسط عبير الأراضي الفسيحة، تذكّر صورة معلّقة على جدار مكتب سبيدي باركر... صورة ظلّت مشبعة بقوّة غامضة، وأدرك الآن أنه قريبٌ من موضعها الأصلي.

في البعيد ارتفع جبل مألوف الملامح، وعلى السفح الصغير تحرّكت حقول الحبوب في كل اتجاه، متموّجة بأنماط واسعة كالأمواج، إلى جانب جاك سار ريتشارد متردّد الخطى، يفرك جبينه، والشرائط المعدنية الممتدّة غربًا والتي لا تنتمي بصريًا إلى هذا العالم.

قال أندرس بصوت خافت وهو يبتعد نحو جانب «المحطة»

«الحظيرة خلف البناء يا مولاي.»

ثم استدار بخجل، كمن يخشى النظر إلى ما هو قادم.

ألقى جاك نظرة أخيرة نحو الجبل البعيد... لكنّه بدا الآن أصغر، أحدث... جبلاً غربيًا لا شرقيًا.

مال ريتشارد إلى أذنه هامسًا في قلق

«ما حكاية يا مولاي جايسون هذه؟ يبدو وكأنه يعرفك.»

فأجابه جاك «يصعب شرح ذلك الآن.»

شدّ ريتشارد على عضد جاك بقبضة كانساس سيتي المعهودة وقال

«جاك... ماذا حلّ بالمدرسة؟ ماذا عن الكلاب؟ أين نحن؟»

«تعال فقط... على الأرجح ما زلتَ تحلم.»

«نعم...» قال ريتشارد، وقد ارتسم الارتياح على صوته فجأة.. «نعم... هذا صحيح، أليس كذلك؟ ما زلتُ نائمًا، ولقد

حكيتَ لي كل ذلك الهراء عن الأراضي، والآن أنا أحلم بها.»

«بالضبط..» قال جاك، ولحق بأندرس.

كان العجوز يرفع الشمعة الضخمة مثل شعلة، منحدرًا إلى مبنى ثماني الجوانب أكبر حجمًا.

خطى الثلاثة فوق العشب الأصفر الطويل بينما انسكب الضوء من كرة زجاجية أخرى معلّقة هناك، كاشفًا أن المبنى مفتوح من جهتين متقابلتين، وكأن وجهين من الثمانية قد شُطِرا لنصفين في خط نظيف.

مرت القضبان الفضية عبر هذين الفتحتين، بلغ أندرس الحظيرة والتفت منتظر الصبيّين.. ومع الشمعة المتوهجة، ولحيته الطويلة وثيابه الغريبة، بدا ككائن أسطوري... ساحرًا خرج للتوّ من حكاية قديمة.

قال بحنق، وقد ضاق وجهه بالتجاعيد

«ها هو... ظلّ هنا منذ وطئ هذه الأرض... وليقُد الشياطين بعيدًا عنه! إنه اختراع جهنمي... شيء خبيث، أفهمتم؟»

ألقى نظرة خلفه ما إن وقف الصبيّان بجواره، وظهر أنه لا يحتمل بمجرد وجوده قرب ذلك القطار.

«نصف حمولة العربّة موجود بالفعل... ورائحتها وحدها تشبه رائحة الجحيم نفسه.»

دخل جاك الفتحة، فاضطرّ أندرس أن يتبعه، تهادى ريتشارد

داخلاً وهو يفرك عينيه.

كان للقطار الصغير، المتجه غربًا محرّك غريب، وعربة صندوقية، وعربة منبسطة مغطاة بغطاء مشدود. ومن تلك الأخيرة انبعثت الرائحة التي أثارت كراهية أندرس... رائحة معدنية دهنية لا تمتّ بصلة لعالم الأراضي.

ما إن دخلوا حتى ذهب ريتشارد إلى زاوية من زوايا الحظيرة الثمانية، وجلس على الأرض مغمضًا عينيه.

سأل أندرس بصوت خفيض

«هل تفهم آلياته، يا مولاي؟»

هزّ جاك رأسه، وتقدّم إلى مقدّمة القطار، وهناك رأى «شياطين» أندرس وهي عبارة عن بطاريات صندوقية، كما توقّع.. ست عشرة بطارية، مصطفّة في صفّين داخل حاوية معدنية ترتكز على العجلات الأربع الأولى للمحرّك.

بدت مقدّمة القطار كنسخة متطوّرة من عربة توصيل... لكن حيث يجب أن تكون الدراجة، كانت هناك قمرة صغيرة ذكّرته بشيء آخر... لم يتبيّن ما هو فورًا.

قال أندرس

«الشياطين تتكلّم مع العصا القائمة.»

رفع جاك نفسه ودخل القمرة الصغيرة، رأى العصا التي لم تكن سوى ذراع تغيير السرعة المثبت في شقّ ذي ثلاث

فتحات، عندها أدرك التشابه..

هذا القطار يعمل كعربة الجولف الكهربائية حيث يدار بالبطاريات، ولا يملك سوى ثلاث وضعيات هم أمام، حياد، خلف.

ومن المؤكّد أن مورغان سلوت طلب صنعه خصيصًا له.

تمتم أندرس من خلفه

«الشياطين في الصناديق تبصق شررًا وتهمس للعصا... والعصا تحرّك القطار يا مولاي.»

كان يرتجف قرب القمرة، والتجاعيد تفترش وجهه كله.

سأل جاك

«كنتَ تعتزم المغادرة صباحًا؟»

«أجل.»

«لكن القطار جاهز الآن؟»

«نعم يا مولاي.»

أومأ جاك، ثم هبط من القمرة..

«وما الحمولة؟»

«أشياء شيطانية...» قالها أندرس بصرامة.. «للذئاب الأشرار... كي تُنقل إلى الفندق الأسود.»

فكّر جاك.. «إذا انطلقت الآن فسأسبق مورغان سلوت

بخطوة.»

ونظر إلى ريتشارد الذي غفا مجددًا.. لولاه... بكل عناده ونزعته للتوهّم المرضي لما عثر جاك على هذا القطار قط.. وكان مورغان سيستخدم الأشياء الشيطانية والتي هي أسلحة على الأغلب ضدّه فور اقترابه من الفندق الأسود.

وقد أصبح جاك واثقًا أن الفندق هو نهاية رحلته... كل ذلك جعله يستشعر أن لريتشارد دورًا أعظم مما تخيّل.

ابن سوير... وابن سلوت.

ابن الأمير فيليب ساوتِل... وابن مورغان أورِيس.

ولمحة خاطفة خطرت لجاك.. ربما يكون ريتشارد ضروريًا لما سيحدث في الفندق الأسود.

ثم شخر ريتشارد، وتهدّلت شفتاه، فتلاشى الإدراك العابر.

قال جاك

«دعنا نرَ تلك الأشياء الشيطانية.»

دار عائدًا إلى مؤخرة القطار، وقد لاحظ للمرة الأولى أن أرضية الحظيرة تنقسم لقسمين معظمها دائري، كطبق عملاق، وحوله شريط خشبي ثابت يصل إلى الجدران، فهم الفكرة.. الأرضية الدائرية تدور مئة وثمانين درجة.

رفع طرف الغطاء المشدود، فلم يرَ سوى سواد.. نادى «ساعدني.»

فكّ أندرس أحد الأربطة الرئيسية بمهارة، فارتخى الغطاء، رفع جاك الطرف مجددًا...

نصف العربة يحوي صناديق خشبية مكتوبًا عليها قطع آلات..

أسلحة... مورغان يسلّح الوولفز المتمرّدين.

النصف الآخر يحتضن طرودًا كبيرة من مادة إسفنجية مكدّسة في طبقات من البلاستيك الشفاف.

لم يتبين جاك ما هي، لكنه تيقّن أنها ليست خبز «ووندر بريد».

ترك الغطاء، فعاد أندرس لشدّه وربطه.

قال جاك بحسم

«سنغادر الليلة.»

قال أندرس مرتعبًا

«لكن يا مولاي جايسون... الأراضي المدمّرة... ليلًا... أتفهم...»

«أفهم جيدًا.» قاطعه جاك.. «وأفهم أن عنصر المفاجأة هو كل ما أملك... فمورغان وذلك الذي يسمّيه الوولفز صاحب السياط سيبحثان عني... وإن وصلت قبل الموعد باثنتي عشرة ساعة، فقد نخرج من هذا أحياء أنا وريتشارد.»

هزّ أندرس رأسه باستسلام، ككلب ضخم أدرك أخيرًا حقيقة

لا تعجبه.

نظر جاك إلى ريتشارد النائم، جالسًا، بفم مفتوح.

ثم سأل أندرس

«هل كان لمورغان ابن؟»

«نعم يا مولاي.. زواجه القصير أثمر غلامًا اسمه راشتون.»

«وماذا حلّ به؟ وإن كنتُ أعرف الإجابة.»

«مات.» قالها أندرس ببساطة. «مورغان أورِس لم يُخلق ليكون أبًا.»

ارتعش جاك، متذكّرًا كيف شقّ مورغان الهواء وكاد يُفني قطيع وولف كله.

«سنغادر.» قال بحسم.. «ساعدني رجاءً في رفع ريتشارد إلى القمرة.»

تردّد أندرس، ثم قال بنبرة أبويّة

«الرحلة ستستغرق يومين، وربما ثلاثة، قبل أن تبلغوا الساحل الغربي... هل معكما طعام؟ أتشرف إن شاركتماني عشائي.»

كان جاك على وشك الرفض، لكن معدته أصدرت صوتًا صريحًا، فشعر بالحرج.. منذ متى لم يأكل شيئًا سوى قطع الحلوى في غرفة ألبرت الضخم؟

«حسنًا...» قال.. «نصف ساعة لن تضر.. شكرًا لك، يا أندرس.»

وبينما فكّرا في كيفية رفع ريتشارد، أقر جاك في داخله أنه... ربما... لم يكن متحمّسًا لعبور الأراضي المدمّرة كما يدّعي.

أيقظاه بصعوبة، ففتح ريتشارد عينيه مبتسمًا كالفأر النائم ثم مال ناعسًا من جديد.

قال جاك

«طعام... طعام حقيقي.. هل تستطيع السير يا صديقي؟»

ردّ ريتشارد بمنطق غريب

«أنا لا آكل في الأحلام.»

ثم تثاءب ومسح وجهه، ووقف تدريجيًا.

«لكن... في الحقيقة أنا جائع... أليس حلمًا طويلًا يا جاك؟»

«أجل.»

«أهو القطار الذي سنركبه؟ يشبه شيئًا من الرسوم المتحركة.»

«أجل.»

«وتستطيع قيادته؟ أعني... هو حلمي، أعرف... لكن...»

«قيادته كقيادة قطاري الكهربائي القديم.» قال جاك..

«أستطيع... وأنت تستطيع أيضًا.»

«لا أريد.» قال ريتشارد، وعاد الصوت المتذمّر إلى نبرته.. «لا أريد الصعود فيه... أريد العودة لغرفتي.»

«تعال نتناول الطعام أولًا..» قال جاك... وقادهما لخارج الحظيرة.. «ثم ننطلق إلى كاليفورنيا.»

وأظهرَت الأراضي أجمل وجوهها للصبيّين قبل دخول الأراضي المدمّرة.

قدّم لهم أندرس شرائح خبز سميكة حلوة المذاق، مصنوعة من حبوب الحقول المحيطة بالمحطة، وكبابًا من لحم طريّ وخضروات غريبة نضِرة، وعصيرًا ورديًا حارّ النكهة، ظنّه جاك لبّ البابايا وإن كان يعلم أنه ليس إياه.

أكل ريتشارد في شرود سعيد، والعصير ينساب على ذقنه حتى مسحه جاك عنه.

قال مزّة، وهو يمضغ

«كاليفورنيا... كان يجب أن أعرف.»

ظنّ جاك أنه يقصد شهرتها بالجنون، فلم يسأله..

كان همه الأكبر أنهما يلتهمان ما قد يكون مخزون أندرس كله، لكن الرجل ظلّ يتنقل بين الطاولة والفرن الصغير الذي ثبّته هو أو أبوه خلف المنضدة، عائدًا بالمزيد..

مخبوزات الذرة... هلام أرجل العجول... أشياء تشبه سيقان

الدجاج لكن مذاقها كالعطور والأزهار...

نكهات تفجّرت على لسان جاك حتى شعر أنه هو الآخر سيسيل لعابه.

جلس الثلاثة حول طاولة صغيرة في غرفة دافئة هادئة.

وفي نهاية الوجبة، أتى أندرس بخجل بكأس ثقيل ممتلئًا لنصفه بالنبيذ الأحمر.

شعر جاك وهو يرتشف منه رشفة صغيرة وكأنه يؤدي دورًا شطر له سلفًا.

3

بعد مرور ساعتين، ومع شعوره بالنعاس، بدأ جاك يتساءل عما إن اخطأ في تناول مثل تلك الوجبة الشهية هائلة الحجم.. أولًا، لم تسر مغادرته إليس-بريكز و«المحطة» بسهولة؛ ثانيًا، بدا ريتشارد أنه على وشك الجنون؛ وثالثًا، وقبل كل شيء، كانت الأراضي المدمرة، أكثر جنونًا بكثير مما قد يظهره ريتشارد، والتي تطلبت كل ذرة تركيز.

بعد تناول الوجبة، عاد الثلاثة إلى الحظيرة، وبدأت المتاعب.. أدرك جاك شعوره بالخوف مما قد ينتظرهم والآن تبين أن هذا الخوف مبررًا تمامًا.. وربما تسبب قلقه في تصرفه بطريقة أقل اتزانًا مما ينبغي.

وجاءت الصعوبة الأولى حين حاول دفع أجر أندرس القديم بالعملة التي سلّمها له القبطان فارين.. تصرّف أندرس كما لو أن جايسون المحبوب قد طعنه في الظهر، وكأنه ارتكب جرم مقدس! استحق وابل من الغضب! فتقديم العملة ليس مجرد إهانة للعجوز، بل كان بمثابة تشويه مجازي لمعتقدة حيث بدا أن الكائنات الإلهية المستعادة بشكل خارق لا يُفترض بها تقديم عملات لأتباعها، وقد غضب أندرس لدرجة دفعته لضرب يده في «صندوق الشيطان»، كما كان يسمي الحاوية المعدنية للبطاريات، وكان جاك يعلم أن العجوز قد أغري بشدة لضرب هدف آخر غير القطار.

نجح جاك في الحصول على هدنة جزئية.. لم يرغب أندرس في الاعتذار، كما لم يرغب في المال.. هدأ العجوز أخيرًا عندما أدرك مدى اضطراب الصبي، لكنه لم يعد إلى سلوكه الطبيعي حقًا حتى فكّر جاك بصوت عال بأن عملة القبطان فارين قد يكون لها وظائف أخرى، أدوار أخرى له.. فقال أندرس بكآبة «أنت لست جايسون بالكامل، ومع ذلك قد تعينك عملة الملكة في مسعاك نحو قدرك.» وهز رأسه بثقل، وكانت إشارة وداعه أدركها بوضوح.

لكن جزءًا كبيرًا من التوتر سببه ريتشارد.. فقد بدأ ذعره الطفولي يتحول سريعًا إلى رعب كامل.. رفض الصعود إلى القمرة، وحتى تلك اللحظة، كان يتسكع في الحظيرة بلا اهتمام بالقطار، كما لو انه في غيبوبة من اللامبالاة.. ثم أدرك جدية جاك في إركابه، فذهل والأغرب أن فكرة الوصول إلى كاليفورنيا كانت أكثر ما أزعجه.

صاح ريتشارد «لا! لا! لا أستطيع!» حين حاول جاك دفعه نحو القطار.. «أريد العودة إلى غرفتي!»

قال جاك بتعب «قد يكونون يتبعوننا، ريتشارد.. علينا أن نتحرك.» ومدّ يده لأخذ ذراع ريتشارد.. «تذكر... كل هذا حلم، أليس كذلك؟»

قال أندرس وهو يتحرك بلا هدف في الحظيرة الكبيرة «يا مولاي، يا مولاي!» وفهم جاك أن العجوز لم يكن يخاطبه هذه المرة.

صرخ ريتشارد «عليّ العودة إلى غرفتي!» وأغلق عينيه بشدة، حتى تشققت ملامحه بين الصدغين بخط مؤلم.

ترددت أصداء وولف مرة أخرى.. حاول جاك سحب ريتشارد نحو القطار، لكنه تشبث كحمار عنيد، صرخ «لا أستطيع الذهاب هناك!»

قال جاك «حسنًا، لا يمكنك البقاء هنا أيضًا.» حاول مجددًا جرّه نحو القطار، وهذه المرة تحرك قدمًا أو قدمين.. «ريتشارد، هذا أمر سخيف.. هل تريد البقاء هنا وحدك؟ هل تريد أن تُترك وحيدًا في الأراضي؟» هز ريتشارد رأسه نافيًا.. «إذن تعال معي.. لقد حان الوقت.. خلال يومين سنصل إلى كاليفورنيا.»

تمتم أندرس لنفسه «أمر سيئ.» وهو يراقب الصبيين.. أما ريتشارد فاستمر بهز رأسه، تعبيرًا عن رفضه التام «لا أستطيع الذهاب هناك، لا أستطيع الصعود على القطار، ولا أستطيع الذهاب هناك.»

«كاليفورنيا؟»

عض ريتشارد شفتيه، وأغلق عينيه مجددًا.. قال جاك «يا إلهي... هل تستطيع مساعدتي، أندرس؟» نظر العجوز الضخم إليه بنظرة مزيج من الانزعاج والاشمئزاز، ثم سار عبر الغرفة وحمل ريتشارد بين ذراعيه كما لو كان جروًا صغيرًا، صرخ الصبي صرخة تشبه صرخة الجرو، وأسقطه أندرس على

المقعد المبطّن في القمرة.

صاح ريتشارد «جاك!» خائفًا من أن ينتهي به المطاف في الأراضي المدمرة وحده..

أجاب جاك «أنا هنا.» وكان بالفعل يصعد إلى الجانب الآخر من القمرة.

مرددًا «شكرًا لك، أندرس.» فأومأ العجوز بكآبة وابتعد إلى زاوية الحظيرة. «اعتنِ بنفسك.» بدأ ريتشارد بالبكاء، ونظر أندرس إليه بلا شفقة.

ضغط جاك زر التشغيل، وانطلقت شرارتان زرقاوان هائلتان من «صندوق الشيطان» في الوقت ذاته الذي بدأ فيه المحرك بالعمل.. قال جاك «ها نحن ذا.» ودفع الذراع إلى الأمام برفق، بدأ القطار يزحف خارج الحظيرة.

أنّ ريتشارد، ورفع ركبتيه متمتمًا بأشياء مثل «هراء» أو «مستحيل»، لكن جاك لم يسمع سوى صفير الهمس... وطوى وجهه بين ركبتيه، كما لو أنه يحاول التكور داخل نفسه.

لوح جاك لأندرس، الذي لوح بالمقابل، ثم خرجوا من الحظيرة المضاءة وغشتهم السماء المظلمة الشاسعة.. ظهر ظل أندرس في الفتحة التي خرجوا منها، كأنه قرر اللحاق بهم! لم يكن القطار قادرًا على تجاوز ثلاثين ميلًا في الساعة، وظن جاك أنه حاليًا لا يتجاوز ثمانية أو تسعة.. بدا هذا بطيئًا جدًا.. ردد جاك في نفسه «غرب، غرب، غرب.» عاد أندرس إلى

الداخل، ولحيته ترتكز على صدره الضخم كغطاء من الصقيع.

انطلق القطار للأمام، انطلقت شرارة زرقاء أخرى، واستدار جاك على المقعد المبطّن ليرى ما هو آت.

«لا!» صرخ ريتشارد، حتى كاد جاك أن يسقط من المقصورة.. «لا أستطيع! لا أستطيع الذهاب هناك!» رفع رأسه عن ركبتيه، لكنه لم يكن يرى شيئًا مازالت عيناه مغلقتان، ووجهه كله بدا كالمفصل.

قال جاك «اهدأ.» أمامهم، امتدت القضبان عبر الحقول اللامتناهية من الحبوب المتموجة؛ ارتفعت جبال خافتة، كالأسنان النخرة، في قلب الغيوم الغربية، نظر جاك مرة أخيرة خلفه، فرأى واحة صغيرة من الدفء والضوء.. «المحطة» والحظيرة ثمانية الجوانب تراجعت ببطء خلفه، ظهر أندرس ظلًا طويلًا عبر البوابة المضيئة.. لوح جاك للمرة الأخيرة، ولوح الظل الطويل أيضًا.. استدار جاك مرة أخرى ونظر إلى اتساع الحقول، كل تلك المسافة الشاعرة.. إذا كانت هذه هي الأراضي المدمرة، فإن اليومين القادمين سيكونان هادئين بلا شك.

بالطبع لم يكونا كذلك، لم يكن الأمر كذلك على الإطلاق.. حتى في الظلام القمري، كان بإمكانه ملاحظة أن الحبوب بدأت تتفكك، لتصبح شجيرات صغيرة، على بعد نصف ساعة من «المحطة» بدأ التغير.. حتى اللون بدا خاطئًا الآن، أشبه بالاصطناعي، لم يعد الأصفر العضوي الجميل الذي رآه من

قبل، بل أصفر كما لو اقترب جدًا من مصدر حرارة قوية، أصفر مريض وكأن معظم الحياة قد تلاشت منه.

أما ريتشارد، وعلى نفس قدر جودة الأراضي الغربية.. لفترة تسارعت انفاسه، ثم بكى بصمت وبدون خجل كالفتاة المرفوضة، ثم غرق في نوم متوتر.. «لا أستطيع العودة»، تمتم في نومه، أو هكذا فهم جاك كلماته.. في النوم، بدا وكأنه يتلاشى.

بدأت شخصية المشهد بالكامل تتغير. من امتداد السهول في «إليس-بريك»، تحوّلت الأرض إلى وديان صغيرة مظلمة ومخابئ سرية مليئة بأشجار سوداء، ألقيت صخور ضخمة في كل مكان، جماجم، بيض، أسنان عملاقة، تغيرت الأرض نفسها، أصبحت أكثر رملية، ارتفعت جدران الوادي مرتين على جانبي القضبان، وكل ما رآه جاك على الجانبين كان منحدرات حمراء منخفضة مغطاة بنباتات متسلقة، بين الحين والآخر، ظن أنه رأى حيوانًا يفر للاختباء، لكن الضوء كان ضعيفًا والحيوان سريعًا جدًا للتعرف عليه.

لكن غمر جاك شعور غريب، أنه لو توقف الحيوان تمامًا في منتصف شارع روديو عند الظهيرة، فلن يكون قادرًا على التعرف عليه يشير إلى أن رأسه أكبر مرتين مما يجب، وأن هذا الحيوان من الأفضل أن يتوارى عن نظر البشر.

بحلول مرور تسعين دقيقة، كان ريتشارد يئن في نومه، وتحولت الأرضية إلى غربة كاملة.. المرة الثانية التي خرجوا

فيها من أحد الوديان الضيقة، فاجأه شعور بالانفتاح... في البداية كان كأنه عاد إلى الأراضي مرة أخرى، أرض الأحلام.. ثم لاحظ، حتى في الظلام، أن الأشجار قزمة ومنحنية؛ ثم لاحظ الرائحة.. ربما نمت تدريجيًا في وعيه، لكن بعد أن رأى الأشجار القليلة متناثرة على السهول السوداء ملتفة كوحوش معذبة، لاحظ أخيرًا الرائحة الخفيفة ولكن الواضحة للفساد في الهواء.. فساد، نار جهنمية.. هنا الأراضي كانت نتنة، أو قريبة من ذلك...

كانت رائحة الزهور الميتة منذ زمن طويل تغطي فوق الأرض؛ وتحتها، كما في حالة أوزموند، رائحة أكثر خشونة وقوة.. إذا كان مورغان، في أي من أدواره، قد تسبب بذلك، فهو قد جلب الموت إلى الأراضي، هكذا ظن جاك.

الآن لم تعد هناك وديان معقدة، بل بدت الأرض صحراء حمراء شاسعة.. الأشجار القزمة كانت متناثرة على جوانب هذه الصحراء الكبرى، أمام جاك، امتدت القضبان الفضية المزدوجة عبر الفراغ الأحمر المظلم؛ وعلى جانبه، امتدت الصحراء الخالية أيضًا.

بدت الأرض الحمراء خاوية على أي حال.. لساعات عدة، لم يرَ جاك أي شيء أكبر من الحيوانات الصغيرة المشوهة التي تختبئ على منحدرات مسار السكك الحديدية، لكن أحيانًا ظن أنه لاحظ حركة انزلاقية مفاجئة، استدار بعينه ليراها، وكانت قد اختفت.. في البداية ظن أنه مُلاحق. ثم، لفترة

قصيرة لا تتجاوز عشرين أو ثلاثين دقيقة، تخيل أن الكلاب الغريبة من مدرسة ثاير تتعقبه، أينما نظر، توقف شيء عن الحركة، اختفى خلف إحدى الأشجار الملتفة أو انزلق في الرمال.

خلال هذا الوقت، لم تبدو صحراء الأراضي المدمرة فارغة أو ميتة، بل مليئة بالحياة الزاحفة المخفية.

دفع جاك ذراع القطار إلى الأمام (كما لو أن ذلك سيساعد) وحث القطار الصغير على الإسراع، أسرع، أسرع. استلقى ريتشارد في المقعد، يئن، تخيل جاك كل تلك الكائنات، تلك الأشياء التي ليست كلابًا ولا بشرًا، وهي تندفع نحوهم، وصلى أن تظل عينا ريتشارد مغلقتين.

«لا!» صرخ ريتشارد، لا يزال نائمًا.. كاد جاك أن يسقط من المقصورة، رأى إيثريدج والسيد دوفري يركضان خلفهم.. تقدموا، وألسنتهم تتدلى، وأكتافهم تتحرك، في اللحظة التالية، أدرك أنه كان يرى فقط الظلال تتنقل بجانب القطار، اختفى الطلاب ومديرهم مثل شموع عيد الميلاد.

«لا أحد هناك!» صاح ريتشارد. زفر جاك بهدوء.. إنهم بأمان.. فمخاطر الأراضي المدمرة مبالغًا فيها، كمبالغات السرد الأدبي.. خلال ساعات قليلة ستشرق الشمس مجددًا.. رفع جاك ساعته لمستوى عينيه، ورأى أنهم لم يمر عليهم في القطار أكثر من ساعتين.. فتح فمه بتثاؤب هائل، ووجد نفسه يندم على أكله الكثير في «المحطة».

قطعة من الكعكة، فكر، «هذا سيكون...»

وفجأة، قبل أن يكمل إعادة صياغته لسطور بيرنز التي اقتبسها العجوز أندرس بشكل مفاجئ، رأى أول كرة نارية، والتي أطاحت بشعوره بالطمأنينة إلى الأبد.

4

تدحرجت كرة من الضوء، لا يقل قطرها عن عشرة أقدام، على حافة الأفق، مشتعلة كالجحيم، وفي البداية انطلقت مباشرة نحو القطار.. تمتم جاك لنفسه «يا إلهي»، متذكرًا ما قاله أندرس عن كرات النار، إذا اقترب الإنسان كثيرًا من إحدى تلك الكرات النارية، يمرض مرضًا رهيبًا... يفقد شعره... من المحتمل أن تظهر قروح على جسده... يبدأ بالتقيؤ... يتقيأ ويتقيأ حتى تتمزق معدته وينفجر حلقه.. ابتلع ريقه بصعوبة، كان الأمر كابتلاع رطل من المسامير. قال بصوت مسموع «نجنا يا الله».

انطلقت كرة النار العملاقة مباشرة نحوه، كما لو إنها تمتلك عقلًا خاصًا بها وقررت محو جاك سوير وريتشارد سلوت من على وجه الأرض.. تسمم إشعاعي... انقبضت معدة جاك، وتجمدت خصيتاه في نصفه الأسفل تسمم إشعاعي... التقيؤ المستمر حتى تتمزق المعدة...

كان العشاء الممتاز الذي قدمه أندرس يكاد يقفز من معدته.. واصلت كرة النار التدحرج مباشرة نحو القطار، تطلق شرارات وتصدر صوت هسهسة بطاقتها النارية الخاصة.. خلفها تمدد أثر ذهبي متوهج، بدا وكأنه يحرض بطريقة سحرية خطوطًا أخرى متقدة، مشتعلة في الأرض الحمراء، وفي اللحظة التي ارتدت فيها كرة النار عن الأرض وتراقصت بقفزة ككرة تنس عملاقة، متجولة بشكل غير ضار نحو اليسار، لمح جاك للمرة

الأولى بوضوح المخلوقات التي كان يظن طوال الوقت أنها تتبعهم.

أضاء الضوء الذهبي المحمر لكرة النار المتجولة، والوهج المتبقي من آثارها القديمة في الأرض، كاشفًا عن مجموعة من الوحوش المشوهة التي بدا أنها تتبع القطار.. كانت كلابًا، أو كانت كلابًا سابقًا، أو أسلافها كانوا كلابًا، ونظر جاك بقلق نحو ريتشارد ليتأكد أنه لا يزال نائمًا.

المخلوقات التي تأخرت خلف القطار انبسطت على صفحة الأرض مثل الثعابين.. رأى جاك أن رؤوسها تشبه الكلاب، لكن أجسامها كانت تملك فقط أرجل خلفية متبقية، وبقدر ما استطاع أن يرى، كانت بلا شعر وبلا ذيول.. بدت مبتلة! جلدها الوردي الأملس يلمع مثل جلد الفئران حديثة الولادة.. زمجروا، كارهين أن يُروا.. إنها تلك الكلاب المتحورة المروعة التي رآها جاك على ضفاف حفر السكك الحديدية.. مكشوفة، منبسطة كالثعابين، همست وزمجرت وبدأوا بالانزلاق بعيدًا.. فهم أيضًا خافوا من كرات النار والخطوط التي تركتها على الأرض.

ثم شمّ جاك رائحة كرة النار، التي كانت تتحرك بسرعة الآن، بطريقة غاضبة تقريبًا نحو الأفق مجددًا، مشعلة صفًا كاملًا من الأشجار القزمة.. بفساد جهنمي.

ظهرت كرة نارية أخرى تتدحرج على الأفق وأضاءت جهة يسار الصبيين.. رائحة الاتصالات الفاشلة، الآمال المدمرة

والرغبات الشريرة... تخيل جاك، وقلبه معقود تحت لسانه، أنه رأي كل هذا في الرائحة النتنة التي تبثها كرة النار.

مواء، تفرّق تجمع الكلاب المتحورة إلى تهديد من الأسنان اللامعة، وهمسات حركة خفية، همس الأجسام الثقيلة بلا أرجل وهي تجر نفسها عبر الغبار الأحمر.. كم عددهم؟ من قاعدة شجرة محترقة حاولت إخفاء رأسها في جذعها، كشر اثنان من الكلاب المشوهة عن أسنان طويلة تجاهه.

ثم انطلقت كرة نارية أخرى في الأفق الواسع، مخلفة أثرًا وهجًا بعيدًا عن القطار، ولمح جاك للحظة ما بدا كحظيرة صغيرة متهالكة تقع أسفل منحنى جدار الصحراء مباشرة. أمامها وقف شكل بشري كبير، ذكر، نظر نحوه كان كبير الحجم مشعر قوي، وخبيث...

تيقن جاك تمامًا من بُطء القطار الصغير لأندرس، وأنه وريتشارد أكثر عُرضة لأي شيء قد يرغب في ملاحقتهم عن كثب.. أرسلت كرة النار الأولى الكلاب المروعة بعيدًا، لكن سكان الأراضي المدمرة من البشر قد يكونون أكثر صعوبة في مواجهتهم.. قبل أن يتلاشى الضوء إلى أثر متوهج، رأى جاك أن الشكل أمام الحظيرة كان يتابع تقدمهم، محركًا رأسه الكثيف بينما مر القطار بجواره.. إذا كانت تلك هيئة الكلاب، فما شكل البشر إذًا؟

في آخر ضوء متوهج من كرة النار، انزلق الكائن الشبيه بالإنسان جار مسكنه، تأرجح خلفه ذيل سميك يشبه ذيول

الزواحف، ثم توارى الكائن خلف جانب المبنى، وحل الظلام مجددًا ولم يبقى شيء مرئيًا لا كلاب، لا كائن بشري، لا حظيرة.. لم يعد جاك حتى متأكدًا من أنه رآهم فعليًا.

ارتج ريتشارد في نومه، وضغط جاك على ناقل الحركة البسيط، محاولًا بلا جدوى زيادة السرعة، تلاشت أصوات الكلاب تدريجيًا خلفهم.

متصببًا عرقًا، رفع جاك معصمه الأيسر مرة أخرى لمستوى عينيه ورأى أن خمس عشرة دقيقة فقط قد مرت منذ آخر مرة فحص فيها ساعته.. أدهشه تثاؤبه مرة أخرى، وندم مجددًا على أكله الكثير في «المحطة».

صرخ ريتشارد «لا! لا! لا أستطيع الذهاب هناك!»

«هناك؟» تساءل جاك.. «أين «هناك»؟ كاليفورنيا؟ أم أي مكان تهديدي، حيث قد ينهار تحكم ريتشارد الهش، كما ينهار الحصان غير المروض، ويبتعد عنه؟»

5

طوال الليل، وقف جاك عند عصا التحكم بينما ظل ريتشارد نائمًا، يراقب ما بقى من وهج كرات النار الراحلة على السطح المحمر للأرض. امتلأ الجو برائحتهم، رائحة الزهور الميتة والفساد الكامن، بين الحين والآخر، سمع ثرثرة الكلاب المشوهة، أو مخلوقات بائسة أخرى، ارتفعت من جذور الأشجار القزمة التي لم تزل متناثرة في المشهد.. أحيانًا أطلقت صفوف البطاريات شرارات زرقاء متقطعة.. وريتشارد في حالة تتجاوز النوم العادي، متكورًا في غياب أحتاجه وقد استدعاه بنفسه.. لم يعد يصرخ أو يتألم.. في الواقع، لم يفعل شيئًا سوى استلقاءه في ركنه من المقصورة يتنفس أنفاسًا مبتورة، كما لو أن مجرد التنفس يستنزف منه طاقة أكبر مما يملك.

كان جاك نصف راجي، ونصف خائف من قدوم النور.. عندما يحل الصباح، سيكون قادرًا على رؤية الحيوانات؛ لكن ماذا قد يرى أيضًا؟

من حين لآخر، رمق ريتشارد بنظرة.. بدا جلد صديقه شاحبًا بشكل غريب، بدرجة من الرمادي تكاد تكون شبحية...

6

حلّ الصباح بينما وهن الظلام.. فظهر شريط وردي على طول حافة الأفق الشرقي كحافة وعاء، وسرعان ما نما تحته خط وردي مشرق، دافقًا اللون الوردي المتفائل إلى أعالي السماء.. شعر جاك أن عينيه قد صارتا ورديتان مثل ذلك الشريط، وبدأت ساقاه تؤلمانه من التعب.. استلقى ريتشارد على مقعد المقصورة الصغير بأكمله، لا يزال يتنفس بطريقة متقطعة، شبه مترددة.. ورغم ذلك، بدا وجهه غريبًا في رماديته شبه الشبحية! رفرف جفناه في حلم، وأمل جاك ألا ينفجر صديقه في صرخة أخرى.. فتح ريتشارد فمه، لكن ما خرج كان طرف لسانه فقط، لا صرخة مدوية.. مرر لسانه على شفتيه العليا، شخر قليلاً، ثم غرق مجددًا في غيبوبة مشلولة.

رغم رغبة جاك الملحة في الجلوس وإغلاق عينيه، إلا أنه لم يزعج ريتشارد.. فكلما غزا الضوء الجديد تفاصيل الأراضي المدمرة، زاد أمله في أن تستمر غيبوبة ريتشارد طالما استطاع هو تحمل ظروف قطار أندرس العجيب.. لم يرد على الإطلاق أن يشهد رد فعل ريتشارد على غرائب هذه الأراضي.. القليل من الألم، وقليل من التعب.. ثمنًا زهيدًا مقابل ما اختبره من سلام مؤقت.

ما رآه من خلال عينيه الضيقتين كان منظرًا طبيعيًا بدا كل شيء فيه محطمًا، ذابلًا، مشوهًا.. في ضوء القمر، بدا كصحراء واسعة، رغم أنها صحراء مزودة بأشجار! أما الآن،

فقد أدرك جاك أن ما ظنه صحراءً حمراء لم يكن كذلك، بل إنه تربة واسعة، ناعمة يبدو أن أي رجل سيغوص فيها حتى كاحليه، إن لم يكن حتى ركبتيه.. ومن هذه التربة الجافة نمت الأشجار البائسة.. بالنظر إليها مباشرة، رآها كما بدت في الليل، متقزمة جدًا، وكأنها تحاول الانحناء للهروب تحت جذورها الملفوفة.. إن هذا سيئًا بما فيه الكفاية لريتشارد العقلاني.

لكن عند النظر إلى إحدى تلك الأشجار بعين جانبية، بدت ككائنًا حيًا معذبًا... الفروع المجهدة كالذراعين المرفوعتين فوق وجه متجمد في صرخة صامتة.. وطالما لم ينظر جاك مباشرة إلى الأشجار، رأى وجوهها المعذبة بكامل تفاصيلها فم على شكل O، عيون محدقة، أنف متدلي، تجاعيد طويلة مؤلمة على الخدود.. كانت تلعن، تتوسل، تعوي عليه... أصواتها المسموعة في الهواء كالدخان.. تأوه جاك.. مثل كل الأراضي المدمرة، كانت هذه الأشجار مسمومة.

امتدت الأرض المحمرة لأميال، متناثرة عليها بقع من العشب الأصفر اللاذع، ساطع كلون البول أو الطلاء الجديد.. لو لم يكن هذا اللون البشع، لبدت هذه البقع كواحات صغيرة، فكل واحدة تقع بجانب بركة مستديرة من الماء.

كان الماء أسود، وعوامات دهنية طفت على سطحه.. كثافته أكثر من الماء، لزج، سام. بدأت البركة الثانية التي رآها جاك تتماوج ببطء مع مرور القطار، وفي البداية ظنّ برعب

أن الماء الأسود حي، كائن معذب مثل الأشجار، ثم رأى شيئًا يشق سطح السائل.. ظهر جانب أسود عريض يتدحرج، ثم فم واسع جائع يعض الهواء، وحراشف متلألئة لو لم تُشوّهها البركة.. «يا إلهي»، فكر جاك، «هل هذا سمك؟» بدا ضخمًا، يقارب عشرين قدمًا، أكبر من أن يسكن البركة.. اهتز ذيله على سطح الماء قبل أن ينزلق الكائن بالكامل إلى عمق البركة.

نظر جاك إلى الأفق، متخيلًا لحظةً أن رأسًا يطلّ من فوقه، ثم أصابته صدمة شبيهة بتلك التي شعر بها مع وحش بحيرة لوخ نيس.. كيف يمكن لرأس أن يطلّ من أعلى الأفق؟

أدرك أخيرًا أن الأفق لم يكن الأفق الحقيقي... طوال الليل، كان قد قلّل من شأن الأراضي المدمرة، عند شروق الشمس، فهم أنه في وادٍ واسع، وأن الحافة البعيدة ليست حافة العالم، بل قمم تلال وعرّة، أي شخص أو شيء قد يكون يتعقبه، مختبئًا وراء الحافة.. تذكر الكائن الشبيه بالبشر ذو ذيل التمساح الذي انزلق حول جانب الكوخ الصغير...

ثُرى هل كان يتعقبه طوال الليل؟

حرك القطار بدفعة قصيرة عبر الوادي الغريب، فتقدم بسرعة بطيئة ومحبطة.

مسح جاك كامل التلال المحيطة، لم يرى سوى الشمس الصباحية تلمع على الصخور، استدار تمامًا في المقصورة،

متناسيًا التعب مؤقتًا أمام الخوف والتوتر.. ألقى ريتشارد ذراعه على عينيه، واستمر في نومه.

أي شيء أو أحد قد يكون يواكبهم، منتظرًا.

حركة بطيئة، شبه مخفية، على يساره جعلته يحبس أنفاسه.. حركة ضخمة، زاحفة... رأى جاك نصف دستة من رجال التمساح يزحفون على حافة التلال نحوه، فأحاط عينيه بكفيه محدقًا في المكان.. كانت الصخور ملطخة بالأحمر مثل التربة، وبينها ممر عميق ينساب عبر التلال.. ما تحرك بين الصخرتين كان شكلًا ليس حتى قريبًا من البشر.. بل ثعبانًا على الأقل هكذا اعتقد جاك... انزلق إلى جزء مخفي من الممر، ورأى جسدًا ضخمًا أملسًا يختفي خلف الصخور، ذو الجلد غريب الملمس ومحترق، مع أثر لثقوب سوداء في جانبه...

مدّ جاك عنقه ليرى المكان الذي سيظهر منه، فرأى رأس دودة عملاقة، ربعها مدفون في الغبار الأحمر، يدور نحوه، عينيها مغطاة بغشاء، لكنها رأس دودة.

اندفع حيوان آخر من تحت صخرة، وعندما اقترب رأس الدودة، رأى جاك أن الكائن الهارب كان أحد الكلاب المتحولة، فتحت الدودة فمها مثل فتحة صندوق بريد، وابتلعت الكلب ببراعة، وسمع جاك صوت العظام المتكسرة.. توقف نحيب الكلب الذي ابتلعته الدودة كأنه قرص دواء.

أمام الدودة الهائلة، رأي أحد المسارات السوداء التي تركتها كرات النار، ورأى جاك الدودة تحفر في الغبار مثل سفينة تغوص تحت سطح المحيط... فهمت الدودة أن آثار كرات النار قد تؤذيها، فحفرت تحتها، اختفى الكائن القبيح تمامًا في المسحوق الأحمر، ثم ألقى جاك نظرة على المنحدر الأحمر الملطخ بالعشب الأصفر اللامع، متسائلًا أين سيظهر مرة أخرى.

عندما تأكد أن الدودة لن تهاجم القطار، عاد جاك لتفقد سلسلة التلال الصخرية المحيطة به.

7

قبل أن يستفيق ريتشارد في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، رأى جاك رأسًا واحدًا على الأقل، واضح المعالم، يطلّ من فوق حافة التلال؛

كرتين أخريتين من كرات النار المرتجفة والقاتلة انقضّتا نحوه؛

الهيكل العظمي بلا رأس لما ظنّه في البداية أُرنبًا ضخمًا، ثم أدرك بفزع أنه طفل بشري، مسخ آثاره، واستلقى بجانب القضبان، يتبعه عن كثب..

جمجمة الطفل المستديرة واللامعة، نصف غارقة في التربة الرخوة.

ورأى أيضًا قطيعًا من الكلاب كبيرة الرؤوس، أكثر تشوّهًا من تلك التي رآها من قبل، تزحف وراء القطار بشكل مثير للشفقة، سائل لعابها إثر الجوع؛

ثلاثة أكواخ خشبية، مساكن بشرية، مرتفعة على ركائز فوق الغبار الكثيف، توحي بأن هناك في تلك البرية النتنة والمسمومة، الأراضي المدمرة، أشخاصًا آخرين يخططون ويصيدون الطعام؛

طائرًا صغيرًا جلديًا، بلا ريش، ذو وجه يشبه القرود مع لحية وهذه لمسة حقيقية من الأراضي، وأصابع محددة

بوضوح تبرز من أطراف جناحيه؛

وأسوأ ما في الأمر (بخلاف ما ظنه)، حيوانان لا يُمكن التعرف عليهما تمامًا، يشربان من إحدى البرك السوداء حيوانات بأسنان طويلة وعيون بشرية، نصفها الأمامي مثل الخنازير، والخلفي مثل القطط الكبيرة، ووجهها مغطى بالشعر.

ومع مرور القطار بجانب هذه الكائنات، رأى جاك أن خصيتي الذكر قد انتفختا إلى حجم الوسائد، متدليتين على الأرض.

ما الذي صنع مثل تلك المسوخ؟ الإشعاع النووي، حسب ظن جاك، إذ لا شيء آخر يكاد يمتلك مثل تلك القوة لتشويه الطبيعة.. الكائنات نفسها، المسمومة منذ الولادة، التي شربت الماء المسموم أيضًا، وهدّدت القطار الصغير بنباحها وتمتمتها الغاضبة أثناء مروره.

«قد يبدو عالمنا هكذا يومًا ما،» فكر جاك.. «يالله المتعة!»

8

قبل أن يستفيق ريتشارد في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، رأى جاك أشياءً ظنّها أول الأمر خيالية.. بدأ يشعر بحرارة وحكة في جلده، وكان قد ألقى بالفعل الغطاء الشبيه بالرداء الذي حل محل معطف مايلز ب. كيجر على أرضية المقصورة. وقبل الظهر، خلع قميصه البيتي أيضًا.. احتل في فمه طعم فظيع، مزيج حامض من معدن صدئ وفاكهة فاسدة، وسال العرق من خط شعره إلى عينيه.. كان متعبًا جدًا لدرجة أنه بدأ يحلم واقفًا، وعيناه مفتوحتان ومتألمتان من العرق.

رأى مجموعات كبيرة من الكلاب البذيئة تزحف فوق التلال؛ رأى الغيوم الحمراء فوقه تنفتح وتمد ذراعيها الملتهبين الشيطانيين نحوه ونحو ريتشارد.. وعندما أغلق عيناه أخيرًا، رأى مورغان من أوريس، بطول اثني عشر قدمًا، يرتدي الأسود، يطلق حوله الصواعق، ممزقًا الأرض إلى فوهات وغبار متصاعد.

تأوه ريتشارد وهمس، «لا، لا، لا.»

انفجر مورغان من أوريس كالضباب، وانفتحت عينا جاك المتألمة فجأة.

«جاك؟» نادى ريتشارد.

كانت الأرض الحمراء أمام القطار فارغة، إلا من آثار كرات

النار السوداء.. مسح جاك عينيه ونظر إلى ريتشارد، الذي تمدد على المقعد مستيقظًا ببطء.. «نعم»، قال.. «كيف حالك؟»

استلقى ريتشارد مرة أخرى على المقعد الصلب، بعينين نصف مفتوحتين ووجه ومادي متشنج.

«آسف لسؤالي»، قال جاك.

«لا، أنا بخير حقًا»، قال ريتشارد، وشعر جاك بأن جزءًا من توتره قد انزاح.. «ما زلت أعاني صداعًا، لكني بخير.»

«كنت تصدر الكثير من الأصوات في... أم...» قال جاك مترددًا، غير متأكد من مدى قدرة ريتشارد على استيعاب الواقع.

«في نومي.. نعم، أعتقد أنني فعلت.» تحرك وجه ريتشارد، ولكن للمرة الأولى لم يتحصّن جاك ضد صراخه.. «أعلم أنني لا أحلم الآن، جاك.. وأعلم أنني لا أعاني من ورم في الدماغ.»

«هل تعرف أين أنت؟»

«على ذلك القطار.. قطار الرجل العجوز.. فيما سماه الأراضي المدمرة.»

«حسنًا، لا أصدق!» قال جاك مبتسمًا.

احمرّ وجه ريتشارد تحت شحوب رمادي.

«ما الذي جلب هذا؟» سأل جاك، وهو مازال غير متأكد من إمكانية ثقته بتحول ريتشارد.

«حسنًا، كنت أعلم أنني لا أحلم»، قال ريتشارد، واحتقن خديه أكثر.. «أعتقد أن الوقت قد حان للتوقف عن المقاومة.. إذا كنا في الأراضي، إذن نحن هناك، مهما بدا ذلك مستحيلًا.» التقت عيناه بعين جاك، واللمحة الساخرة فيهما فاجأته.. «أتذكر تلك الساعة الرملية العملاقة في المحطة؟» عندما أومأ جاك، قال ريتشارد «حسنًا، هذا كان السبب حقًا... عندما رأيت ذلك الشيء، عرفت أنني لم أخترع كل شيء. لأنني أعلم أنني لم أستطع اختراع ذلك الشيء. لا أستطيع... ببساطة لا أستطيع.. لو كنت سأبتكر ساعة بدائية، لرأيت فيها كل أنواع العجلات والبكرات الكبيرة... لم تكن لتصبح بتلك البساطة.. لذا لم أخترعها.. إذاً كانت حقيقية.. وإذاً كل شيء آخر حقيقيًا أيضًا..»

«حسنًا، كيف تشعر الآن؟» سأل جاك.. «لقد نمت طويلًا.»

«ما زلت متعبًا جدًا حتى بالكاد أستطيع رفع رأسي.. لا أشعر بأنني جيد بشكل عام، أخشى ذلك.»

«ريتشار، يجب أن أسألك هذا.. هل هناك سبب يجعلك خائفًا من الذهاب إلى كاليفورنيا؟»

نظر ريتشارد إلى الأسفل وهزّ رأسه..

«هل سمعت يومًا عن مكان يسمى الفندق الأسود؟»

استمر ريتشارد في هز رأسه.. لم يكن يقول الحقيقة كاملة، لكن جاك أدرك أنه يواجه قدر ما يستطيع تحمله.. لا شيء

أكثر... لكن جاك كان مؤكدًا أن هناك المزيد، الكثير منه... سيتعين عليه الانتظار.. ربما حتى يصلوا فعليًا إلى الفندق الأسود.. الرفيق ريتشارد، الرفيق جيسون نعم، معًا سيصلان إلى منزل التعويذة وسجنها.

«حسنًا، إذن»، قال.. «هل يمكنك المشي بشكل جيد؟»

«أظن ذلك.»

«جيد، لأن هناك شيئًا أريد فعله الآن طالما أنك لم تعد تموت من ورم دماغي، أعني.. وأحتاج مساعدتك.»

«ما هو؟» سأل ريتشارد، وهو يمسح وجهه بيد مرتجفة.

«أريد فتح واحدة أو اثنتين من تلك الصناديق على العربة المسطحة لنرى إن كان بإمكاننا الحصول على بعض الأسلحة.»

«أكره الأسلحة والنار»، قال ريتشارد. «ويجب أن تكرهها أنت أيضًا.. لو لم يكن لدى أحد أي سلاح... والدك...»

«نعم، ولو كان للخنازير أجنحة لطارت»، قال جاك.. «أنا متأكد أن هناك من يتبعنا.»

«ربما يكون أبي»، قال ريتشارد بصوت متفائل.

أطلق جاك زمجرة، وأخرج عصا التحكم الصغيرة من أول فتحة، بدأ القطار يفقد قوته تدريجيًا.. وعندما توقف، وضع جاك العصا على الوضع المحايد.. «أتعتقد أن بإمكانك النزول

بشكل جيد؟»

«أوه بالتأكيد»، قال ريتشارد، ووقف بسرعة كبيرة.. فانحنت ركبتيه، وجلس بقوة على المقعد. بدا وجهه أكثر رماديّة من ذي قبل، وظهرت على جبينه وشفته العليا قطرات من العرق.. «آه، ربما لا»، همس.

«خذ الأمور بهدوء»، قال جاك، واقترب منه ووضع يدًا على مرفقه، والأخرى على جبهته الدافئة الرطبة.. «استرخِ.» أغمض ريتشارد عينيه لفترة وجيزة، ثم نظر في عيني جاك بتعبير ثقة مطلق.

«حاولت فعلها بسرعة كبيرة»، قال.. «جسدي كله إبر وخدر إثر بقائي في نفس الوضع طويلًا.»

«بهدوء إذن»، قال جاك، وساعد ريتشارد المنتفض على الوقوف..

«يؤلمني.»

«تحمل فقط لفترة قصيرة.. أحتاج مساعدتك، ريتشارد.»

خطا ريتشارد خطوة، وأطلق زمجرة أخرى.. «أوه..» تقدمت ساقه الأخرى.. ثم انحنى قليلًا وصفع فخذيه وساقيه براحتيه.. أثناء مراقبة جاك، تغيّر وجه ريتشارد، لكن هذه المرة لم يكن بألم... بل بدهشة مرنة كالمطاط.

تبع جاك اتجاه عين صديقه ورأى أحد الطيور بلا ريش ووجهه يشبه القرود يمر أمام القطار.

«نعم، هناك الكثير من الأشياء الغريبة هنا»، قال جاك.. «سأشعر بتحسن لو وجدنا بعض الأسلحة تحت القماش المشمع.»

«ما الذي تعتقد أنه على الجانب الآخر من تلك التلال؟» سأل ريتشارد. «المزيد من نفس الشيء؟»

«لا، أعتقد أن هناك المزيد من الناس هناك»، قال جاك.. «إذا كنت تستطيع تسميتهم بشرًا.. لقد رأيت شخصًا يراقبنا مرتين.»

عند ملاحظة ذعر سريع على وجه ريتشارد، قال جاك «لا أظن أنه أحد من مدرستك.. لكنه قد يكون شيئًا سيئًا مثلهم... لست أحاول إخافتك، صديقي، لكنني رأيت القليل من الأراضي المدمرة أكثر منك.»

«الأراضي المدمرة»، قال ريتشارد مشككًا، يرمش نحو الوادي الأحمر المغبر وعشب أصفر كالبول.. «أوه... تلك الشجرة... آه...»

«أعلم»، قال جاك.. «عليك أن تتعلم ببساطة تجاهلها.»

«من الذي يخلق مثل هذا الدمار؟» سأل ريتشارد.. «هذا ليس طبيعيًا، تعلم.»

«ربما سنتعرف على السبب يومًا ما.»

ساعد جاك ريتشارد على مغادرة المقصورة، ليقف الاثنان

على لوح ضيق يغطي قمم العجلات. «لا تنزل في الغبار»، حذره جاك.. «لا نعرف عمقه، لا أريد أن أضطر إلى سحبك منه.»

ارتجف ريتشارد لكن ربما كان بسبب ملاحظة شجرة أخرى تصرخ بطرف عينه.

تحرك الصديقان على طول جانب القطار الثابت حتى تمكنا من التأرجح إلى وصلة العربات الفارغة، ومنها لسلم معدني ضيق إلى سطح العربة. في نهاية العربة الأخرى، سلم آخر أنزلهم إلى العربة المسطحة.

سحب جاك الحبل السميك، محاولًا تذكر كيف أرخاه أندرس بسهولة. «أعتقد أنه هنا»، قال ريتشارد، حاملاً حلقة ملتوية مثل حبل المشنقة. «جاك؟»

«جرّب.»

لم يكن ريتشارد قويًا بما يكفي لفك العقدة بمفرده، لكن عندما ساعده جاك في شد الحبل البارز، اختفت الحلقة بسلاسة، وانطوى القماش المشمع فوق كومة الصناديق، سحب جاك الحافة لأعلى أقرب صناديق قطع الماكينة وعلى مجموعة أصغر لم يرها من قبل، مكتوب عليها عدسات. «ها هي»، قال. «ليتنا لدينا مفك.»

وقف جاك أمام الصندوق الطويل وأطبق فكيه، وضع يديه على زاوية الغطاء، بعد شهيق طويل، دفعه إلى الأعلى حتى

بدأت عضلاته تهتز، قبل أن يضطر للتوقف، صرخ «آآآه!» ورفع الغطاء.

كانت الصناديق مكدسة بالداخل، زلقة بالزيت، تحتوي على نصف دزينة من الأسلحة التي لم ير جاك مثلها كأنها مسدسات ميكانيكية تتحول إلى فراشات، نصف ميكانيكية، نصف حشرية، أخرج أحدها وتفحصه عن قرب.. كان سلاحًا آليًا، يحتاج إلى مخزن ذخيرة.

انحنى واستخدم فوهة السلاح لرفع غطاء أحد صناديق العدسات، كما توقع، في الصندوق الأصغر، كانت هناك كومة صغيرة من المخازن الثقيلة المزيتة والمعبأة في حبات بلاستيكية.

«إنه أوزي»، قال ريتشارد خلفه. «رشاش إسرائيلي صغير، سلاح عصري، على ما أظن أو كما يقال فهي لعبة الإرهابيين المفضلة»

«كيف عرفت ذلك؟» سأل جاك وهو يمد يده لسحب سلاح آخر..

«أشاهد التلفاز، كيف تتصور؟»

جرّب جاك المخزن، في البداية حاول وضعه مقلوبًا، ثم اكتشف الوضع الصحيح.. بعد ذلك عثر على مفتاح الأمان وأغلقه وأعاده.

«تلك الأشياء بشعة جدًا»، قال ريتشارد.

«خذ واحد لك أيضًا، ولا تشتكي.» أعطى جاك مخزنًا ثانٍ لريتشارد، وبعد لحظة من التفكير أخرج جميع المخازن من الصندوق، وضع اثنين في جيوبه، رمى اثنين لريتشارد، الذي تمكن من الإمساك بهما، وأدخل بقية المخازن في حقيبته.

«أوف»، تمتم ريتشارد.

«من أجل التأمين»، رد جاك.

9

انهار ريتشارد على المقعد بمجرد عودتهما إلى المقصورة؛ فقد استنزف طلوعه ونزوله السلمين والتنقل بحذر على الشريط المعدني الضيق فوق العجلات كل طاقته تقريبًا.. ومع ذلك، أفسح جاك له مكانًا للجلوس، ومضى يراقب صديقه بعينين ثقيلتي الجفون بينما بدأ هو يعيد تشغيل القطار.. التقط جاك سرواله المشمع وبدأ يفرك مسدسه به.

«ماذا تفعل؟»

«أزيل الزيت والدهون.. من الأفضل أن تفعل أنت أيضًا عندما أنتهي.»

جلس الصديقان بقية اليوم في المقصورة المكشوفة للقطار، يتصببان عرقًا، محاولين ألا يأبهوا للأشجار الصارخة، ولا لرائحة الفساد العابرة في الأرض، ولا لجوعهما.. لاحظ جاك أن حديقة صغيرة من التقرحات قد ظهرت حول فم ريتشارد.. أخيرًا أخذ جاك سلاح ريتشارد من يده، مسحه من الزيت، وأدخل المخزن.

أحس بملوحة العرق تحرق تشققات شفتيه.

أغمض جاك عينيه.. ربما لم ير تلك الرؤوس التي تطل من حافة الوادي؛ ربما لم يكونوا يتابعونهم في الواقع.. سمع البطاريات تتصاعد وتطلق شرارة كبيرة مفاجئة، وشعر بقفزة ريتشارد إثرها، بعد لحظة، غط في النوم، يحلم بالطعام.

10

هز ريتشارد كتفي جاك، فاستفاق من عالم كان فيه يأكل بيتزا بحجم إطار شاحنة...

كانت الظلال قد بدأت تنتشر عبر الوادي، مخففة من عذاب الأشجار الصارخة.. حتى هي، وهي تنحني منخفضة غاشية وجوهها بيديها، بدت جميلة في الغروب.. الغبار الأحمر العميق لمع وتوهج، وطبعت الظلال نفسها عليه، ممتدة تقريبًا بتجسد ملموس.. العشب الأصفر الرهيب يذوب نحو البرتقالي المائل إلى الصفاء، ضوء الشمس الأحمر الخافت يرسم نفسه بشكل مائل على الصخور عند حافة الوادي.

قال ريتشارد «ظننت أنك قد ترغب في رؤية هذا.» بدا أن بعض القروح الصغيرة ظهرت حول فمه.. ابتسم ريتشارد ابتسامة ضعيفة «بدت مميزة بعض الشيء... أعني الأطياف.»

خشى جاك أن يبدأ ريتشارد في شرح علمي لتغير الألوان عند الغروب، لكن صديقه كان متعبًا جدًا أو مريضًا جدًا من أن يتحدث في الفيزياء.. في صمت، شاهد الصديقان الألوان تتضافر مع الغسق، محوّلة السماء الغربية إلى مجد أرجواني.

قال ريتشارد «أتعلم ما الشيء الآخر الذي تحمله على هذا الشيء؟»

سأل جاك «ما الآخر؟» في الحقيقة، لم يكن يهتم كثيرًا.. قد يكون شيئًا ليس جيد.. لكنه كان يأمل أن يعيش ليرى غروب

شمس آخر غني كهذا، زاخر بالمشاعر.

قال ريتشارد «متفجرات بلاستيكية. كلها مغلفة في عبوات تزن رطلين أظن رطلين على أي حال.. لديك ما يكفي لتفجير مدينة كاملة.. إذا انطلقت إحدى هذه الأسلحة عن طريق الخطأ، أو إذا وضع شخص آخر رصاصة في تلك الأكياس، فإن هذا القطار لن يصبح إلا حفرة في الأرض.»

قال جاك «لن أفعل إذا لم تفعل.»

واستغرق في الغروب... بدا غريبًا كإشارة مسبقة، حلمًا بالإنجاز، وأعاد إليه ذكريات كل ما مر به منذ مغادرته فندق وحدائق قصر الحمراء. فجأة رأى والدته تشرب الشاي في المتجر الصغير، كامرأة عجوز متعبة؛ سبيدي باركر جالسًا عند قاعدة شجرة؛ وولف يرعى قطيعه؛ سموكي ولوري من حانة أوتلي الرهيبة؛ كل الوجوه المكروهة من دار الشمس.. هك باست، سوني سينجر، والآخرون. خاصة وولف الذي افتقده بشدة، فالغروب المنبسط، العميق استدعى ذكرياته بالكامل، رغم أن جاك لم يكن يستطيع تفسير السبب.. تمنى لو استطاع أخذ يد ريتشارد.

ثم فكر، «حسنًا، لماذا لا؟ وحرك يده على المقعد حتى اصطدمت بكف صديقه المتسخ والرطب، أغلق أصابعه حوله.»

تمتم ريتشارد «أشعر بالغثيان الشديد.. هذا ليس مثل

السابق.. معدتي تتألم، ووجهي كله يحكني.»

قال جاك «أعتقد أنك ستتحسن عندما نخرج أخيرًا من هذا المكان.» لكنه تساءل «ما الدليل على ذلك، أأنت طبيب؟ ما الدليل على أنك لا تسممه فقط؟» لم يكن لديه دليل.. عزى نفسه بالفكرة الجديدة التي اكتشفها مؤخرًا... أن ريتشارد جزء أساسي مما سيحدث في الفندق الأسود، سيحتاج إلى ريتشارد سلوت، ليس فقط لأنه يمكنه تمييز المتفجرات البلاستيكية عن أكياس السماد.

«هل سبق لريتشارد أن ذهب إلى الفندق الأسود؟ هل كان فعليًا في محيط التعويذة؟» نظر إلى صديقه، الذي متقطع الأنفاس.. استلقت يد ريتشارد في يده مثل تمثال شمعي بارد..

قال ريتشارد «لا أريد هذا السلاح بعد الآن.» ودفعه عن حجره.. «رائحته تجعلني مريضًا.»

قال جاك «حسنًا.» وأخذه إلى حجره بيده الحرة، تسللت إحدى الأشجار إلى مجال رؤيته المحيطية وعوت بصمت في عذاب.. سرعان ما ستبدأ الكلاب المشوهة في البحث عن الطعام.. نظر جاك إلى التلال على يساره، جانب ريتشارد، ورأى شكلًا يشبه الإنسان يتسلل من بين الصخور.

11

«مرحبًا»، قال، كأنه لا يصدق ما يرى.. وبلا اكتراث صادم، استمر الغروب الناري في تجميل ما لا يمكن تجميله.. «مرحبًا، ريتشارد.»

«ماذا؟ هل مرضت من جديد؟»

«أظن أنني رأيت أحدهم هناك.. على جانبك.» نظر مجددًا إلى الصخور الشاهقة، لكنه لم يرَ أي حركة.

«لا يهمني»، قال ريتشارد.

«من الأفضل أن يهمك.. هل ترى كيف يختارون التوقيت؟ يريدون الوصول إلينا حين يكون الظلام شديدًا لدرجة لا نستطيع فيها رؤيتهم.»

فَتَح ريتشارد عينه اليسرى على استحياء، وألقى نظرة نصف مبالية.. «لا أرى أحدًا.»

«ولا أنا الآن، لكنني سعيد لأننا عدنا وأخذنا هذه الأسلحة.. اجلس منتصبًا وركز، ريتشارد، إذا أردت الخروج من هنا حيًا.»

«لا تكن سخيفًا.. يا إلهي.» لكن ريتشارد رفع نفسه فعليًا وجلس منتصبًا وفتح عينيه الاثنتين.. «حقًا، لا أرى شيئًا هناك، جاك. الظلام بدأ يشتد.. ربما تتخيل...»

«اصمت»، قال جاك.. ظن أنه رأى جسدًا آخر يتسلل من بين الصخور عند قمة الوادي.. «هناك اثنان.. أتساءل إن كان

سيكون هناك آخرون؟»

«أتساءل إن كنا سنجد هناك أي شيء على الإطلاق»، تمتم ريتشارد. «لماذا يريد أحد أن يؤذينا، على أي حال؟ أعني، ليس...»

أشاح جاك بوجهه ونظر إلى المسار أمام القطار، تحرك شيء خلف جذع إحدى الأشجار الصارخة.. شيء أكبر من كلب، لاحظه جاك.

«أوه، لا»، قال جاك.. «أظن أن هناك شخصًا آخر ينتظرنا هناك.» لحظة، شعوره بالخوف شلّه... لم يعد يستطع التفكير فيما سيفعل لحماية نفسه من المعتدين الثلاثة.. تجمدت معدته.. التقط سلاحه من حجره ونظر إليه بذهول، متسائلًا إن كان سيتمكن فعليًا من استخدام هذا السلاح.. «هل يمكن أن يكون لدى خاطفي الأراضي المدمرة أسلحة أيضًا؟»

«ريتشار، آسف»، قال، «لكن هذه المرة أظن أن الأمور ستخرج حقًا عن السيطرة، وسأحتاج مساعدتك.»

«ماذا يمكنني أن أفعل؟» سأل ريتشارد بحدة رغم خفوت صوته.

«خذ سلاحك»، قال جاك وهو يسلمه له.. «وأعتقد أنه ينبغي أن نجثو حتى لا نكون هدفًا سهلًا جدًا.»

ركع، وقلّد ريتشارد حركته ببطء، كما لو كان يتحرك تحت الماء، من خلفهما تردد صراخ طويل، ومن فوقهما آخر. «إنهم

يعلمون أننا رأيناهم»، قال ريتشارد.. «لكن أين هم؟»

تلقَّي إجابة سؤاله على الفور.. حيث مازالت الرؤية واضحة تقريبًا في الغسق الأرجواني الداكن، اندفع رجل... أو ما بدا كرجل... من مخبأ وبدأ يركض أسفل المنحدر نحو القطار.. تطايرت الخرق خلفه، صرخ مثل هندي رافعًا شيئًا في يديه بدا وكأنه عصا مرنة، ومازال جاك يحاول معرفة وظيفتها عندما سمع... ولم يرى... شكلًا ضئيلاً يقطع الهواء بجانب رأسه.. «يا إلهي! لديهم أقواس وسهام!» تمتم..

تأوّه ريتشارد، وخشي جاك أن يتقيأ عليهما معًا.

«يجب أن أطلق عليه النار»، قال..

ابتلع ريتشارد وخرج صوت غير واضح.

«يا للعنة»، قال جاك، وأوقف الأمان في سلاحه.. رفع رأسه ورأى الكائن الممزق خلفه يطلق سهمًا آخر.. لو كانت الطلقة دقيقة، لما كان سيرى شيئًا آخر، لكن السهم اصطدم بجانب المقصورة بلا ضرر.. رفع جاك سلاحه وضغط الزناد.

لم يتوقع أيًا مما حدث.. ظن أن السلاح سيبقى ثابتًا بين يديه ويطلق بضع طلقات طاعةً له، بدلًا من ذلك، قفز السلاح بين يديه كحيوان، مطلقًا سلسلة أصوات عالية بما يكفي لإتلاف طبلة أذنيه.. رائحة البارود حرقت أنفه، لوح الرجل الممزق بذراعيه، لكن بدهشة، وليس لأنه أصيب! تذكر جاك أخيرًا أن يرفع إصبعه عن الزناد، لم يكن لديه فكرة عن عدد

الطلقات التي أضاعها أو كم تبقى في المخزن.

«هل ضربته؟ هل ضربته؟» سأل ريتشارد.

كان الرجل الآن يركض على جانب الوادي، أقدامه المسطحة الكبيرة تتخبط، ثم اكتشف جاك أنها ليست أقدامًا... كان يمشي على هياكل كبيرة تشبه الألواح، ما يعادل الزلاجات الثلجية في الأراضي المدمرة! محاولا الوصول إلى أحد الأشجار للاختباء.

رفع السلاح بكلتا يديه وصوّب على البرميل القصير، ثم ضغط الزناد برفق.. ارتد السلاح في يديه، لكن أقل من المرة الأولى، انطلقت الرصاصات في قوس واسع، وواحدة على الأقل أصابت هدفها، فسقط الرجل على جانبه كما لو صدمته شاحنة، طارت أقدامه عن الزلاجات.

«أعطني سلاحك»، قال جاك، وأخذ الرشاش الثاني من ريتشارد.. وهو مازال جاثيًا، أطلق نصف المخزن في الظلام أمام القطار، آملاً أن يكون قد قتل الكائن الذي ينتظر هناك.

ارتطم سهم آخر بالقطار، وآخر خبط بحزم على جانب العربة.

ارتجف ريتشارد وبكى أسفل المقصورة.. «اشحن سلاحي»، قال جاك، وأخرج مخزنًا من جيبه وناوله لريتشارد.. نظر للأعلى إلى جانب الوادي بحثًا عن المعتدي الثاني، فخلال أقل من دقيقة، سيصبح الظلام شديدًا لدرجة عدم رؤية أي

شيء تحت حافة الوادي.

«أراه»، صرخ ريتشارد..»رأيته... تمامًا هناك!» أشار إلى ظل يتحرك بصمت وعجلة بين الصخور، وأضاع جاك بقية مخزن السلاح الثاني وهو يطلق النار عليه بصخب، عند الانتهاء، أخذ ريتشارد الرشاش من جاك وسلمه الآخر.

«أولاد طيبون، أولاد جيدون»، جاء صوت من الجانب الأيمن... لم يكن بإمكانهم تحديد المسافة.. «توقفوا الآن، سأتوقف الآن أيضًا، فهمتما؟ كل شيء انتهى الآن، هذا العمل.. أنتم أولاد طيبون، ربما تعطوني ذلك السلاح.. لقد قتلتم جيدًا، أدرك ذلك.»

«جاك!» همس ريتشارد بحماسة، محذرًا إياه.

«ارمِ القوس والسهام»، صرخ جاك، وهو جاثيًا بجانب ريتشارد.

«جاك، لا يمكنك!» همس ريتشارد.

«سأرميهم الآن»، جاء الصوت، لا يزال أمامهم.. نفخ شيء خفيف في الغبار. «توقفوا انتم، أعطوني السلاح، فهمتما؟»

«حسنًا»، قال جاك. «تعال إلى هنا حيث يمكننا رؤيتك.»

«فهمت»، قال الصوت.

سحب جاك على ناقل الحركة، ودع القطار ينزلق حتى توقف. «عندما أصرخ»، همس لريتشارد، «اضغطه للأمام

بأقصى سرعة، حسنًا؟»

«يا إلهي»، تنفس ريتشارد.

تأكد جاك من أن مفتاح الأمان معطل على السلاح الذي أعطاه لريتشارد للتو، انزلقت قطرة عرق من جبينه مباشرة إلى عينه اليمنى.

«كل شيء جيد الآن، نعم»، تمتم الصوت.. «اجلسوا، نعم.. اجلسوا، يا أولاد.»

«تيقّظ، تيقّظ، رجاءً، رجاءً.»

دنى القطار من المتحدث.. «ضع يدك على ناقل الحركة»، همس جاك. «إنه قادم قريبًا.»

لمست يد ريتشارد المرتجفة، الصغيرة والطفولية، ذراع ناقل الحركة.

تذكر جاك فجأة، وبشكل حي، أندرس القديم يركع أمامه على أرضية خشبية متماوجة، ويسأله «هل ستكون آمنًا، يا مولاي؟» أجاب بلا مبالاة، كأنه لا يأخذ السؤال على محمل الجد.. ما قيمة الأراضي المدمرة لصبي كان يحمّل البراميل لسموكي أبدايك؟

الآن باتت أكثر مخاوفه من أن يتبول في سرواله لا أن يتقيأ ريتشارد طعامه على نسخة الأراضي من معطف مايلز ب. كيجر.

انفجر صراخ ضاحك في الظلام بجانب المقصورة، ورفع جاك نفسه، ورفع السلاح، وصرخ تمامًا كما اصطدم جسم ثقيل بجانب المقصورة وتمسك بها دفع ريتشارد ناقل الحركة للأمام، وتحرك القطار فجأة.

تشبثت ذراع مشعّرة عارية بجانب المقصورة وداعًا للغرب المتوحش، فكر جاك، ثم ارتفع جسم الرجل بالكامل فوقهم.. صرخ ريتشارد، وكاد جاك أن يفقد سيطرته تمامًا.

كان الوجه عبارة عن أسنان في الغالب... وجه شرير بالفطرة مثل أفعى تكشر عن أنيابها، وقطرة مما افترضه جاك على الفور سمًا سقطت من أحد الأسنان الطويلة المنحنية، باستثناء الأنف الصغير، كان الكائن الذي يلوح فوق الصبيين يشبه الرجل ذو رأس الثعبان، بيد واحدة غشائية رفع سكينًا فضغط جاك على الزناد مذعورا فانطلقت منه طلقات عشوائية..

ثم تغير الكائن وتراجع للحظة، واستغرق جاك جزءًا من الثانية ليدرك أن اليد الغشائية والسكين اختفيتا.. ضرب الكائن بجذعه الملطخ بالدم، تاركًا أثرًا أحمر على قميص جاك.. وبعقل معطل مؤقتًا، تمكنت أصابعه من توجيه الرشاش مباشرة إلى صدر الكائن وضغط الزناد.

انفتح ثقب كبير أحمر في وسط الصدر المرقّط، وانقبضت الأسنان المبتلة، وظل جاك ضاغطًا على الزناد، ورفع الرشاش فوهته بنفسه ودمر رأس الكائن خلال ثانيتين من الفوضى

العارمة.. ثم اختفى.. لم يبق منه سوى بقعة دم كبيرة على جانب المقصورة وبقعة الدم على قميص جاك لتثبت أن الصبيين لم يكونا يحلمان بكامل اللقاء.

«احذرا!» صرخ ريتشارد.

«لقد أصبته»، تنفس جاك.

«أين ذهب؟»

«سقط»، قال جاك.. «إنه ميت.»

«لقد أطلقت على يده»، همس ريتشارد.. «كيف فعلت ذلك؟»

رفع جاك يديه أمامه ورأى كيف ترتجفان.. وقد غمرتهما رائحة البارود.. «فقط قمت بمحاكاة شخص لديه هدف جيد.» استخدم يديه وأخرس شفتاه.

بعد اثنتي عشرة ساعة، ومع شروق الشمس مجددًا فوق الأراضي المدمرة، لم يغفل أي من الصبيين اللذان قضيا الليل بأكمله صامدان كجنديين، يحملان أسلحتهما في أحضانهما، متجهزين لسماع أدنى صوت.. متذكرين كمية الذخيرة التي يحملها القطار، أحيانًا أطلق جاك بعض الطلقات بشكل عشوائي على حافة الوادي.. وفي اليوم الثاني بأكمله، إن بقى أشخاص أو وحوش في هذا القطاع البعيد من الأراضي المدمرة، فقد تركوا الصبيين يمران دون إزعاج.. ما قد يعني، فكر جاك بتعب، أنهم يعرفون عن الأسلحة...

أو أن لا أحد هنا، بالقرب من الشاطئ الغربي، يريد أن يعبث

بقطار مورغان... لم يقل أيًا من ذلك لريتشارد، الذي بدت عيناه مغشية ومبهمة، وبدت عليه الحمى معظم الوقت.

12

مع حلول مساء ذلك اليوم، بدأ جاك يشم رائحة ماءٍ مالحٍ تتسللت عبر الهواء اللاذع.

الفصل السادس والثلاثون

جاك وريتشارد يذهبان إلى الحرب

1

اتسعت رقعةُ الغروبِ هذا المساء... إذ بدأت الأرض تنبسط من جديد كلما اقتربا من المحيط، والذي لم يكن بالغَ الروعة.. أوقف جاك القطار فوق تلٍّ متآكل، وصعد مرة أخرى إلى العربة المسطحة، أمضى ما يقرب من ساعةٍ وهو يُنقِّب هنا وهناك حتى أظلمت ألوان السماء الكئيبة، وحل محلها هلال رُبيعي ارتفع من الشرق، ثم عاد بستة صناديق، جميعها تحمل علامة العدسات.

قال لريتشارد

«افتح تلك، أحصِ ما بها.. لقد عينتك من الآن حارسَ أمشاط الطلقات.»

رد ريتشارد بصوتٍ باهت..

«رائع! كنتُ أعلم أن ما درسته له فائدة ما.»

عاد جاك مرة أخرى إلى العربة المسطحة، وبدأ يرفع غطاء أحد الصناديق المُعلّمة بأجزاء آلات، وبينما هو يفعل ذلك، سمع صرخة خشنة مبحوحة في مكانٍ ما من الظلام، تبعتها صرخة حادّة من الألم.

«جاك؟ جاك، أنت هناك؟»

«أنا هنا!» صاح جاك.. وهو يظن أنّ تبادل الصراخ بينهما هكذا... كما تفعل امرأتان تتشاكيان فوق سور خلفي أمر غير حكيم، لكن صوت ريتشارد بدا وكأنه على وشك الانهيار.

«ستعود قريبًا؟»

«سأكون عندك حالًا!» صاح جاك، وهو يحاول فتح برميل الـ«الرشاش» بشكل أسرع وأقوى.. كانا في طريقهما لمغادرة الأراضي المدمّرة، ولم يشأ جاك التوقف طويلًا.. ربما من الأسهل لو تمكن من حمل صندوق الرشاشات إلى مقدمة القطار، لكنه كان ثقيلًا جدًا.

«ليست ثقيلة... إنها رشاشاتي الصغيرة»، فكّر جاك، وأطلق ضحكة خافتة في الظلام.

«جاك؟» ارتفع صوت ريتشارد حادًا، مرتجفًا.

«اهدأ قليلًا يا صاحِبي.»

«لا تناديني يا صاحِبي،» قال ريتشارد بعصبية...

صرّت المسامير وارتفع غطاء الصندوق قليلًا، فانتزعه جاك، أمسك باثنتين من الرشاشات، وفي طريقه للعودة لمح صندوقًا آخر بحجم صندوق تلفاز صغير، مغطى بقطعة من المشمع.

ركض جاك فوق سطح العربة تحت ضوء القمر الخافت،

والنسيم يلفح وجهه بهواءٍ نقيٍ، حيث لا أثر للشذى الآسن، ولا شعور بالتحلّل... فقط رطوبة لطيفة ورائحة الملح الواضحة.

قال ريتشارد موبّخًا

«ماذا كنت تفعل؟ جاك، نحن نمتلك قدر وفير من الأسلحة والذخيرة! لماذا أحضرت المزيد؟ ربما خرج علينا أحد شيء ما في خضم لهوك!»

رد جاك

«سلاح أكثر لأن الرشاشات ترتفع حرارتها سريعًا، وذخيرة أكثر لأننا قد نظر لإطلاق الكثير من النار.. أنا أيضًا مثلك أشاهد التلفاز.. أفهمت؟»

وانطلق عائدًا نحو العربة، وقد أراد أن يعرف ما بداخل ذلك الصندوق المربّع.

تشبّث به ريتشارد.. استحالت يده من شدّة الرعب لمخلب طائر مذعور.

«ريتشارد، الأمور هتكون بخير...»

«ربما اختطفك شيء ما!»

«أظن إننا على وشك الخروج من الأر...»

«ربما اختُطفت أنا! جاك، لا تتركني وحيدًا!»

وانفجر ريتشارد في البكاء.. لم يلتفت بعيدًا، ولم يرفع يديه ليخفي وجهه؛ بل وقف هكذا، وجهه ملتويًا، وعيناه تفيضان

دموعًا.. بدا لجاك عاريًا... وما أقسى العُري في تلك اللحظات... فطوّقه بذراعيه واحتضنه.

«ماذا سأفعل لو هاجمك شيء أو قُتلت... ماذا أفعل؟» شهق ريتشارد..

«كيف... كيف يمكنني مغادرة هذا المكان وحدي؟»

«لا أعرف»، فكّر جاك. «لا أعرف حقًا...»

2

في نهاية الرحلة رافق ريتشارد جاك إلى مخزن الذخيرة المتنقل على العربة المسطحة، وعنى ذلك رفعه على السلم، ثم دعمه أثناء سيره على سطح المقصورة، ومساعدته على النزول بحذر، كما يساعد المرء سيدةً مسنّةً مُقعدةً لعبور الشارع! كان ريتشارد العقلاني يستعيد توازنه الذهني شيئًا فشيئًا، لكن حالته الجسدية تدهورت تدريجيًا.

على الرغم من تسرب الشحم الحافظ بين ألواحها، كان الصندوق المربّع مُعلّمًا بكلمة فواكه، ولم يكن ذلك بعيدًا عن الحقيقة تمامًا، كما اكتشف جاك عندما فتحوه حيث امتلأ الصندوق بالأناناس... من النوع القابل للانفجار.

همس ريتشارد

«يا إلهي...»

وافقه جاك قائلاً

«ما تلك...؟ ساعدني.. أظن أن بإمكان كل منا وضع أربعة أو خمسة داخل قميصه.»

سأل ريتشارد

«لماذا تريد كل هذه القوة النارية؟ هل تتوقع أن تحارب جيشًا؟»

رد جاك

«شيء من هذا القبيل.»

3

نظر ريتشارد إلى السماء بينما يعبر هو وجاك مجددًا سطح العربة المسطحة، وانتابه شعور بالدوار.. ترنحت ساقاه ومال جسده، فاضطر جاك للإمساك به ليمنعه من السقوط عن الحافة.. أدرك ريتشارد أنه لا يستطيع التعرف على اجرام نصف الكرة الشمالي ولا الجنوبي.. تلك نجومًا غريبة هناك... لكن هناك أنماط، وربما في مكان ما في هذا العالم المجهول والمذهل، يبحر البحارة مسترشدين بها.. وهذه الفكرة هي التي جعلت الواقع كله يترسخ في ذهن ريتشارد.. ترسخ بوقعٍ نهائي لا يمكن إنكاره.

ثم جاء صوت جاك من بعيد يناديه

«مرحبًا، ريتشي! جيسون! كدت تسقط عن الحافة!»

أخيرًا، عادا داخل المقصورة مرة أخرى.

دفع جاك الذراع إلى وضعية السير للأمام، وضغط على دواسة السرعة، وبدأ ضوء مورغان الضخم من أوريس يتحرك من جديد.. نظر جاك إلى أرضية المقصورة.. أربعة رشاشات أوزي، ما يقرب من عشرين كومة من أمشاط الطلقات، عشرة في كل كومة، وعشر قنابل يدوية ذات دبوس سحب يشبه غطاء علب البيرة.

تمتم جاك

«إذا لم نحصل على ما يكفي من المعدات الآن، فلا فائدة من المحاولة.»

سأل ريتشارد

«ماذا تتوقع، جاك؟»

هز جاك رأسه بلا كلام.

قال ريتشارد

«أظن أنك تعتقد أني أحمق حقيقي، أليس كذلك؟»

ابتسم جاك قائلاً

«لطالما ظننت ذلك، يا صاحِ.»

قال ريتشارد

«لا تناديني يا صاحِ!»

قال جاك مازحًا

«صاحِ.. صاحِ.. صاحِ!»

هذه المرة رسمت الدعابة ابتسامة صغيرة على وجه ريتشارد.. لم تكن كبيرة، لكنها أظهرت الخط المتزايد للتقرحات على شفتيه... وهي أفضل من لا شيء.

سأل ريتشارد، وهو يزيح أمشاط الطلقات جانبًا ويستلقي في زاوية المقصورة متدثرًا في شال جاك

«هل ستكون بخير إذا عدت للنوم؟ كل هذا التسلق

والحمل... أظن أني مريض حقًا، أشعر بالإرهاق الشديد.»

رد جاك

«سأكون بخير.»

وبالفعل بدا وكأنه استعاد نشاطه. وظن أنه سيحتاجه قريبًا...

قال ريتشارد

«أستطيع أن أشم رائحة المحيط.»

وسمع جاك في صوته مزيجًا مذهلًا من الحب والاشمئزاز والحنين والخوف.. أغلق ريتشارد عيناه ببطء.

دفع جاك دواسة السرعة إلى أقصى حد، وشعر بأن النهاية... أو نوعًا من النهاية... باتت قريبة أكثر من أي وقت مضى.

4

اختفت آخر البقايا الحقيرة والبائسة من الأراضي المدمرة قبل أن يتوارى القمر.. وظهرت الحبوب من جديد، بدت أكثر خشونة مما كانت عليه في إيليس-بريكس، لكنها ما زالت تبعث شعورًا بالنظافة والصحة...

سمع جاك تغريدات خافتة للطيور، بدت كالطيور البحرية، ذات صوتًا فريدًا لا يوصف، في هذه الحقول الواسعة المترامية التي فاح منها عبير الفواكه اللطيف، ورائحة ملح المحيط القوية.

بعد منتصف الليل، بدأ القطار يهمهم بين صفوف الأشجار، معظمها أشجار دائمة الخضرة، حيث امتزج عبق الصنوبر بملوحة الهواء، كأنه يرسخ الصلة بين المكان الذي انطلق منه والمكان الذي وصل إليه... لم يقض جاك وأمه وقتًا طويلًا في شمال كاليفورنيا ربما لأن بلوت كثيرًا ما يقضي عطلته هناك لكنه تذكر حديث ليلي له بأن الأراضي حول مندوسينو وسوساليتو تشبه نيو إنجلاند كثيرًا، حتى صناديق الملح والبيوت الصغيرة ذات الأسقف المائلة، وغالبًا ما كانت شركات الأفلام التي تحتاج لمواقع تشبه نيو إنجلاند تذهب شمال الولاية بدلًا من السفر عبر البلاد، ومعظم الجمهور لم يكن ليلحظ الفرق.

«بهذه الطريقة يجب أن يكون الأمر.. بطريقة غريبة، أشعر

أنني أعود إلى المكان الذي تركته خلفي...»

سأل ريتشارد

«هل تتوقع أن تحارب جيشًا؟»

كان جاك سعيدًا لأن ريتشارد قد نام، ولن يضطر للإجابة عن هذا السؤال على الأقل، ليس بعد...

تمتم أندرس في ذهنه

«أشياء شيطانية.. للذئاب الأشرار. لنأخذها إلى الفندق الأسود.»

كانت رشاشات الأوزي، المتفجرات البلاستيكية، القنابل اليدوية.. هي الأشياء الشيطانية هنا.. أما الذئاب الأشرار فلم يصلوا إليهم بعد.، فها هي العربة مازالت فارغة، ووجد جاك هذا الواقع مؤثرًا جدًا.

تمتم جاك

«إليك قصة يا ريتشي بوي، وأنا سعيد جدًا لأنك نائم، فلا أضطر لروايتها لك.. مورغان يعرف أني قادم، وهو يخطط لحفل مفاجأة.. لكن المشكلة أن الذئاب بدل الفتيات العاريات سيقفزن من الكعكة، ومن المفترض أن يحملن رشاشات أوزي وقنابل يدوية كهدايا للحفل.. حسنًا، لقد استولينا نوعًا ما على قطاره، ونحن متقدمون بعشر أو اثنتي عشرة ساعة عما نص عليه جدوله، لكن في حالة كوننا متجهين إلى معسكر مليء بالذئاب في انتظار القطار الإقليمي... وأظن أن هذا

بالضبط ما نفعله... فسنحتاج لكل عنصر مفاجأة يمكننا الحصول عليه.»

مرر جاك يده على جانب وجهه.

كان من الأسهل أن يوقف القطار بعيدًا عن مكان فرقة مورغان المقاتلة، ويحاصر المعسكر... إنه أسهل وأكثر أمانًا أيضًا.

لكن ذلك سيترك الذئاب الأشرار هنا، يا ريتشي، هل تفهم ذلك؟

نظر إلى ترسانة الأسلحة على أرضية المقصورة، وتساءل إن كان فعلاً يخطط لعملية كوماندوز ضد لواء الذئاب لمورغان... بعض الكوماندوز. جاك سوير القديم الطيب، ملك غسالي الأطباق المتشردين، ورفيقه الغائب عن الوعي، ريتشارد.. تساءل إن كان قد جنّ، وظن أنه كذلك، لأن هذا بالضبط ما كان يخطط له... آخر شيء قد يتوقعه أي منهم... وقد حدث الكثير، الكثير، والكثير جدًا. لقد ضُرب؛ قُتل وولف.. لقد دمّروا مدرسة ريتشارد ومعظم عقله السليم، ولما كان يعرف، قد يكون مورغان سلوت عاد إلى نيوهامشير، ليضايق والدته.

مجنون أم لا، لقد حان وقت الانتقام.

انحنى جاك، التقط أحد رشاشات الأوزي المحشوة، ورفعها فوق ذراعه بينما امتدت القضبان أمامه، وتصاعدت رائحة الملح تدريجيًا في الهواء.

5

خلال الساعات الأولى من الصباح، غفا جاك قليلًا مستندًا إلى ذراع دواسة السرعة.

ولم يكن ليواسيه كثيرًا لو علم أن هذا الجهاز يُسمّى ‹مفتاح الرجل الميت›.

وعندما بزغ الفجر، كان ريتشارد هو من أيقظه.

قال ريتشارد

«هناك شيءٌ في الأمام.»

قبل أن يلتفت لمشاهدة ما يقصده، حدّق جاك في ريتشارد بعناية.. آملاً أن يبدو ريتشارد أفضل في ضوء النهار، لكن حتى إشراقة الفجر لم تستطع إخفاء حقيقة مرضه.. لقد غيّر ضوء النهار الجديد اللون السائد في بشرته من الرمادي إلى الأصفر... هذا كل شيء.

ثم دوّى صوت أجش، أشبه بزئير حيواني أكثر من كونه كلامًا

«هاي! قطارا! يا أيها القطار اللعين!»

نظر جاك إلى الأمام.

كانا يقتربان من مبنى صغير ضيق، أشبه بحصن.

وأمام الحصن وقف كائنا ما يشبه وولف، لكن أي شبه بينه

وبين وولف الذي عرفه جاك انتهى عند عينيه البرتقاليتين المتوهجتين.

كان رأس ذلك الوولف مسطّحًا بشكل مخيف، كأن يدًا جبّارة جزّت قوس جمجمته من الأعلى، وجهه بارز من أعلى فكه السفلي المتدلّي كصخرة على وشك السقوط.. حتى البهجة المفاجئة المرتسمة على وجهه لم تستطع إخفاء غبائه الوحشي...

تدلت ضفائر شعر الكثيفة من وجنتيه، وحفرت ندبة على شكل X فوق جبينه.

كان يرتدي شيئًا يشبه زي المرتزقة أو ما تخيله جاك أن يكون زي المرتزقة.

سروال فضفاض أخضر يرتفع فوق حذاء أسود... لكن جاك لاحظ أن مقدمة الحذاء مقطوعة لتسمح لأصابعه الطويلة المغطاة بالشعر ذات المخالب المقوّسة بالخروج.

زمجر الوولف

«قطارا!»

وقفز في مكانه بفرح مسعور، مبتسمًا بوحشية، نافثًا رغوة قذرة من فمه، يفرقع بأصابعه كما لو كان يؤدي عرضًا جنونيًا

«قطارا! قطاااارا! القطار اللعين هنا والآن!»

تجلى فمه بابتسامة مروعة مشفت عن أسنان صفراء حادة

كالسهام.

«أنتم بعضكم مبكر... حسنًا، حسنًا!»

سأل ريتشارد، وهو يضغط على كتف جاك بيد مرتجفة رغم ثبات صوته!

«جاك... ما هذا؟»

أجاب جاك

«وولف.. واحد من رجال مورغان.»

«(ها قد قلت اسمه، يا جاك... يا أخرق!)

لكن لا وقت للقلق الآن...»

مرا بمحاذاة بيت الحراسة، والوولف واضح أنه يستعد للقفز إلى العربات..

رآه جاك يخطو متراقص بسخافة في التراب، حذاؤه المقطوع يضرب الأرض، وقد علّق سكينًا في حزام جلدي على صدره العاري كحزام ذخيرة... لكنه لم يكن يحمل أي سلاح ناري.

حرّك جاك زر الرشاش الأوزي إلى وضع الطلقة الواحدة.

تمتم ريتشارد من خلفه

«مورغان؟ أي مورغان؟ من هو مورغان؟»

رد جاك

«ليس الآن.»

وانحصر تركيزه كليًا على الوولف..

اصطنع ابتسامة بلاستيكية عريضة، وهو يخفي الأوزي إلى أسفل وبعيدًا عن النظر.

زمجر الوولف

«قطار أندرس! تمام! هنا والآن!»

كان على جانب القاطرة مقبض معدني أشبه بدبوس ضخم، فوق مقطورة عريضة كاللوح.

تعلّق الوولف بالمقبض وقفز بخفة جنونية على المقطورة، مبتسمًا بوحشية، ورغوة لعابه تتساقط على ذقنه.

«هاي! أين الرجل العجوز؟ وولف! أين...»

رفع جاك الأوزي، وأطلق رصاصة واحدة استقرّت في عين الوولف اليسرى.

انطفأ الضوء البرتقالي المتوهج كما تنطفئ شمعة من نفخة قوية...

تهاوى الوولف إلى الخلف من المقطورة، كمن أدى قفزة غبية، ثم ارتطم بالأرض ارتطامًا مترخّيًا.

صرخ ريتشارد

«جاك!»

وجذبه نحوه.

كان وجهه جامدًا كوجه الوولف... لكن ما شوهه لم يكن الفرح بل الرعب.

«هل كنت تقصد أبي؟ هل والدي متورّط في هذا؟»

قال جاك

«ريتشارد... هل تثق بي؟»

«نعم، لكن...»

«إذن دع الأمر الآن.. ليس هذا وقت الأسئلة.»

«لكن...»

«خذ سلاحًا.»

«جاك...»

«ريتشارد، خذ سلاحًا!»

انحنى ريتشارد والتقط أحد رشاشات الأوزي.

مردّدًا بصوتٍ مذعور لكنه ثابت..

«أنا أكره الأسلحة.»

أجابه جاك

«أعرف... ولست أحبها كثيرًا أنا أيضًا يا ريتشي بوي... لكن الآن... حانت لحظة الحساب.»

6

دنت القضبان الآن من سور مرتفع مشيد بالأخشاب المقشّرة، من خلفه، تصاعدت أصوات اللهاث والتهليلات، والتصفيق الإيقاعي، وصوت كعوب الأحذية تضرب الأرض العارية بنغمات منتظمة.. وأصوات أخرى أقل تحديدًا، لكنها جميعها شكّلت في ذهن جاك مجموعة مألوفة من عملية تدريب عسكرية.

كانت المسافة بين بيت الحراسة والسور المرتفع نحو نصف ميل، ومع كل هذا الضجيج، شك جاك في أن أحدًا قد سمع طلقة الرصاصة الواحدة.. وكان القطار، كونه كهربائيًا، شبه صامت.

لذا، فميزة عنصر المفاجأة مازالت في صالحهم.

اختفت القضبان تحت بوابة مزدوجة مغلقة على السور الجانبي، استطاع جاك رؤية خيوط الضوء تتسلل بين جذوع الأشجار المقشّرة الخشنة.

قال ريتشارد

«جاك، من الأفضل أن تبطئ السرعة.»

كانا الآن على بعد مئة وخمسين ياردة من البوابة، ومن خلفها، هتفت أصوات غاضبة بهتافات عسكرية،

فكر جاك مرة أخرى في مخلوقات ه. ج. ويلز وشعر

بقشعريرة تسري في جسده.

قال جاك مبتسمًا

«مستحيل، يا صاح.. سنتجاوز البوابة.. لديك الوقت لتهتف بتمرد وصخب كيفما شئت»

قال ريتشارد

«جاك، أنت مجنون!»

أجاب جاك بثقة

«أعرف.»

مئة ياردة.. همهمت البطاريات، قفز شرر أزرق، متصاعدًا مع صوت فحيح.. مرت الأرض العارية من جانبيهما بسرعة.. لا حبوب هنا، فكر جاك.. لو كتب نويل كوارد مسرحية عن مورغان سلوت، لربما كان سيطلق عليها اسم «روح الخراب».

تمتم ريتشارد بقلق

«ماذا لو خرج هذا القطار الصغير المخيف عن مساره؟»

قال جاك

«ربما يحدث ذلك، أظن..»

تسائل ريتشارد

«أو ماذا لو اخترق البوابة وانتهت القضبان فجأة؟»

قال جاك

«سنتحمل نحن العواقب، أليس كذلك؟»

خمسون ياردة.

تمتم ريتشارد

«حقًا، لقد جننت تمامًا، أليس كذلك؟»

أجاب جاك

«أظن ذلك.. أزل قفل الأمان عن سلاحك، ريتشارد.»

حرك ريتشارد قفل الأمان.

تصاعدت الأصوات.. دقات... أنفاس... رجال يسيرون في صفوف... صرير الجلد... صرخات... صرخة غير بشرية ضاحكة جعلت ريتشارد يرتجف.

ومع ذلك، رأى جاك في وجه ريتشارد عزيمة واضحة، جعلته يبتسم بفخر.. إنه مصمم على البقاء بجانبه... ريتشارد العقلاني القديم أو لا، إنه بالفعل عازم على البقاء بجواره..

خمس وعشرون ياردة.

صرخات... صياح... أوامر مدوّاة... وصوت زاحفي كثيف... غروو.. أووو!... جعل شعر جاك يقف فوق قفاه.

قال جاك

«إذا خرجنا من هذا، سأشتري لك سندويش تشيلي دوغ من ديري كوين(2).»

صرخ ريتشارد

«لأقف شامخًا!»

وبشكل مدهش، بدأ يضحك... في تلك اللحظة بدا اللون الأصفر غير الصحي يتلاشى قليلًا عن وجهه.

خمس ياردات...

كانت الأعمدة المقشّرة التي شكّلت البوابة صلبة، نعم، صلبة جدًا، ولم يتبق لجاك سوى لحظة للتساؤل إن كان قد ارتكب خطأً فادحًا.

صاح جاك

«انخفض، يا صاح!»

قال ريتشارد متلعثمًا

«لا تناديني بـ...»

اصطدم القطار ببوابة السور، فأطاح بهما إلى الأمام.

7

كانت البوابة قوية جدًا، وبالإضافة إلى ذلك، زودت بتعزيزات مزدوجة من الداخل، بعارضتين خشبيتين ضخمتين، لم يكن قطار مورغان كبيرًا للغاية، والبطاريات باتت شبه فارغة بعد رحلته الطويلة عبر الأراضي المدمرة، من المؤكد أن الاصطدام كان سيؤدي إلى انحراف القطار عن القضبان، وربما قُتل الصبيين في الحادث، لكن للبوابة نقطة ضعف...

فالمفصلات الجديدة، المصنوعة على المواصفات الأمريكية الحديثة، قد تم طلبها، لكنها لم تصل بعد، فانكسرت المفصلات الحديدية القديمة عندما اصطدم المحرّك بالبوابة.

اندفع القطار داخل السور بسرعة خمس وعشرين ميلاً في الساعة، وهو يدفع البوابة الممزقة أمامه.

تم إنشاء مسار عقبات حول محيط السور، وبدأت البوابة، وكأنها جاروف ثلج، تدفع الحواجز الخشبية المؤقتة أمامها، وتقلبها، وتدحرجها، وتحيلها إلى شظايا.

وأصابت البوابة أيضًا ذئبًا كان يؤدي جولات العقاب، دُهست قدماه أسفل البوابة المتحركة وقُطعت، مع حذائه المعدل المخصص بالكامل، صرخ وهو يزأر، وبدأت عملية تحوله، فقفز متسلقًا البوابة بمخالبه التي كانت تنمو بسرعة لتصبح طويلة وحادة كمسامير عمال خطوط الهاتف، وها هي البوابة

الآن على بُعد أربعين قدمًا داخل السور، وبشكل مذهل، وصل تقريبًا إلى القمة قبل أن يضع جاك ذراع الحركة على الوضع المحايد. توقف القطار، وسقطت البوابة، وارتفعت سحابة كبيرة من الغبار، وشحق الذئب البائس تحتها، وتحت آخر عربة من القطار، واصل شعر أقدام الذئب المقطوعة نموه! واستمر ذلك لعدة دقائق أخرى.

كان الوضع داخل المعسكر أفضل مما تجرأ جاك على توقعه.. بدا أن المكان قد استيقظ مبكرًا، كما هو الحال في المنشآت العسكرية عادةً، ومعظم القوات بالخارج، تؤدي تدريبات غريبة ومتنوعة من تمرينات بناء الجسد.

صاح جاك لريتشارد

«على اليمين!»

رد ريتشارد

«ماذا أفعل؟»

فتح جاك فمه وصرخ.. من أجل العم تومي وودباين، الذي دهسته سيارة في الشارع؛ من أجل سائقي العربات المجهولين، الذين جلدوا حتى الموت في الفناء الموحل؛ من أجل فريد جانكلو؛ من أجل وولف، القتيل في مكتب جاردنر المنير القذر؛ من أجل والدته؛ ولكن أكثر من كل شيء، اكتشف، من أجل الملكة لورا ديلوسيان، التي كانت أيضًا والدته، ومن أجل الجريمة التي تُرتكب على جسد الأراضي.

صرخ جاك، بصوت جيسون، وكان صوته كالرعد

«اسحقهم!»

ثم فتح النار على الجهة اليسرى.

8

إلى جانب جاك كانت هناك ساحة تدريب وعرة، وعلى جانب ريتشارد ارتفع مبنى خشبي طويل، بدا المبنى الخشبي وكأنه بيت النوم في أفلام روي روجرز، لكن ريتشارد خمّن أنه ثكنة..

في الحقيقة، بدا هذا المكان كله أكثر ألفةً بالنسبة لريتشارد من أي شيء رآه حتى الآن في هذا العالم الغريب الذي أخذه إليه جاك.. لقد رأى أماكن مشابهة في نشرات الأخبار التلفزيونية.. المتمردون المدعومون من وكالة الاستخبارات الأمريكية يتدربون في أماكن كهذه استعدادًا للسيطرة على دول أمريكا الوسطى والجنوبية، الفرق أن المخيمات التدريبية كانت عادة في فلوريدا، وليس هؤلاء الكوبانو الذين يخرجون من الثكنة، لم يعرف ريتشارد من هم.

بعضهم بدا وكأنه مستوحى من لوحات العصور الوسطى للشياطين والساتير(3)، وبعضهم بدوا ككائنات بشرية منحطة أشبه بسكان الكهوف، وأحد الكائنات التي تتلوى في ضوء الصباح المبكر كان جلده متقشرًا، وجفونه تتحرك بشكل سريع... بدا لريتشارد وكأنه تمساح يمشي منتصبًا، وعندما رفع رأسه، أطلق تلك الصرخة التي سمعها هو وجاك سابقًا.. «غروو-أووووا!»، لم يبق لريتشارد سوى لحظة ليدرك أن معظم هذه المخلوقات الجهنمية تبدو مرتبكة تمامًا، ثم مزّق

رشاش جاك العالم بالرصاص المدوي.

من ناحية جاك، كان هناك نحو عشرين ذئبًا يقومون بتمارين القفز في ساحة التدريب مثل ذئب بيت الحراسة، كان معظمهم يرتدي سراويل عسكرية خضراء، أحذية مقطوعة الأصابع، وأحزمة زخيرة مثل الحارس، بدا معظمهم غبيًا، ذوي رؤوس مسطحة، وأشرارًا بطبيعتهم.

توقفوا في منتصف مجموعة من تمارين القفز العنيفة لمراقبة القطار وهو يندفع، والبوابة والرجل التعيس الذي جرى في المكان الخطأ ملتصقان بمقدمة القطار، وعند صراخ جاك بدأوا يتحركون، لكن الأوان قد فات.

تم القضاء على معظم لواءات الذئاب المختارين بعناية مورغان، الذين تم انتقاؤهم على مدى خمس سنوات لقوتهم ووحشيتهم وخوفهم وولائهم لمورغان، في دفعة واحدة من طلقات رشاش جاك... انقلبوا وتعثروا إلى الوراء، صدورهم مفجّرة، رؤوسهم تنزف، تعالى زئير الغضب والآلام... لكن القليل منهم فقط نجا، أما معظمهم فقد مات.

أنهى جاك مخزن الذخيرة، وأمسك بآخر، وأدخله بسرعة.

على الجانب الأيسر من ساحة التدريب، فرّ أربعة ذئاب؛ وفي الوسط سقط اثنان آخران تحت خط النار، كلاهما أصيب، لكنهما الآن يتقدمان نحوه، أصابعهم الطويلة تحفر الأرض المدموغة، وجوههم تنبت شعورًا، وعيونهم تتوهج،

وعندما ركضوا نحو القطار، رأى جاك أنيابهم تنمو من أفواههم وشعر جديد ينبت من ذقونهم.

ضغط على زناد الرشاش، ممسكًا بالماسورة الساخنة بصعوبة؛ الارتداد الشديد حاول رفع الفوهة فقذف الذئبان المهاجمان إلى الخلف بعنف شديد، حتى انقلبوا في الهواء رأسًا على عقب كألعاب بهلوانية، أما الأربعة الآخرون فلم يتوقفوا، وتوجهوا إلى المكان حيث كانت البوابة قبل دقيقتين.

الكائنات الأخرى التي انطلقت من الثكنة على شكل بيت النوم بدأت تفهم أخيرًا أن القادمين الذين يقودون قطار مورغان ليسوا ودودين، لم يكن هناك هجوم منسق، لكنهم بدأوا يتحركون في تجمع غامض، وضع ريتشارد ماسورة الرشاش على جانب القطار وفتح النار.

مزقت الطلقات أجسادهم، ودفعتهم للوراء، سقط اثنان منهم على أيديهم وركبهم أو حوافرهم وهرعوا إلى الداخل.

رأى ريتشارد ثلاثة آخرين يسقطون تحت قوة الطلقات، اجتاحه شعور سادي شديد بالفرح.

مزقت الطلقات أيضًا بطن الكائن التمساحي الأخضر والأبيض، وبدأ سائل أسود يشبه الدم لكن ليس دمًا يتدفق منه، سقط إلى الخلف، لكن ذيله بدا وكأنه يخفف السقوط فقفز مرة أخرى إلى جانب القطار الذي فيه ريتشارد مطلقًا

صرخة قوية مجددًا... وهذه المرة بدا لريتشارد أن هناك شيئًا مخيفًا ومؤنثًا في صوته.

ضغط ريتشارد زناد الأوزي، لم يحدث شيء... لقد فرغ المخزن.

ركض الكائن التمساحي ببطء، ثقل، عزم مدقع... عيناه تتلألأ بالغضب القاتل والذكاء، يرتج صدره المتقشر.

انحنى ريتشارد، ولم يرفع عينيه عن الكائن، وأمسك بأحد القنابل اليدوية.

فكر ريتشارد حالمًا.. «جزيرة سيبروك، جاك يسمي هذا المكان الأراضي، لكنه في الحقيقة جزيرة سيبروك، لا حاجة للخوف، فهذا كله حلم، وإذا أمسكت مخالبه المتقشرة بعنقي فسأستيقظ حتمًا، وحتى لو لم يكن حلمًا، سيحميني جاك بطريقة ما... أعلم أنه سيفعل، لأنه هنا جاك كإله نوعًا ما.»

سحب الدبوس من القنبلة، وكبح رغبته القوية في رميها في فزع، وألقى بها بلطف فانسابت من يده. «جاك، انخفض!»

انخفض جاك على الفور دون أن ينظر، وفعل ريتشارد مثله، لكن قبل ذلك رأى شيئًا أسود مضحك بشكل لا يصدق.. الكائن التمساحي أمسك بالقنبلة... وكان يحاول أكلها.

لم يكن الانفجار الفرقعة الخافتة التي توقعها ريتشارد، بل صرخة مدوية كالزئير اخترقت أذنيه وألحقت بهما الألم.. سمع رذاذًا، كما لو أن شخصًا رمى دلو ماء على جانب القطار.

نظر لأعلى، فرأى الاحشاء الساخنة وقد غطت المحرك والعربة والصندوق، والدم الأسود، وقطع من لحم الكائن التمساحي.. لقد دُمّر مقدمة مبنى الثكنة بالكامل، وتخضب معظم الحطام المتناثر بالدماء.

في خضم ذلك، لمح قدم مشعرة في حذاء مقطوع الأصابع.

تطايرت جذوع الأشجار الملقاة جانبًا بينما هو يراقب، وبدأ اثنان من الكائنات الشبيهة بالماعز في سحب أنفسهم للخروج.. انحنى ريتشارد، وجد مخزنًا جديدًا، وأدخله في سلاحه، أصبح السلاح ساخنًا، مثلما أخبره جاك.

«يا لها من فرحة!» فكر ريتشارد بخفوت، وعاد لإطلاق النار مجددًا...

9

عندما نهض جاك بعد انفجار القنبلة، رأى أن الذئاب الأربعة الذين نجوا من التراشقين الأوليين ركضوا عبر الفتحة التي كانت فيها البوابة، وارتفع عوائهم رعبًا، راكضين جنبًا إلى جنب، وكانت أمام جاك فرصة واضحة لإطلاق النار عليهم حيث رفع رشاشه الأوزي، ثم خفّضه مرة أخرى، وهو يعلم أنه سيرى هؤلاء لاحقًا، ربما في الفندق الأسود، وهو يعرف أنه أحمق... لكن، أحمقًا كان أم لا، لم يستطع ببساطة أن يطلق النار عليهم من الخلف.

وفي تلك اللحظة، انطلقت صرخة عالية، ذات نبرة نسائية، من خلف الثكنة «اخرجوا! اخرجوا أقول لكم! تحركوا! تحركوا!» وتبعها صوت صفير السوط وهو ينكسر في الهواء.

عرف جاك ذلك الصوت وعرف تلك النبرة جيدًا.. كان ملفوفًا في قميص المجانين عندما سمعه آخر مرة، وأمكنه التعرف على هذا الصوت في أي مكان... «إذا ظهر صديقه المتأخر عقليًا، أطلقوا عليه النار.» لقد نفذوا ذلك، لكن ربما حان وقت السداد الآن... وربما، من نبرة صوتك، أنت تعرف ذلك...

«أمسكوهم! ما خطبكم أيها الجبناء؟ أمسكوهم! هل عليّ أن أريكم كيف يتم كل شيء؟ اتبعوني! اتبعوني!»

خرجت ثلاثة مخلوقات من خلف بقايا الثكنة، ولم يكن بينهم بشريًا إلا واحد أوزموند الذي حمل سوطًا في يده

وبندقية «ستن» في الأخرى وقد ارتدى عباءة حمراء، وحذاء أسود، وسروالا حريريًا أبيض واسع الساقين، ملطخًا بدماء طازجة.. وعلى يساره وقف مخلوق ماعزي أشعث يرتدي سروال جينز حذاء غربي، تبادل جاك والمخلوق النظرات، وتعرفا على بعضهما فورًا.. إنه راعي الحانة المرعب من «أوتلي تاب».. إنه راندولف سكوت.. إنه إيلروي.. ابتسم إيلروي، ولسانه الطويل امتد ولعق شفته العليا العريضة.

«أمسكه!» صاح أوزموند على إيلروي.

حاول جاك رفع بندقيته الأوزي، لكنها بدت فجأة ثقيلة جدًا بين ذراعيه... كان أوزموند شريرًا، وعودة إيلروي كانت أسوأ، لكن الشيء بينهما كان كابوسًا... كان النسخة الإقليمية من رويل جاردنر، بالطبع؛ ابن أوزموند وابن «نور الشمس». وكان يشبه إلى حد ما طفلًا.. طفلًا كما يرسمه تلميذ روضة ذكي ذو نزعة قاسية...

كان لونه أبيض خثري ونحيل، وتنتهي إحدى ذراعيه بمحلاق دودي يذكّر جاك بسوط أوزموند.. عيناه، إحداهما ضالة، على مستويات مختلفة، ودمامل حمراء منتفخة تغطي خديه.

«بعضها بسبب مرض الإشعاع... يا جايسون، أظن أن ابن أوزموند اقترب أكثر من اللازم من إحدى تلك الكرات النارية... أما الباقي... يا جايسون... يا إلهي... من كانت أمه؟ بحق جميع العوالم، ما كانت أمه؟»

«امسكوا المزيف!» صرخ أوزموند.. «أنقذوا ابن مورغان لكن امسكوا بالمزيف! امسكوا جايسون الزائف! اجهزوا عليهم أيها الجبناء! لقد نفدت ذخيرتهم!»

تردد زئير وصياح.. وفي لحظة، أدرك جاك أن دفعة جديدة من الذئاب، مدعومة بمخلوقات غريبة ومشوّهة، ستظهر من الطرف الخلفي للثكنة الطويلة، حيث كانوا محميين من الانفجار، وربما اختبئوا خافضين رؤوسهم، وربما ظلوا كذلك... لو لم يكن أوزموند موجودًا.

«كان يجب أن تبقى بعيدًا عن الطريق، أيها الفرخ الصغير» تمتم إيلروي، واندفع نحو القطار.. ترنح ذيله في الهواء.. رويل جاردنر... أو مهما كان اسمه في هذا العالم... أطلق صوت مواء كئيف وحاول اللحاق به.. أمسكه أوزموند وأرجعه؛ ورأى جاك أصابعه وهى تغوص مباشرة فى رقبة الصبي الوحشية المقشّرة والمقززة.

ثم رفع الرشاش وأفرخ خزنة كاملة من الطلقات القريبة في وجه إيلروي.. مزقت الطلقات رأس الماعز تمامًا، ومع ذلك واصل إيلروي، بلا رأس، التسلق للحظة، وكانت إحدى يديه، التي اندمجت أصابعها لتشكل محاكاة لحافر مقسوم، تلوّح عمياء على رأس جاك قبل أن تسقط للخلف.

حدق جاك فيه مذهولًا... لقد حلم بتلك المواجهة الكابوسية النهائية في «أوتلي تاب» مرارًا وتكرارًا، محاولًا الانسحاب من

الوحش عبر ما بدا وكأنه غابة مظلمة مليئة بالاسلاك الشائكة وشظايا الزجاج.. والآن، ها هو ذلك المخلوق، وقد قتله بطريقة ما.

كان من الصعب على عقله استيعاب ذلك، وكأنه قتل وحش الطفولة.

صرخ ريتشارد وبندقيته الآلية تهدر، حتى كادت تصمّ آذان جاك.

«إنه رويل! يا جاك، يا إلهي، يا جايسون، إنه رويل، إنه رويل...»

أطلق الرشاش في يد ريتشارد رشقة قصيرة أخرى قبل أن يصمت، وقد نفدت ذخيرته... تحرّر رويل من والده، وتمايل وقفز نحو القطار، وهو يموء.. انحنت شفته العليا إلى الخلف، مكشرة عن أسنان طويلة تبدو مزيفة وهشة، مثل أسنان الشمع التي يرتديها الأطفال في عيد الهالوين.

أصابت الرشقة الأخيرة صدره وعنقه، مخترقة الملابس البنية الممزقة التي كان يرتديها، وممزقة اللحم في شقوق طويلة ومرتفعة، تدفقت جداول من الدم الداكن ببطء من تلك الجروح، لكنها لم تتجاوز ذلك.. ربما كان رويل يومًا ما بشريًا... افترض جاك أن ذلك ممكن.. ولو كان كذلك، فإنه لم يعد بشريًا الآن؛ لم تبطئه الرصاصات، إن الشيء الذي قفز بارتباك فوق جسد إيلروي لهو شيطانًا.. رائحته كرائحة الفطر

المبلل.

شعر جاك بشيء دافئ على ساقه.. في البداية مجرد دفء... ثم حرارة! ما هذا؟ شعر وكأنه يحمل إبريق شاي في جيبه.. لكن ليس لديه وقت للتفكير.. الأمور تتكشف أمامه، بألوان حية.

أسقط ريتشارد الرشاش وتمايل إلى الخلف، مخبئا وجهه بكفيه... حدقت عيناه بذهول إلى مخلوق رويل عبر أصابعه.

«لا تدعه يمسّني، جاك! لا تدعه يمسّنيييي!»

ماء رويل وصدرت عنه موجات صوتية.. صفع يديه جانب المحرك، وكان الصوت كضرب زعانف كبيرة على طين كثيف..

رأى جاك أن هناك بالفعل غشاءً سميكًا يميل إلى الصفرة بين أصابعه.

«عدا!» صرخ أوزموند على ابنه، والخوف في صوته واضحًا. «عد، إنه شرير، سيؤذيك، كل الأولاد شريرون، هذا بديهي، عد، عدا!»

ماء رويل يموء وأصدر زمجرة حماسية.. جذب نفسه للأعلى وصرخ ريتشارد بجنون، متراجعًا إلى أقصى زاوية المقصورة.

«لا تدعه يمسّنيييي...»

ظهرت المزيد من الذئاب والمخلوقات الغريبة حول الزاوية..

سقط أحدها، وهو مخلوق بقرون حلزونية ملتفة من جانبي رأسه ويرتدي سروالًا رثًا، وذهس من قبل الآخرين.

تحلق الدفء حول ساق جاك.

ألقى رويل ساقيه النحيلتين عبر جانب المقصورة.. يتساقط لعابه، ويقترب نحوه، وساقيه تتلوى لا ليسا ساقين على الإطلاق، بل مجسات.. رفع جاك الرشاش وأطلق النار.

انشق نصف وجه مخلوق رويل كالهلام، تدفقت ديدان مما تبقى...

ورغم ذلك، استمر رويل في الاقتراب.. ماذا يديه الغشائيتين نحوه.

اندماج صراخ ريتشارد مع صراخ أوزموند، فاستحالا لصوت واحد...

حرارة كالحديد المنصهر احتلت ساقه، وفجأة تبين ما هو، وبينما ضغطت يدا رويل على كتفيه، أدرك... إنها العملة التي أعطاها له القبطان فارين، العملة التي رفض أندرس أخذها.

دفع يده إلى جيبه.. كانت العملة كتلة من الخام في يده قبض عليها، وشعر بالقوة تتدفق فيه كالتيار العالي.. شعر رويل بها أيضًا.. تجمد لعابه السائل وتحولت وزمجراته الانتصارية إلى مواء خوف.. حاول التراجع، ودارت عينه الوحيدة المتبقية بجنون.

أخرج جاك العملة.. توهجت حمراء شديدة في يده.. شعر

بحرارتها بوضوح... لكنها لم تحرقه.

توهجت صورة الملكة كالشمس.

«باسمها، أيها الكائن النجس المجهض!» صرخ جاك.. «اخرج من جلد هذا العالم!» فتح قبضته وضرب جبين رويل بيده.

صرخ رويل ووالده بتناغم... أوزموند كان تينورًا قريبًا من السوبرانو، ورويل باسًا زاحفًا حشريًا.. انزلقت العملة في جبين رويل كطرف سيخ ساخن في وعاء زبدة، انسكب سائل مظلم حقير، بلون الشاي المركز، من رأس رويل على معصم جاك.. كان السائل ساخنًا.. وفيه ديدان صغيرة تتلوى على جلد جاك وتعضه.. ومع ذلك، ضغط بأصابعه الأولى من يده اليمنى أكثر، دافعًا بالعملة لعمق أكبر في رأس الوحش.

«اخرج من جلد هذا العالم، أيها النجس! باسم الملكة وباسم ابنها، اخرج من جلد هذا العالم!»

صرخ واستغاث؛ وصرخ أوزموند معه. توقفت التعزيزات وتجمعت خلف أوزموند، وجوههم مملوءة بالرعب الخرافي.. بالنسبة لهم، بدا جاك أكبر حجمًا؛ بدا وكأنه يشع نورًا ساطعًا.

ارتجف رويل.. أطلق صرخة أخرى فقاعية.. تحول السائل الأسود الخارج من رأسه إلى الأصفر.. دودة أخيرة، طويلة وبيضاء كثيفة، تلوّت من الثقب الذي أحدثته العملة، سقطت على أرضية مقصورة المحرك.. داس جاك عليها.. انفتحت تحت كعبه وانفجرت.. سقط رويل ككومة مبللة.

ثم ارتفع عويل، صراخ من الحزن والغضب في ساحة المخيم المغبرة حتى ظن جاك أن جمجمته قد تنشق بسببه.. كان ريتشارد متكورًا في شكل الجنين، يلف ذراعيه حول رأسه.

وأوزموند يصرخ، وقد أسقط سوطه وبندقيته الآلية.

«أيها القذر!» صرخ، وهو يلوح بقبضتيه تجاه جاك.. «انظر ما فعلت! أيها الصبي القذر! أكرهك، أكرهك إلى الأبد وما بعد الأبد! أيها المزيف القذر! سأقتلك! مورغان سيقتلك! يا ابني الحبيب الوحيد! قذر! مورغان سيقتلك لما فعلت! مورغان...»

رفع الآخرون صراخهم بصوت همس، مذكرين جاك بالأولاد في دار «نور الشمس» هل يمكن أن تعطوني هللويا.. ثم صمتوا، فور أن بدا الصوت الآخر هناك.

فجأة، عاد جاك إلى بعد الظهيرة اللطيف الذي قضاه مع وولف، جالسين بجانب الجدول، يراقبان القطيع وهو يرعى ويشرب بينما يتحدث وولف عن عائلته.. كان الوقت ممتعًا بما فيه الكفاية... ممتعًا إلى أن جاء مورغان.

والآن، كان مورغان قادمًا مرة أخرى... ليس ليقلب الأمور، بل ليجتازها بعنف، يقتحمها.

«مورغان! إنه...»

«...مورغان، اللورد...»

«لورد أوريس...»

«مورغان... مورغان... مورغان...»

زاد صوت التمزق قوة وصخبًا.. كانت الذئاب تذل نفسها في الغبار.. رقص أوزموند رقصة متمايلة، وجزمته السوداء تدوس على حبال السوط المصنوعة من الجلد المقوى بالمسامير.

«أيها الصبي الشقي! أيها الصبي القذر! الآن ستدفع الثمن! مورغان قادم! مورغان قادم!»

بدأ الهواء على بعد نحو ستة أمتار إلى يمين أوزموند يختنق بالضباب ويرتج، كهواء فوق محرقة مشتعلة.

نظر جاك حوله، ورأى ريتشارد متكورًا بين أكوام البنادق والذخيرة والقنابل كما لو كان صبيًا صغيرًا قد غفى أثناء لعبة الحرب.. فقط ريتشارد لم يكن نائمًا، وكان يعلم أن هذه ليست لعبة، وإذا رأى ريتشارد والده يخطو عبر ثقب بين العوالم، فقد يصاب بالجنون..

تمدد جاك بجانب صديقه ولف ذراعيه حوله بإحكام.. ازداد صوت التمزق كما لو إنها أغطية سرير ممزقة، وفجأة سمع صوت مورغان يزأر بغضب رهيب

«ما الذي يفعله القطار هنا الآن، أيها الحمقى؟»

سمع أوزموند ينوح، «المزيف القذر قتل ابني!»

«هيا يا ريتشي،» تمتم جاك، مشدّدًا قبضة ذراعيه حول

جسد ريتشارد المنهك.. «حان وقت الانتقال.»

أغلق عينيه، ركّز... وللحظة قصيرة من الدوران انتقل الاثنان.

الفصل السابع والثلاثون

ريتشارد يتذكر

1

شعر جاك بجسده ينزلق جانبًا وإلى الأسفل، كأن منحدرًا قصيرًا يصل بين العالمين.. وبشكل خافت، آخِذ في التلاشي، ثم متلاطم حتى انمحى تمامًا، سمع جاك صراخ أوزموند..

«سيئون! كلّ الأولاد! هذا بديهي! كل الأولاد! قذرون! قذرون!»

وللحظة، علِقًا في الهواء.. صرخ ريتشارد، ثم ارتطم جاك بالأرض على كتفه، وارتدّ رأس ريتشارد إلى صدره.

لم يفتح جاك عينيه، بل ظلّ ممددًا على الأرض يحاوطه بذراعيه، ينصت... ويشمّ.

عمّ الصمت.

ليس صمتًا مطبقًا كاملًا، بل صمتٌ واسع، تتخللته تغريدات متفرقة لاثنين أو ثلاثة من الطيور.

وصلت الرائحة باردةً ومالحة.. رائحة طيبة... لكنها لا تضاهِ عبق الأجواء في الأراضي.. حتى هنا مهما بلغ الصفاء«هنا» استطاع جاك أن يشمّ أثرًا خافتًا تحتياً، كرائحة زيتٍ قديمٍ احتُكّ طويلًا بأرضيات خرسانية في محطة لتصليح

السيارات.. رائحةُ محرّكاتٍ كثيرةٍ شغّلها كثيرٌ من الناس، لوّثت الهواء كله.. أنفه، وقد أصبح حسّاسًا، التقط تلك الرائحة حتى هنا، في مكان لا تُسمع فيه أي سيارة.

قال ريتشارد «جاك؟ هل نحن بخير؟»

رد جاك «بالطبع»، وفتح عينيه ليتأكد من صدق كلامه.

أول نظرة جلبت له فكرةً مرعبة خطر له أنه، في محاولته اليائسة للهرب قبل وصول مورغان، لم ينقلهما إلى الأراضي الأمريكية، بل دفعهما إلى المستقبل.. بدا المكان نفسه... لكن أقدم، مهجور، كأن قرنًا أو قرنين انقضيا.. القطار بقي على القضبان، ويبدو كما هو تمامًا.. لكن كل شيء آخر تغيّر.

السكك التي شقت ساحة التدريب المليئة بالأعشاب البرية ومضت إلى حيث لا يعلم أحد، صارت صدئة، كثيفة القِدَم.. عوارضها الخشبية بدت إسفنجية، متعفنة، نبتت أعشابٌ عالية بينها.

شدّ جاك ذراعيه أكثر حول ريتشارد، الذي تحرّك بضعف في حضنه وفتح عينيه.

تمتم ريتشارد، وهو يتلفت «أين نحن؟»

ظهر مستودع معدني نصف دائري، شاهق الطول، ذو سقف من صفائح القصدير المموّهه بالصدأ، حيث كان مبنى الثكنات سابقًا، لم يرَ أي منهما سوى السقف فقط؛ أمّا البقية فابتلعها اللبلاب البري والأعشاب المتوحّشة. أمامه عمودان، ربما حملا

لافتة يومًا ما... لكنها اختفت تمامًا.

قال جاك «لا أعرف».. ثم نظر إلى حيثما كان مسار العوائق ولم يبقَ منه إلا خط ترابي باهت، بالكاد يُرى، تغطيه بقايا فلوكس بري وزهرات العصفر الذهبي وأطلق أسوأ مخاوفه

«ربما... دفعتْ بنا إلى المستقبل.»

لدهشته، ضحك ريتشارد وقال

«جيّد... هذا يعني أن المستقبل لن يتغيّر كثيرًا!»

وأشار إلى ورقةٍ مثبتة بمسمار على أحد العمودين أمام مبنى الكوانست/الثكنة، بدت باهتةً قليلًا بفعل الطقس... لكنها بقيت مقروءة بوضوح..

«ممنوع الدخول!

بأمر من قسم شرطة مقاطعة ميندوسينو

وبأمر من شرطة ولاية كاليفورنيا

سيُقاضى المخالفون!»

2

«حسنًا، إذا كنت تعرف أين نحن،» قالها جاك، وهو يشعر بالغباء والارتياح في آن واحد، «فلماذا سألت؟»

«أدركت الأمر فحسب،» أجاب ريتشارد، وتلاشت أي رغبة لدى جاك في السخرية منه مرة أخرى.. بدا ريتشارد مريعًا؛ وكأنه أصيب بنوع غريب من السل الذي هدم عقله بدلًا من رئتيه.. ولم يكن الأمر مقتصرًا على رحلة الحيرة التي سلبته إلى الأراضي وأعادته منها.. لقد بدا كأنه بدأ يتأقلم مع ذلك، لكن الآن، بات يعلم شيئًا آخر كذلك.. لم تكن مجرد حقيقة مختلفة جذريًا عن كل تصورات حياته الدقيقة التي بناها؛ ربما استطاع التأقلم مع ذلك، لو أُعطي وقتًا كافي لاستيعاب العالمين.. لكن إدراك أن والدك أحد الأشخاص ذوي القبعات السوداء، حسب تأمل جاك، لن يكون من أكثر لحظاتك الحياتية الممتعة.

«حسنًا،» قال محاولًا أن يبدو مبتهجًا.. وكان بالفعل يشعر ببعض البهجة! الهروب من مثل هذا الكائن المروع كرويل قد يجعل حتى طفلًا يحتضر من مرض عضال يشعر ببعض البهجة، حسب اعتقادي. «انهض إذن، ريتشي بوي.. أمامنا وعود يجب الوفاء بها، وأميال لن نقطعها أثناء النوم، وأنت مازلت حقًا شخصًا مقززًا.»

ارتعش ريتشارد.. «من أعطاك فكرة أن لديك حسًا فكاهيًا

يجب أن يُقتل، يا صاح.»

«امضِ في غيظك يا صديقي.»

«إلى أين نحن ذاهبون؟»

«لا أعرف،» قال جاك، «لكنه مكان ما قريب من هنا.. أشعر به.. إنه مثل صنارة صيد في ذهني.»

«نقطة فينوتي؟»

التفت جاك إلى ريتشارد ونظر إليه طويلًا.. لم تعكس عيون ريتشارد المتعبة شيئًا..

«لماذا سألت عن هذا، يا صاح؟»

«هل هذا هو المكان الذي نتجه إليه؟»

هز جاك كتفيه.. ربما، ربما لا.

بدآ يسيران ببطء عبر ساحة العرض المغطاة بالأعشاب، وغير ريتشارد الموضوع.. «هل كل ذلك حقيقيًا؟» اقتربا من البوابة المزدوجة الصدئة، فتجلى شريط من السماء الزرقاء الباهتة فوق الأخضر.. «هل أي شيء منه حقيقيًا؟»

«قضينا يومين تقريبًا على قطار كهربائي يسير بسرعة خمسة وعشرين ميلاً في الساعة، ثلاثين كحد أقصى،» قال جاك، «وبطريقة ما انتقلنا من سبرينغفيلد بولاية إلينوي إلى شمال كاليفورنيا، قرب الساحل.. الآن أخبرني، هل هذا حقيقيًا؟»

«نعم... نعم، لكن...»

مد جاك ذراعيه.. كان رسغيه مغطيين ببثور حمراء متهيجة تحك وتلسع.

«لدغات،» قال جاك، «من الديدان.. الديدان التي سقطت من رأس رويل جاردنر.»

استدار ريتشارد وبدأ يتقيأ بصوت عالٍ.

أمسكه جاك، وإلا لكان ريتشارد قد سقط متمدداً.. شعر بالصدمة من نحافة ريتشارد، ومن حرارة جسده التي شعرت من خلال قميصه الأنيق.

«آسف لأنني قلت ذلك،» قال جاك عندما بدا ريتشارد أفضل قليلًا.. «لقد كان كلامًا فظًا.»

«نعم، كان كذلك.. لكن أعتقد أنه ربما الشيء الوحيد الذي استطاع... كما تعلم...»

«إقناعك؟»

«نعم.. ربما.»

نظر ريتشارد إليه بعينيه العاريتين والملوثتين.. انتشرت الآن حبوب على جبهته، والتقرحات حول فمه.. «جاك، يجب أن أسألك شيئًا، وأريدك أن تجيبني... كما تعلم، بصراحة. أريد أن أسألك...»

«أعرف ما تريد أن تسألني، ريتشي بوي.»

«بعد دقائق قليلة،» قال جاك.. «سنصل لكل الأسئلة ولأكبر عدد ممكن من الإجابات التي أعرفها بعد قليل.. لكن لدينا أمرٌ يجب القيام به أولاً.»

«أي أمر؟»

بدلًا من الإجابة، توجه جاك إلى القطار الصغير، وقف لحظة ينظر إليه.. محرك محدود، عربة شحن فارغة، عربة مسطحة.. هل تمكن بطريقة ما من نقل هذا كله إلى شمال كاليفورنيا؟ لم يظن ذلك فالتنقل مع وولف كان مهمة شاقة، وسحب ريتشارد إلى الأراضي من حرم ثاير كاد أن يمزق ذراعه من منبته، وحين قام بكلا الأمرين كان يعي تمامًا ما يبذله من جهد.. حسبما تذكر، لم يكن يفكر في القطار أثناء الانتقال.. بل ركز فقط على إخراج ريتشارد من معسكر التدريب شبه العسكري لعائلة وولف قبل أن يرى والده القديم.. كل شيء آخر أخذ شكلًا مختلفًا قليلًا عند انتقاله من عالم إلى آخر يبدو أن عملية الهجرة تطلبت أيضًا فعلًا من نوع الترجمة.. قد تتحول القمصان إلى صدريات؛ الجينز إلى سراويل صوفية؛ المال إلى أعواد متشابكة... لكن هذا القطار بدا تمامًا كما كان هناك، لقد نجح مورغان في خلق شيء لم يتبدل أثناء الهجرة.

«وأيضًا، كنا نرتدي الجينز هناك، جاكي.»

«نعم.. ومع أن أوزموند كان يحمل سوطَه الموثوق، إلا أنه كان يحمل أيضًا مسدسًا آليًا.»

«مسدس مورغان الآلي.. قطار مورغان.»

شعر بقشعريرة باردة تسري في ظهره.. سمع أندرس يتمتم.. «عمل سيئ.»

وكان بالفعل كذلك.. عمل سيئ جدًا. كان أندرس على حق؛ كلهم شياطين اجتمعوا معًا.

مد جاك يده إلى قسم المحرك، أخذ أحد أسلحة الأوزي، وضع مخزنًا جديدًا فيه، وعاد نحو ريتشارد الذي كان ينظر حوله باهتمام متأمل وشاحب...

«نبدوا كأننا في مخيم قديم للبقاء على قيد الحياة،» قال..

«تقصد الأماكن التي يستعد فيها المرتزقة لنهاية العالم الثالثة؟»

«نعم، نوعًا ما.. هناك الكثير من الأماكن مثل هذا في شمال كاليفورنيا... تنشأ وتزدهر لبعض الوقت، ثم يفقد الناس اهتمامهم عندما لا تبدأ نهاية العالم الثالثة فورًا، أو يتم ضبطهم بسبب أسلحة غير قانونية أو مخدرات، أو شيء من هذا القبيل.. والدي أخبرني بذلك.»

صمت جاك..

«ماذا ستفعل بالسلاح، جاك؟»

«سأحاول التخلص من ذلك القطار.. أي اعتراض؟»

ارتعش ريتشارد، والتوى فمه في تعبير اشمئزاز.. «لا

اعتراض على الإطلاق.»

«هل تعتقد أن الأوزي كافٍ؟ إذا أطلقت النار على تلك الأشياء البلاستيكية؟»

«طلقة واحدة لن تكفي.. ربما كامل المخزن يفعل.»

«لنرى.»

أزال جاك الأمان.

أمسك ريتشارد بذراعه. «قد يكون من الحكمة أن نبتعد نحو السياج قبل إجراء التجربة،» قال..

«حسنًا.»

عند السياج المغطى باللبلاب، وجه جاك الأوزي نحو الحزم المسطحة واللينة من المتفجرات، ضغط الزناد، وخرج صوت الأوزي ممزقًا الصمت. انطلقت طلقات ساحرة من فوهة البندقية للحظة، كان صوت إطلاق النار مرتفعًا بشكل صادم في صمت المخيم الشبيه بالكنيسة.. صاحت الطيور في رهبة مفاجئة وابتعدت نحو أجزاء أهدأ من الغابة، ارتعش ريتشارد وضغط كفيه على أذنيه.. تلألأت الأغطية القماشية ورقصت... ثم، على الرغم من أنه كان لا يزال يضغط على الزناد، توقف السلاح عن إطلاق النار.. انتهى المخزن، وظل القطار على السكة.

«حسنًا،» قال جاك، «لقد كان ذلك رائعًا.. هل لديك أي...»

اندلعت العربة المسطحة في شلال من النار الزرقاء وزئير هائل.. رأى جاك العربة وكأنها بدأت ترتفع عن السكة، كما لو كانت تُقلع أمسك جاك ريتشارد حول رقبته وسحبه أرضًا،

استمرت الانفجارات طويلًا.. صافح المعدن الهواء وطار فوق رؤوسهم، تساقطت الأمطار المعدنية على سقف الكوخ نصف الدائري.. أحيانًا أصدرت قطعة كبيرة صوتًا مثل الجونغ الصيني، أو صوت انضغاط عندما تخترق شيء كبير.. ثم اخترق شيء السياج فوق رأس جاك مباشرة، تاركًا ثقبًا أكبر من قبضتيه معًا، وقرر جاك أن الوقت قد حان للانسحاب.. أمسك ريتشارد وبدأ بسحبه نحو البوابات.

«لا!» صرخ ريتشارد.. «السكك الحديدية!»

«ماذا؟»

«السكك...»

سمع شيء يئن فوقهما وانحنى الصبيان معًا، وصطدم رأسيهما بعضهم البعض...

«السكك!»، صاح ريتشارد وهو يفرك جمجمته بيده الشاحبة... «إنه ليس الطريق! اتجه نحو السكك!»

«حسنًا!» قال جاك، مرتبكًا لكنه لم يشكك.. كان لا بد لهم من الذهاب إلى مكان ما.

بدأ الصبيان يزحفون على طول السياج الشبكي الصدئ كجنود يعبرون أرضًا قفر .. تقدم ريتشارد قليلًا، يقوده نحو

الفتحة في السياج حيث تخرج السكك من الجانب الآخر للمجمع.

التفت جاك على كتفه وهو يمشي يمكنه رؤية ما يكفي، أو ما يريد رؤيته، من خلال البوابات المفتوحة جزئيًا.. بدا أن معظم القطار قد تبخر ببساطة! فاستحال لقطع معدنية ملتوية، بعضها يمكن التعرف عليه، ومعظمها لا، متفرقة في دائرة واسعة حول المكان الذي عاد فيه إلى أمريكا، حيث تم بناؤه وشراؤه ودُفع ثمنه.. من المدهش أنهم لم يُقتلوا على يد الشظايا الطائرة؛ بل من شبه مستحيل ألا يُصابوا حتى بخدش واحد.

انتهى الأسوأ الآن.. صارا خارج البوابة، واقفين (لكن مستعدين للانحناء والركض إذا حدثت أي انفجارات أخرى).

«والدِي لن يعجبه أنك فجرت القطار، جاك،» قال ريتشارد.

كان صوته هادئًا تمامًا، لكن عندما نظر جاك إليه، رأى ريتشارد يذرف الدموع.

«ريتشارد...»

«لا، لن يعجبه على الإطلاق،» قال ريتشارد كما لو أنه يجيب على نفسه.

3

نما شريط فاخر، كثيف من الأعشاب، يصل إلى مستوى الركبة، في منتصف قضبان السكك الحديدية التي تمتد بعيدًا عن المعسكر، متجهًا في اتجاه اعتقد جاك أنه نحو الجنوب تقريبًا. أما القضبان نفسها فكانت صدئة ولم تُستخدم منذ زمن بعيد، وفي بعض الأماكن التوت بطريقة غريبة، كأنها تموجات.

«الزلازل تفعل هذا،» قال جاك لنفسه بإعجاب غلفه الغثيان.

ورائهم، استمرت المتفجرات البلاستيكية في الانفجار.. وكلما ظن جاك أن الأمر انتهى أخيرًا، آتاه انفجار آخر طويل، خشن، بوووووممم!... فكر أنه صوت عملاق يتجشأ! أو ربما يطلق الغازات من الخلف.. نظر خلفه مرة فرأى سحابة سوداء كثيفة معلقة في السماء، استمع إلى الانفجارات الثقيلة والمستمرة... وكأي شخص عاش فترة على ساحل كاليفورنيا، كان يخاف من النار.. لكنه لم يعد يسمع شيئًا.. حتى الغابة هنا بدت كما لو كانت من نيو إنجلاند، كثيفة ورطبة، مليئة بالحياة.. على العكس تمامًا من الأراضي الباهتة البنية حول باخا، بجوها الجاف والنقي.

بدت الغابة مشبعة بالحياة وكأنها تتفاخر بها؛ أما السكك نفسها فضاقت شيئا فشيئا، وقد احيطت بالأشجار والشجيرات واللبلاب المتفشي في كل مكان (اللبلاب السام،

خمّن جاك وهو يحك يده دون وعي من لدغات الحشرات)، والسماء الزرقاء الباهتة أعلاه تشكل مسارًا موازيًا تقريبًا.. حتى الحصى على السكة غطته الطحالب.. بدا المكان سريًا، مكانًا للأسرار.

سار جاك بخطى حازمة، ليس فقط ليبتعدا هما الاثنين عن المسار قبل وصول الشرطة أو رجال الإطفاء، بل أيضًا لضمان صمت ريتشارد.. الذي تعب كثيرًا للحفاظ على وتيرة تقدمه، حتى لم يعد قادرًا على الكلام... أو طرح الأسئلة..

لقد قطعوا نحو ميلين تقريبًا، وما زال جاك يهنئ نفسه على هذه الحيلة التي تخنق التردد، حين نادى ريتشارد بصوت انهكه المرض «مهلاً جاك...»

استدار جاك في الوقت المناسب ليرى ريتشارد، الذي تأخر قليلًا، يهوى إلى الأمام، وقد برزت البقع على بشرته البيضاء كالورق كأنها علامات ولادة...

أمسكه جاك.. بالكاد... بدا ريتشارد كأنه لا يزن أكثر من كيس ورقي!

«يا إلهي، ريتشارد!»

«كنت أشعر أنني بخير حتى قبل ثانية أو ثانيتين،» قال ريتشارد بنفس الصوت المنهك المريض.. كان تنفسه سريعًا جدًا وجافًا جدًا، عيناه نصف مغلقتين، ولم يرَ جاك سوى بياض عينيه وشرارات صغيرة من القزحيتين الزرقاوين..

«فقط شعرت... بالإغماء.. آسف.»

من خلفهم جاء انفجار آخر ثَقيل، تلاه صوت ارتطام حطام القطار بسقف كوخ القوس المعدني.

نظر جاك في ذلك الاتجاه، ثم صوب نظرة بعين متوترة نحو القضبان.

«هل تستطيع التمسك بي؟ سأحملك على ظهري قليلًا.» لمحة من وولف، فكر..

«أستطيع التمسك..»

«إن لم تستطع، فقل ذلك..»

«جاك،» قال ريتشارد مع أثر مشجع من انزعاجه القديم، «لو لم اكن أستطع التمسك، لما قلت إنني أستطيع.»

وضع جاك ريتشارد على قدميه، وقف ريتشارد مترنحًا، كما لو أن نفخة واحدة في وجهه قد تقلبه إلى الخلف.. انحنى جاك وجلس على القرفصاء، وراحة حذائه على أحد الأعمدة الخشبية المتعفنة، جعل ذراعيه مثل ركائز للفخذ، ووضع ريتشارد ذراعيه حول عنق جاك ثم نهض جاك وبدأ يمشي بسرعة على الأعمدة، شبه راكض.. بدا حمل ريتشارد بلا مشكلة، ليس فقط لأنه فقد وزنه، بل لأن جاك قد تعوّد على رفع براميل الجعة، وحمل الصناديق، وجني التفاح، قضى وقتًا في جمع الحجارة في الحقل البعيد لجاردنر المنير.. كل ذلك قد صقله، فهو لم يكن مجرد تمرين جسدي عابر؛ لقد غرز

في أعماق كيانه.. ولم يكن كل ذلك مجرد نتيجة للتنقل بين العالمين مثل بهلوان، أو إنه تأثير العالم الآخر.. رائع كما هو... كما لو أنه طلاءً مبتلًا التصق به.

أدرك جاك بطريقة خافتة أنه لم يحاول مجرد إنقاذ حياة والدته؛ منذ البداية بل حاول فعل شيء أعظم من ذلك.. سعيًا لفعل الخير، وأدرك الآن أن مثل هذه المساعي الجنونية لا بد وأن تصقل المرء.

بدأ فعلاً بالركض.

«إذا جعلتني أشعر بدوار البحر،» قال ريتشارد، وصوته يهتز مع خطوات جاك، «سأتقيأ على رأسك.»

«كنت أعلم أنني أستطيع الاعتماد عليك، ريتشي بوي،» قال جاك وهو يلهث مبتسمًا.

«أشعر... بسخافة شديدة هنا فوق. كأنني طفيل بشري.»

«ربما هذا فقط ما تبدو عليه، يا صاح.»

«لا... تدعوني صاح،» همس ريتشارد، واتسعت ابتسامة جاك. فكر.. «آه ريتشارد، أيها الوغد، فلتعش إلى الأبد.»

4

«كنت أعرف ذلك الرجل،» همس ريتشارد من فوق جاك.

فاجأه ذلك، كما لو استيقظ فجأة من غفوة.. فقد التقط ريتشارد قبل عشر دقائق، وقطعوا ميلاً آخر، وما زال لا أثر لأي حضارة من أي نوع.. فقط القضبان، ورائحة الملح في الهواء.

القضبان... تساءل جاك في نفسه.. هل تقود إلى المكان الذي أظن أنها تقود إليه؟

«أي رجل؟»

«الرجل الذي يحمل السوط والمسدس الآلي.. كنت أعرفه.. رأيته من قبل.»

«متى؟» قال جاك وهو يلهث.

«منذ زمن بعيد. عندما كنت صغيرًا جدًا.» ثم أضاف ريتشارد على مضض شديد.. «تقريبًا نفس الوقت الذي رأيت فيه ذلك... ذلك الحلم الغريب في الخزانة.» توقف قليلًا.. «إلا أنني أظن أنه لم يكن حلمًا، أليس كذلك؟»

«لا، أظن أنه لم يكن كذلك.»

«نعم... هل كان الرجل بالسوط والد مسيو رويول؟»

«ما رأيك أنت؟»

«كان هو،» تمتم ريتشارد بكآبة.. «بالطبع كان هو.»

توقف جاك.

«ريتشارد، إلى أين تؤدي هذه القضبان؟»

«أنت تعرف إلى أين تؤدي،» قال ريتشارد بهدوء غريب وخالٍ من أي شعور..

«نعم... أعتقد أنني أعرف... لكن أريد أن أسمعك تقولها.» توقف جاك.. «أعتقد أنني بحاجة لسماعك تقولها.. إلى أين تؤدي؟»

«إلى مدينة تُدعى بوينت فينوتي،» قال ريتشارد، وكان يبدو على وشك البكاء مرة أخرى.. «هناك فندق كبير.. لا أعرف إذا كان هذا هو المكان الذي تبحث عنه أم لا، لكن أظن أنه على الأرجح كذلك.»

«وأنا أيضًا أظن ذلك،» قال جاك.. ثم انطلق مرة أخرى، حاملاً ريتشارد بين ذراعيه، وألم يتزايد في ظهره، متبعًا القضبان التي ستقودهما... كليهما... إلى المكان الذي قد يُوجد فيه خلاص والدته.

5

بينما هما يمشيان، بدأ ريتشارد بالكلام.. لم يتطرق مباشرة إلى موضوع تورط والده في هذا الجنون، بل اقترب منه ببطء.

«كنت أعرف ذلك الرجل من قبل،» قال ريتشارد.. «أنا متأكد إلى حد كبير أنني عرفته.. كان يأتي إلى البيت.. دائمًا إلى خلف البيت.. لم يرن الجرس، ولا يطرق الباب.. كان... ينقر على الباب بطريقة ما.. بطريقة اقشعر لها جلدي.. أخافني لدرجة أنني كلما رأيته شعرت وكأنني سأبول في سروالي.. كان رجلًا طويلًا... آه، كل الرجال البالغين يبدون طوالًا للأطفال الصغار، لكن هذا الرجل كان طويلًا جدًا... وشعره أبيض.. ارتدى نظارات داكنة معظم الوقت.. أو أحيانًا نوع النظارات الشمسية ذات العدسات العاكسة.. عندما رأيت القصة عنه في تقرير الأحد، عرفت أنني رأيته من قبل في مكان ما.. كان والدي في الطابق العلوي يقوم ببعض الأعمال الورقية ليلة عرض البرنامج، جلست أنا أمام التلفاز، وعندما دخل والدي ورأى ما يُعرض، كاد أن يسقط المشروب الذي كان يحمله.. ثم غيّر القناة إلى إعادة عرض ستار تريك.»

«لكن الرجل لم يكن يسمّي نفسه جاردنر المنير عندما أتى لرؤية والدي.. كان اسمه... لا أستطيع أن أتذكر بالضبط.. شيئًا مثل بانلون... أو أورلون...»

«أوزموند؟»

ابتسم ريتشارد بوضوح.. «هذا هو.. لم أسمع اسمه الأول أبدًا، لكنه أتانا مرة كل شهر أو شهرين، أحيانًا أكثر.. ذات مرة تابع المجيء تقريبًا كل ليلة، لمدة أسبوع، ثم اختفى لما يقارب نصف سنة.. كنت اوصد باب غرفتي عندما يأتي.. لم أحب رائحته.. كان يضع نوعًا من العطور... كولونيا، أظن، لكنها كانت قوية جدًا، تشبه العطر الرخيص من حوانيت السلع الرخيصة.. لكن تحت ذلك...»

«تحت ذلك كان يبدو وكأنه لم يستحم منذ حوالي عشر سنوات.»

نظر إليه ريتشارد بعينين متسعتين.

«أقابلته أيضًا باسم أوزموند؟» شرح جاك، قد شرح بعض من تلك التفاصيل من قبل... على الأقل القليل منها... لكن ريتشارد لم يكن منتبهًا حينها.. وهو الآن منتبهًا.. «في نسخة الأراضي من نيوهامشير، قبل أن ألتقي به باسم جاردنر المنير في إنديانا.»

«إذن لابد أنك رأيت ذلك... ذلك الشيء.»

«ريوول؟» هز جاك رأسه.. «لابد أن ريوول كان في الأراضي المحترقة حينها، يخضع لمزيد من العلاجات الإشعاعية المتطرفة بالكوبالت..» فكر جاك في القروح المتفشية على وجه المخلوق، وفكر في الديدان.. نظر إلى معصميه

المنتفخين والحمراوان حيث قرصته الديدان، واقشعر بدنه.. «لم أر ريوول إلا في النهاية، ولم أرَ نظيره الأمريكي أبدًا.. كم كان عمرك عندما بدأ أوزموند بالظهور؟»

«لا بد أنني كنت في الرابعة.. ذلك الشيء عن... تعرف... الخزانة... لم يحدث بعد.. أذكر أنني كنت أكثر خوفًا منه بعد ذلك.»

«بعد أن لمسَك ذلك الشيء في الخزانة.»

«نعم.»

«وذلك حدث عندما كنت في الخامسة.»

«نعم.»

«عندما كنا كلانا في الخامسة.»

«نعم. يمكنك أن تضعني أرضًا، أستطيع المشي قليلًا.»

فعل جاك ذلك، مضيا في صمت، ورؤوسهما منخفضة، لا ينظران إلى بعضهما.. عندما كانا في الخامسة، امتد شيء من الظلام ولمس ريتشارد.

وعندما كانا في السادسة (ست سنوات، كان جاكي في السادسة)، سمع جاك والده ومورغان سلوت يتحدثان عن مكان ذهبوا إليه، مكان كان جاكي يسميه «بلد أحلام اليقظة».. ولاحقًا في ذلك العام، امتد شيء من الظلام ولمس جاك ووالدته، لم يكن ذلك أكثر أو أقل من صوت مورغان

سلوت.. مورغان سلوت يتصل من غرين ريفر، يوتا، يبكي.. كان هو، وفيل ساوير، وتومي وودباين قد غادروا قبل ثلاثة أيام في رحلتهم السنوية للصيد في نوفمبر رفقة صديق آخر من الجامعة، راندي غلوفر، كان يمتلك كوخ صيد فاخر في بليسينغتون، يوتا، عادةً كان غلوفر يصطاد معهم، لكن في ذلك العام كان يبحر في الكاريبي.

اتصل مورغان ليخبرهما أن فيل قد أُصيب بطلق ناري، على ما يبدو من صياد آخر، حمله هو وتومي وودباين خارج البرية على نقالة، استعاد فيل وعيه في مؤخرة الجيب الشيروكي الخاصة بغلوفر، وقال مورغان، وطلب أن يرسل تحياته إلى ليلي وجاك ثم توفي بعد خمسة عشر دقيقة، بينما يقود مورغان بسرعة نحو غرين ريفر وأقرب مستشفى.

مورغان لم يقتل فيل؛ كان لتومي الشهادة أن الثلاثة كانوا معًا عندما وقع الطلق... لو كان هناك أي حاجة للشهادة (وطبعًا لم يكن هناك).

لكن ذلك لا يعني أنه لم يكن قادرًا على تكليف أحد بذلك، فكر جاك الآن... ولا يعني أن العم تومي لم يكن يحتفظ بشكوكه الخاصة حول ما حدث... إذا كان الأمر كذلك، ربما لم يُقتل العم تومي فقط لكي يكون جاك ووالدته المريضة بلا حماية من أفعال مورغان... ربما مات لأن مورغان سئم من التساؤل عما إذا كان الرجل العجوز قد يوحي أخيرًا للابن الباقي أن ما حدث لفيل سوير ربما لم يكن مجرد حادث..

انتابت جاك قشعريرة من الاشمئزاز والاستياء.

«هل كان ذلك الرجل موجودًا قبل أن يذهب والدك ووالدي للصيد معًا في المرة الأخيرة؟» سأل جاك بغضب.

«جاك، كنت في الرابعة...»

«لا، لم تكن كذلك، كنت في السادسة.. كنت في الرابعة عندما بدأ بالظهور، وكنت في السادسة عندما قُتل والدي في يوتا.. وأنت لا تنسى كثيرًا، ريتشارد.. هل أتى قبل موت والدي؟»

«كانت تلك المرة التي جاء فيها تقريبًا كل ليلة لمدة أسبوع،» قال ريتشارد، بصوت بالكاد مسموع.. «قبل تلك الرحلة الأخيرة للصيد مباشرة.»

ورغم أن أيًا من هذا لم يكن خطأ ريتشارد بالضبط، إلا أن جاك لم يستطع كبح مرارته.. «والدي مات في حادث صيد في يوتا، العم تومي دهس في لوس أنجلوس.. معدل الوفيات بين أصدقاء والدك مرتفع جدًا، ريتشارد.»

«جاك...» بدأ ريتشارد بصوت صغير مرتجف.

«أعني كل ذلك ماءً تحت الجسر، أو حليبًا مسكوبًا، أو اختر مثلك المأثور» قال جاك.. «لكن عندما وصلت إلى مدرستك، ريتشارد، قلت لي مجنونًا.»

«جاك، أنت لا تفهم...»

«لا، أظن أنني لا أفهم.. كنت متعبًا وأعطيتني مكانًا للنوم.. حسنًا.. كنت جائعًا وأحضرت لي طعامًا.. عظيم.. لكن ما كنت أحتاجه أكثر هو أن تؤمن بي.. كنت أعلم أنه كان من الصعب توقع ذلك، لكن يا إلهي! كنت تعرف الرجل الذي أتحدث عنه! كنت تعرف أنه كان في حياة والدك من قبل! وفقط قلت شيئًا مثل.. ‹جاك الطيب قضى وقتًا طويلًا في الشمس الحارقة هناك في جزيرة سيبروك وما إلى ذلك!» يا إلهي، ريتشارد، كنت أظن أننا أصدقاء أفضل من ذلك.»

«ما زلت لا تفهم.»

«ماذا؟ أنك كنت خائفًا جدًا من أشياء جزيرة سيبروك لتصدق بي قليلًا؟» تردد الغضب في نبرة جاك..

«لا. كنت خائفًا أكثر من ذلك.»

«آه حقًا؟» توقف جاك ونظر إلى وجه ريتشارد الباهت والبائس بعناد. «ما الذي يمكن أن يكون أكثر من ذلك لريتشارد العقلاني؟»

«كنت خائفًا،» قال ريتشارد بصوت هادئ تمامًا.. «كنت خائفًا أنه إذا علمت المزيد عن تلك الأسرار... ذلك الرجل أوزموند، أو ما كان في الخزانة تلك المرة، فلن أستطيع حب والدي بعد ذلك.. وكنت على حق..»

غطى ريتشارد وجهه بأصابعه الرقيقة المتسخة واجهش بالبكاء.

6

وقف جاك يراقب ريتشارد وهو يبكي ولعن حماقته عشرين مرة ..مهما كان مورغان، فهو لا يزال والد ريتشارد سلوت؛ شبح مورغان يختبئ في شكل يدي ريتشارد وفي عظام وجهه.. هل نسي هذه الأشياء؟ لا، لكن للحظة، طمستها خيبة أمله المريرة من ريتشارد... وتوتره المتزايد له نصيب في الأمر.. باتت التعويذة قريبة جدًا الآن، شعر بها على أطراف أعصابه كما يشم الحصان الماء في الصحراء أو حريقًا بعيدًا في السهول.. وكان هذا التوتر يظهر في هيئة قفزات متوترة وخفيفة.

«نعم، حسنًا، هذا الصبي من المفترض أن يكون أفضل صديق لك، يا جاكي.. احرص على ألا تدهس ريتشارد، حتى لو اضطررت لتكون عصبيًا قليلًا.. الولد مريض، فقط في حال لم تلاحظ.»

مد يده نحو ريتشارد. حاول ريتشارد دفعه بعيدًا.. لم يقبل جاك ذلك.. أمسك بريتشارد.. ووقفا هكذا في وسط مسار السكة الحديدية المهجور لبعض الوقت، ورأس ريتشارد على كتف جاك.

«استمع،» قال جاك بارتباك، «حاول ألا تقلق كثيرًا بشأن... أن تعرف... كل شيء... بعد، ريتشارد.. فقط حاول أن تتكيف مع التغييرات، فهمت؟»

يا لها من جملة سخيفة فعلاً.. مثل أن تقول لشخص مصاب بالسرطان لا تقلق، سنعرض قريبًا فيلم حرب النجوم على مسجل الفيديو، وستصبح بخيرا!

«حسنًا،» تمتم ريتشارد، ابتعد عن جاك.. خلفت الدموع خطوطًا واضحة على وجهه المتسخ... مسح عينيه بذراعه وحاول الابتسام.. «كل شيء سيصبح جيدًا، وكل شيء سيكون بخير...»

«وستكون الأمور على ما يرام،» شارك جاك... أكملا الجملة معًا، ثم ضحكا معًا، وكان ذلك جيدًا.

«هيا،» قال ريتشارد.. «لنذهب.»

«إلى أين؟»

«لنحصل على تعويذتك الخاصة،» قال ريتشارد.. «بحسب كلامك، لابد أنها في بوينت فينوتي.. إنها المدينة التالية على الخط.. هيا، جاك، لننطلق، لكن سر ببطء... لم أنتهِ بعد من الكلام.»

نظر جاك إليه بفضول، ثم عادا يمشيان مرة أخرى... ولكن ببطء.

7

الآن بعد أن انكسر السد وسمح ريتشارد لنفسه بأن يبدأ في تذكر الأشياء، أصبح ينبوعًا غير متوقع من المعلومات.

شعر جاك كما لو أنه كان يحاول حل لغز بازل دون أن يدرك أن بعض أهم القطع مفقودة.. وريتشارد هو من امتلك معظم تلك القطع طوال الوقت.. كان ريتشارد قد تواجد في معسكر البقاء على قيد الحياة من قبل؛ وكانت تلك أول قطعة فقد امتلكه والده.

«هل أنت متأكد أنه نفس المكان، ريتشارد؟» سأل جاك مشككًا.

«متأكد،» قال ريتشارد.. «حتى أنه بدا مألوفًا قليلًا بالنسبة لي على الجانب الآخر، هناك.. وعندما عدنا إلى هنا... تأكدت.»

أومأ جاك برأسه، غير متأكد مما يجب فعله بعد.

«لقد أقمنا في بوينت فينوتي.. هناك دائمًا قبل أن نأتي إلى هنا.. القطار كان متعة كبيرة.. أعني، كم عدد الآباء الذين لديهم قطار خاص بهم؟»

«قليلون،» قال جاك.. «أعتقد أن دايموند جيم برادي وبعض هؤلاء الرجال كان لديهم قطارات خاصة، لكن لا أعلم إن كانوا آباء أم لا.»

«أوه، والدي لم يكن في مستواهم،» قال ريتشارد ضاحكًا

قليلًا، ففكر جاك.. «ربما ستتفاجأ يا ريتشارد.»

«كنا نقود السيارة من لوس أنجلوس إلى بوينت فينوتي، وأقمنا في موتيل هناك.. فقط أنا وهو.» توقف ريتشارد. أصبحت عيناه ضبابيتين من الحب والذكريات.. «ثم بعد أن نقضّي وقتنا هناك نركب قطار والدي إلى معسكر الاستعداد.. كان مجرد قطارًا صغيرًا.» نظر إلى جاك بدهشة.. «مثل القطار الذي أتينا به، على ما أظن.»

«معسكر الاستعداد؟»

لكن ريتشارد بدا وكأنه لم يسمع.. أخذ ينظر إلى القضبان الصدئة.. كانت سليمة هنا، لكن جاك اعتقد أن ريتشارد ربما كان يتذكر التموجات الملتوية التي مرّوا بها قبل قليل.. في بعض الأماكن، رأوا نهايات مقاطع القضبان ترتفع في الهواء، مثل أوتار الغيتار المكسورة.. خمن جاك أنه في الأراضي الأخرى كانت تلك القضبان في حالة ممتازة، مصانة بعناية وحب!

«أترى، كان هناك خط ترام هنا،» قال ريتشارد.. «هذا كان في الثلاثينيات، حسب قول والدي.. خط ريد لاين في مقاطعة مندوسينو، لكنه لم يكن مملوكًا للمقاطعة، كان ملكًا لشركة خاصة، وأفلست، لأنه في كاليفورنيا... كما تعلم...»

أومأ جاك. في كاليفورنيا، الجميع يستخدم السيارات..

«ريتشارد، لماذا لم تخبرني أبدًا عن هذا المكان؟»

«هذا كان الشيء الوحيد الذي أمرني والدي ألا أخبرك به.. أنت ووالديك كنتم تعلمون أننا نأخذ أحيانًا عطلات في شمال كاليفورنيا وقال إن ذلك لا بأس به، لكن لم يكن يجب أن أخبرك عن القطار، أو معسكر الاستعداد.. قال إنه إذا أخبرتك، سيفضي فيل لأنه سر.»

توقف ريتشارد للحظة..

«قال إنه إذا أخبرتك، فلن يأخذني مرة أخرى.. اعتقدت أن السبب هو أنهم من المفترض أن يكونوا شركاء، لكن أظن أن الأمر كان أكثر من ذلك.»

«أفلست شركة الترام بسبب السيارات والطرق السريعة.» توقف مفكرًا.. «كان هناك أمر واحد يميّز المكان الذي أخذتني إليه يا جاك... على الرغم من غرابته، إلا أنّه لم تفوح منه رائحة الهيدروكربونات.. وهذا شيء أستطيع أحتماله.»

أومأ جاك مرة أخرى، دون أن يقول شيئًا.

«وأخيرًا، باعت شركة الترام الخط بأكمله، بكل امتيازاته القديمة، لشركة تطوير كانت تظنّ أن الناس سيبدأون بمغادرة السواحل والانتقال إلى عمق الولاية... لكن ذلك لم يحدث.»

«ثم اشترى والدك الخط.»

«نعم، أظن ذلك.. لا أعلم بالضبط.. لم يتحدث كثيرًا عن شراء الخط... أو عن كيف استبدل قضبان الترام بهذه القضبان الحديدية.»

فكر جاك، سيتطلب منه عمل كثير، ثم تذكر الحفر المعدنية وامتلاك مورغان من اوريس للعمالة المستعبدة...

«أعلم أنه استبدلها، لكن فقط لأنني حصلت على كتاب عن السكك الحديدية واكتشفت الفرق في القياس فالترام يسير على قضبان قياس عشرة، هذه قياس ستة عشر.»

ركع جاك، ورأى بوضوح انبعاجين خافتين داخل القضبان الحالية.. وهما الأثر الباقي لموضع قضبان الترام القديمة.»

«كان لديه قطار صغير أحمر» قال ريتشارد حالماً.. «محرك فقط وعربتان، يعمل بالديزل، كان يضحك ويقول إن الشيء الوحيد الذي يميز الرجال عن الصبية هو سعر ألعابهم.. كانت هناك محطة ترام قديمة على التل فوق بوينت فينوتي، وذهبنا إليها بالسيارة المستأجرة وتوقفنا ودخلناها.. أتذكر رائحة تلك المحطة قديمة، كانت لطيفة... تغمرها أشعة الشمس، قديمة نوعًا ما، وكان القطار هناك وقال والدي ‹على الجميع الركوب إلى معسكر الاستعداد، ريتشارد! هل حصلت على تذكرتك؟» وشربنا هناك عصير الليمون... أو الشاي المثلج... وجلسنا في المقصورة... أحيانًا حمل بعض المؤن خلفه... لكننا دوما ما جلسنا في الأمام...»

ابتلع ريتشارد ريقه ومسح يده على عينيه.

«قضينا وقتًا جميلًا» أنهى.. «أنا وهو فقط.. حقًا كان رائعًا جدًا.»

نظر حوله، عيناه تلمعان بدموع أبت أن تنسكب..

«وفي معسكر الاستعداد صحنٌ دوّارٌ يُدار عليه القطار ليعود في الاتجاه الآخر.» تمتم.. «في تلك الأيام.. الأيام القديمة.»

شهق ريتشارد وكأنه على وشك الاختناق..

«ريتشارد...»

حاول جاك لمسه..

رفضه ريتشارد وابتعد، يمسح دموعه بظهر كفيه المتسخين.

«لم أكن كبيرًا آنذاك» قال مبتسمًا، محاولًا... «لم يكن شيء كبيرًا آنذاك، أليس كذلك، جاك؟»

«لا،» قال جاك، والآن وجد نفسه يبكي أيضًا..

أوه، ريتشارد.. أوه، يا عزيزي.

«لا،» قال ريتشارد مبتسمًا، ينظر حوله إلى الغابة المحيطة ويمسح الدموع بظاهر يديه المتسختين، «لم يكن شيء كبيرًا في تلك الأيام.. في الأيام القديمة، عندما كنا مجرد أطفال.. عندما كنا جميعًا نعيش في كاليفورنيا ولم يكن أحد يعيش في المكان الآخر.»

نظر إلى جاك محاولًا الابتسام..

«جاك، ساعدني،» قال.. «أشعر وكأن ساقي عالقة في مصيدة غبيّة وأ... أنا...»

ثمّ خرّ ريتشارد على ركبتيه، وشعره المنسدل يحجب وجهه المنهك، فانحنى جاك إلى جانبه.. ولا طاقة لي أن أروي لك ما تبقى... سوى أنهما آويا بعضهما قدر ما استطاعا، وكما علمت من مرارة تجربتك الخاصة، فذلك لا يكون كافيًا أبدًا...

8

«كان السياج جديدًا آنذاك,» قالها ريتشارد عندما استطاع أن يكمل حديثه.. وها قد مشيا قليلًا إلى الأمام...

غنّى طائر الوِبئرويل من أعلى شجرة بلوط قوية، وأصبح عبق الملح في الهواء أقوى..

«أتذكر ذلك.. ولافتة معسكر الاستعداد، كما كُتب عليها، مسار عقبات، وحبال للتسلق، وحبال أخرى تتشبث بها لتتأرجح فوق برك كبيرة من الماء.. بدا الأمر أشبه بمعسكر تدريبي في فيلم عن مشاة البحرية من الحرب العالمية الثانية، لكن الرجال الذين استخدموا المعدات لم يبدوا كثيرًا مثل المشاة.. بل كانوا سمينين، وكلهم يرتدون نفس الملابس بدلات رياضية رمادية مكتوب على صدرها معسكر الاستعداد بحروف صغيرة، وخط أحمر على جانبي البنطال، بدا جميعهم وكأنهم على وشك الإصابة بأزمة قلبية أو جلطة في أي لحظة أو ربما كلاهما معًا.. أحيانًا كنا نقيم ليلة هناك، وقضينا مرتين عطلة نهاية الأسبوع كاملة، لم نمكث في كوخ كوانسيت؛ بل هو أشبه بثكنة للرجال الذين دفعوا لتحسين لياقتهم.»

«لو إنهم فعلوا هذا.»

«نعم، صحيح.. لو أنهم فعلوا هذا... على كل حال، أقمنا في خيمة كبيرة ونمنا على أسرّة متنقلة، كان الأمر ممتعًا جدًا.»

ابتسم ريتشارد مرة أخرى بحنين...

«لكن أنت محق، جاك ليس كل الرجال الذين كانوا يتجولون في المكان بدوا كرجال أعمال يحاولون تحسين لياقتهم.. الآخرون...»

«ماذا عن الآخرين؟» سأل جاك بهدوء.

«بعضهم، كثير منهم، كانوا يشبهون تلك المخلوقات الكبيرة المشعرة في العالم الآخر,» قال ريتشارد بصوت منخفض فاضطر جاك لأن يصغي جيدًا.. «الذئاب.. أعني، بدوا شبه أشخاص عاديين، لكن ليس كثيرًا.. بدوا... قساة، هل تفهم؟»

أوماً جاك، بأنه يفهم .

«أتذكر أنني كنت خائفًا قليلًا من التحديق في أعينهم عن قرب، بين الحين والآخر رأيت ومضات غريبة في أعينهم... كأن عقولهم مشتعلة.. بعض الآخرين...» ظهرت لمعة إدراك في عيني ريتشارد.. «بعض الآخرين كانوا يشبهون مدرب كرة السلة البديل الذي أخبرتك عنه... الذي كان يرتدي سترة جلدية ويدخن.»

«كم تبعد بوينت فينوتي، ريتشارد؟»

«لا أعلم بالضبط.. لكننا كنا نقوم بالرحلة في غضون ساعتين تقريبًا، والقطار لم يكن يسير بسرعة كبيرة.. ربما بسرعة ركض، لا أكثر.. لا يمكن أن يكون على بُعد أكثر من عشرين ميلاً من معسكر الاستعداد، على الأرجح أقل قليلًا.»

«إذًا ربما نحن على بعد خمسة عشر ميلاً أو أقل منه.. من...»

(من التعويذة)

«نعم، صحيح.»

نظر جاك إلى الأعلى بينما غابت الشمس.. وكأن الطبيعة كانت تريد أن تثبت أن ما يبدو مناخيًا تافهًا ليس كذلك، فقد أبحرت الشمس الآن خلف طبقة من الغيوم، بدا أن درجة الحرارة انخفضت بعشر درجات، وأصبح النهار باهتًا... وصمت طائر الوِبئرويل.

9

رَأى ريتشارد اللافتة أولًا مربع بسيط من الخشب مطلي بالطباشير الأبيض، مكتوب عليه بحروف سوداء.. عُلقت على الجانب الأيسر من القضبان، وقد تسلق اللبلاب عمودها، كما لو أنها موجودة هنا منذ زمن طويل، لكن الرسالة نفسها كانت معاصرة جدًا.. كُتب عليها..

«الطيور الصالحة قد تطير؛ الفتيان السيئون يجب أن يموتوا.. هذه فرصتك الأخيرة.. عد إلى بيتك.»

قال جاك بهدوء «يمكنك العودة، ريتشي.. لا بأس عندي.. سيتركونك تذهب، لا تقلق.. هذا كله ليس من شأنك.»

قال ريتشارد «أظن أنه ربما يكون كذلك.»

قال جاك «لقد دفعتك إلى هذا.»

رد ريتشارد «لا، والدي دفعني إليه... أو القدر دفعني إليه... أو الله... أو جيسون... أي كان، سأبقى معك.»

قال جاك «حسنًا، لنذهب.»

وعندما مرّا باللافتة، ركَل جاك بإحدى قدميه بطريقة مقبولة في الكونغ فو وأسقطها.

ابتسم ريتشارد قليلًا وقال «أحسنت، يا صاح.»

أجاب جاك «شكرًا، لكن لا تُنادني صاح.»

10

على الرغم من أن ريتشارد بدأ يبدو شاحبًا ومتعبًا مرة أخرى، إلا أنه تحدث خلال الساعة التالية بينما هما يسيران على طول القضبان، ويقتربا من رائحة المحيط الهادئ التي كانت تزداد قوة تدريجيًا.. والتي أفرغت سيلاً من الذكريات التي كُبتت داخله لسنوات.. وعلى الرغم من أن وجهه لم يُظهر ذلك، شعر جاك بالدهشة والإعجاب العميق... وشفقة متدفقة تجاه ذلك الطفل الوحيد، الاهث خلف آخر ذرة من حب والده، وهو ما كان ريتشارد يكشفه له، سواء بقصد أو بدون.

نظر جاك إلى شحوب ريتشارد، والقرح على خديه وجبهته وحول فمه؛ واستمع إلى ذلك الصوت الحذر، شبه الهمس، الذي مع ذلك لم يتردد أو يتعثر الآن بعد أن أُتيحت الفرصة له ليكشف كل هذه الأمور؛ وشعر بالارتياح مرة أخرى لأن مورغان سلوت لم يكن والده أبدًا.

أخبر ريتشارد جاك أنه يتذكر معالم على طول هذا الجزء من السكة الحديدية.. عند نقطة ما، كان بإمكانهما رؤية سطح حظيرة فوق الأشجار، مع إعلان باهت لشركة تشيسترفيلد كينغز عليها.

تمتم ريتشارد مبتسمًا «عشرون تبغًا رائعًا تصنع عشرين سيجارة رائعة... فقط، في تلك الأيام كان بإمكانك رؤية

الحظيرة بأكملها.»

أشار إلى صنوبر كبير ذو قمتين، وبعد خمس عشرة دقيقة أخبر جاك «كان هناك صخر على الجانب الآخر من هذا التل يشبه الضفدع تمامًا.. لنرَ إن كان لا يزال هناك.»

ووجداه هناك بالفعل، وافترض جاك أنه يبدو قليلًا مثل ضفدع... قليلاً فقط إذا وسعت خيالك.. وربما يساعد لو كان الطفل في الثالثة، أو الرابعة، أو السابعة... أو أيًا كان عمره.

أحب ريتشارد السكك الحديدية، واعتقد أن معسكر الاستعداد كان رائعًا حقًا، بمساره الذي يمكن الجري عليه، وعقباته التي يجب القفز فوقها، والحبال التي يمكن تسلقها، لكنه لم يحب بوينت فينوتي نفسها.. وبعد قليل من الحث الذاتي، تذكر ريتشارد حتى اسم الموتيل الذي كان يقيم فيه مع والده أثناء إقامتهما في تلك المدينة الساحلية الصغيرة.. قال «موتيل كينغزلاند...» ولم يفاجئ جاك هذا الاسم كثيرًا.

قال ريتشارد إن موتيل كينغزلاند كان على الطريق مباشرة من الفندق القديم الذي كان والده دائمًا مهتمًا به.. وتمكن ريتشارد من رؤية الفندق عبر نافذته، ولم يعجبه.. كان مكانًا ضخمًا متشعبًا، به أبراج وقباب وأشكال معمارية معقدة؛ تدير الرياح النحاس على القباب والأبراج ذات الأشكال الغريبة؛ وقال ريتشارد إنها كانت تدور حتى حين لا تهب الرياح... تذكر بوضوح أنه كان يقف عند نافذة غرفته يشاهدها تدور وتدور... إبداعات نحاسية غريبة على شكل هلال وجراد

الحمص وعلامات صينية، تلمع تحت الشمس بينما يزمجر المحيط المنبسط أسفلها..

فكر جاك.. «آه نعم، دكتور، كل شيء يعود إليّ الآن.»

سأل جاك «هل كان مهجورًا؟»

قال ريتشارد «نعم.. للبيع.»

«ما اسمه؟»

توقف ريتشارد، ثم أضاف لمسة طفولية أخرى.. اللون الذي يتركه معظم الأطفال الصغار في الصندوق «كان أسود.. كان مصنوعًا من الخشب، لكن الخشب بدا كالحجارة.. حجارة سوداء قديمة.. وقد سماه والدي وأصدقاؤه.. الفندق الأسود.»

11

كان ذلك جزئيًا... لكن ليس كليًا... لتشتيت ريتشارد حين سأل جاك.. «هل اشترى والدك هذا الفندق؟ مثلما فعل مع معسكر الاستعداد؟»

فكر ريتشارد قليلاً ثم أومأ برأسه.. «نعم، أظن ذلك.. بعد فترة.. كانت هناك لافتة للبيع على البوابة أمام المكان عندما أخذني إليه لأول مرة، لكن في إحدى المرات عندما ذهبنا إلى هناك، كانت قد اختفت تمامًا.»

«ولكنك لم تقم بالإقامة هناك أبدًا؟»

«يا إلهي، لا!» ارتجف ريتشارد.. «الطريقة الوحيدة التي يمكنه ادخالي بها إلى هناك هي سلسلة سحب... وحتى ذلك ربما لم يكن كافيًا.»

«لم تدخل أبدًا حتى؟»

«لا. لم أفعل، ولن أفعل.»

أه، يا ريتشي بوي، ألم يعلمك أحد قط ألا تقول أبدًا «لن أفعل»؟

«وهذا ينطبق على والدك أيضًا؟ لم يدخل أبدًا؟»

«ليس على حد علمي»، قال ريتشارد بصوته الأكاديمي الأمثل.. وأشار بإصبعه إلى جسر أنفه، كما لو كان يعدل نظارته التي ليست موجودة! «أستطيع أن أراهن أنه لم يدخل

أبدًا.. كان خائفًا من المكان كما كنت أنا.. لكن بالنسبة لي، فكل ما شعرت به... مجرد خوف.. أما بالنسبة لوالدي، فهناك شيء أكثر.. كان...»

«كان ماذا؟»

بتردد، قال ريتشارد «كان مهووسًا بالمكان، أظن..»

توقف ريتشارد، عيناه غائمتان، مسترجعًا الذكريات.. «كان يذهب ويقف أمامه كل يوم مكثنا فيه في بوينت فينوتي.. ولا أعني بضع دقائق فقط بل وقف هناك لما يقارب ثلاث ساعات.. وأحيانًا أكثر. غالبًا كان وحيدًا في تلك الأوقات، لكن ليس دائمًا.. كان لديه... أصدقاء غريبون.»

«ذئاب؟»

«أظن ذلك»، قال ريتشارد، بنبرة غاضبة.. «نعم، أظن أن بعضهم قد يكونون ذئابًا، أو أيًا كان ما تسميه. كانوا غير مرتاحين في ملابسهم دائمًا ما يحكون أنفسهم، غالبًا في أماكن لا يُفترض أن يحكها الناس اللطيفون، آخرون كانوا يشبهون المدرب البديل.. جامدين وقساة.. بعض هؤلاء الرجال كنت أراهم أيضًا في معسكر الاستعداد.. سأخبرك بشيء واحد، جاك... هؤلاء الرجال كانوا أكثر خوفًا من ذلك المكان من والدي نفسه..كادوا يتراجعون هاربين وقت اقترابهم منه.»

«جاردنر المنير؟ هل كان هناك يومًا؟»

«نعم»، قال ريتشارد.. «لكن في بوينت فينوتي، كان يشبه الرجل الذي رأيناه هناك.»

«مثل أوزموند.»

«نعم.. لكن هؤلاء الأشخاص لم يأتوا كثيرًا.. غالبًا كان والدي وحده.. أحيانًا كان يطلب من مطعم موتيلنا تجهيز بعض السندويشات له، ويجلس على مقعد على الرصيف ويتناول غداءه ناظرًا إلى الفندق.. كنت أقف عند نافذة اللوبي في كينغزلاند وأنظر إلى والدي وهو ينظر إلى الفندق.. لم أحب وجهه في تلك الأوقات... بدا خائفًا، لكنه بدا أيضًا... كأنه يتفاخر.»

«يتفاخر؟» تأمل جاك.

«أحيانًا كان يسألني إن كنت أريد أن أذهب معه، وكنت أجيب دائمًا بلا.. فيومئ برأسه، وأتذكر مرة قال ‹سيكون هناك وقت، ستفهم كل شيء يا ريتشي... في الوقت المناسب.› كنت أفكر أنه إذا كان الأمر عن ذلك الفندق الأسود، فلا أريد أن أفهم.»

«مرة»، قال ريتشارد، «عندما كان ثملًا، قال إن هناك شيئًا داخل ذلك المكان.. قال إنه كان هناك منذ وقت طويل.. كنا مستلقين في أسرتنا، أذكر.. كانت الرياح قوية تلك الليلة.. كنت أسمع الأمواج تضرب الشاطئ، وصوت دوران مراوح الرياح النحاسية على أبراج الأجنكورت كان صوتًا مخيفًا...

فكرت في ذلك المكان، كل تلك الغرف، كلها فارغة...»

«إلا من الأشباح»، تمتم جاك.. الذي اعتقد أنه سمع خطوات ونظر سريعًا خلفهما.. لا شيء؛ لا أحد.. الطرقات خالية بقدر ما تستطيع العين أن ترى..

«صحيح، إلا من الأشباح»، وافق ريتشارد.. «فقلت ‹هل له قيمة، يا أبي؟›»

«قال ‹إنه أثمن شيء موجود.›»

«قلت ‹حينها ربما سيقتحم أحد المدمنين المكان ويسرقه.›» لم يكن... كيف أقول؟... موضوعًا أراد متابعته، لكنه لم يرد أن يغفو والرياح تهب في الخارج، وصوت مراوح الرياح النحاسية تصدر صريرًا في الليل...

ضحك، وسمع جاك صوت صليل الزجاج أثناء تجرعة قليلًا من البوربون من الزجاجة على الأرض...

«لن يسرقه أحد، يا ريتشي»، قال.. «وأي مدمن يدخل الأجنكورت سيرى أشياء لم يرها من قبل.» شرب ريتشارد مشروبه، وكان واضحًا أنه بدأ يشعر بالنعاس.. «شخص واحد فقط في العالم كله يمكنه لمس هذا الشيء، ولن يقترب منه أبدًا، يا ريتشي.. أستطيع أن أضمن لك ذلك.. شيء واحد يهمني هو أن يظل الوضع هناك كما هو هنا.. لا يتغير... على الأقل، على حد علمي، لا يتغير.. كنت أود أن أملكه، لكن لن أحاول أبدًا، على الأقل الآن، وربما أبدًا.. يمكنني أن أفعل

أشياء به... بالتأكيد!... لكن عمومًا، أعتقد أنني افضل أن يظل هذا الشيء في مكانه كما هو.»

«شعرت بالنعاس حينها، لكن سألته عمّا كان يتحدث عنه طوال الوقت.»

«ماذا قال؟» سأل جاك بصوت جاف.

«أطلق عليه...» تردد ريتشارد وهو يحدق، متفكرًا.. «أطلق عليه ‹محور جميع العوالم الممكنة›.» ثم ضحك.. ثم سماه شيئًا آخر.. شيئًا لن يعجبك.»

«ما هو؟»

«سيغضبك.»

«هيا، ريتشارد، اكشفه.»

«كان يسميه... حسنًا... كان يسميه ‹حماقة فيل سوير›.»

لم يكن شعورًا بالغضب بل اندفاعًا من الإثارة الساخنة والمذهلة.. إنها هي، نعم؛ إنها التعويذة.. محور جميع العوالم الممكنة.. كم عدد العوالم؟ الله وحده يعلم.. الأراضي الأمريكية؛ الأراضي نفسها؛ أراضي الأراضي الافتراضية؛ وهكذا وما إلى ذلك، مثل الشرائط التي ترتفع بلا توقف من عمود الحلاق الدوار.. كون من العوالم، ماكروكونس من العوالم ويجمعها كلّها شيء واحد دائمًا؛ قوة موحدة لا يمكن إنكار صلاحها، حتى لو كانت الآن محتجزة في مكان شرير؛ التعويذة، محور جميع العوالم الممكنة.. وهل كانت أيضًا

حماقة فيل سوير؟ ربما.. حماقة فيل... حماقة جاك... مورغان سلوت... جاردنر المنير... والأمل، بالطبع، لملكتين.

«إنه شيء يفوق توأمة العوالم»، تمتم بصوت منخفض...

كان ريتشارد يمشي بخطوات متثاقلة، يراقب قضبان السكة المتعفنة تحت قدميه، الآن نظر إلى جاك بقلق.

«إنه شيء يفوق توأمة العوالم، لأن هناك أكثر من عالمين.. هناك ثلاثة... أربعة... من يعلم؟ مورغان سلوت هنا؛ مورغان من أوريس هناك؛ ربما مور غان، دوق عزرائيل، في مكان آخر. لكنه لم يدخل الفندق أبدًا!»

«لا أعرف عما تتحدث»، قال ريتشارد بصوت مستسلم.. لكنني متأكد أنك ستستمر، على أي حال، ذلك النبرة المستسلمة تقول، متدرجة من الهراء إلى الجنون الصريح.. جميعًا على متن جزيرة سيبروك!

«لا يستطيع الدخول.. أي، مورغان من كاليفورنيا لا يستطيع... وتعرف لماذا؟ لأن مورغان من أوريس لا يستطيع.. ومورغان من أوريس لا يستطيع لأن مورغان من كاليفورنيا لا يستطيع.. إذا لم تستطع أي نسخة منهم الدخول إلى الفندق الأسود، فلن يستطيع أحدهم.. هل تفهم؟»

«لا.»

كان جاك، الممتلئ بحماسة الاكتشاف، لا يسمع ما قاله ريتشارد على الإطلاق...

«اثنان من مورغان، أو العشرات.. لا يهم.. اثنان من ليلي، أو العشرات... عشرات الملكات في عشرات العوالم، ريتشارد، فكر في ذلك! عشرات الفنادق السوداء... في بعض العوالم قد يكون متنزهًا أسود... أو مخيمًا للسيارات المتنقلة... أو لا أعلم ماذا.. لكن ريتشارد...»

توقف، وأدار ريتشارد بواسطة كتفيه، وحدق فيه، عيناه تتوهجان.. حاول ريتشارد الابتعاد للحظة، ثم توقف، مسحورًا بجمال النار في وجه جاك.. فجأة، لفترة وجيزة، صدّق ريتشارد أن كل شيء قد يكون ممكنًا.. فجأة، لفترة وجيزة، شعر بالشفاء.

«ماذا؟» همس..

«بعض الأشياء ليست مستبعدة.. بعض الناس ليسوا مستبعدين.. إنهم... حسنًا... ذو طبيعة واحدة... هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني أن أصفهم بها.. إنهم مثل تلك التعويذة.. ذات طبيعة واحدة.. أنا.. أنا ذو طبيعة واحدة.. كان لي توأم، لكنه مات.. ليس فقط في عالم الأراضي، بل في كل العوالم إلا هذا.. أعلم ذلك... أشعر بذلك.. كان والدي يعلم ذلك أيضًا.. أعتقد أن هذا سبب تسميته لي جاك المسافر.. عندما أكون هنا، لست هناك.. وعندما أكون هناك، لست هنا.. وريتشارد، أنت أيضًا لست هناك!»

حدق ريتشارد فيه، صامتًا...

«أنت لا تتذكر؛ كنت غالبًا في مدينة الفريكاوت بينما كنت أتحدث مع أندرس.. لكنه قال إن مورغان من أوريس كان له ولد روشتون هل تعرف ما كان؟»

«نعم»، همس ريتشارد.. لم يستطع بعد أن يزيح عينيه عن جاك.. «كان توأمي.»

«صحيح.. مات الطفل الصغير، قال أندرس.. التعويذة ذات طبيعة فريدة ونحن ذو طبيعة متفردة أيضًا.. والدك ليس كذلك.. لقد رأيت مورغان من أوريس في ذلك العالم الآخر، وهو مثل والدك، لكنه ليس والدك. لم يكن يستطيع الدخول إلى الفندق الأسود، ريتشارد لا يستطيع الآن، لكنه كان يعلم أنك ذو طبيعة فريدة، تمامًا كما علم أنني ذو طبيعة فريدة، كان يريد موتي، يحتاجك إلى جانبه.

«لأنه حينها، إذا قرر أنه يريد التعويذة، فبإمكانه دائمًا أن يرسلَك للحصول عليها، أليس كذلك؟»

بدأ ريتشارد يرتجف..

«لا تهتم»، قال جاك بجدية.. «لن يقلق بشأن ذلك بعد الآن.. سنخرجها، لكنه لن يحصل عليها.»

«جاك، لا أظن أنني أستطيع الدخول إلى ذلك المكان»، قال ريتشارد، لكنه تحدث همسًا منخفضًا بلا قوة، ولم يسمع جاك، الذي يخطوا بالفعل للأمام...

ركض ريتشارد خلفه للحاق به.

12

تضاءلت المحادثة، وجاء وقت الظهيرة ومرّ بلا معنى.. أصبحت الغابة صامتة تمامًا، ورأى جاك مرتين أشجارًا ذات جذوع ملتوية وغريبة وجذور متشابكة نمت قريبًا جدًا من القضبان.. لم تعجبه ملامح هذه الأشجار، فقد بدت مألوفة.

حدق ريتشارد في أعمدة القضبان التي تختفي تحت قدميه، تعثر أخيرًا وسقط، ضاربًا رأسه بالأرض، بعد ذلك حمله جاك على ظهره مرة أخرى.

«ها قد وصلنا، جاك!» نادى ريتشارد بعد ما بدا الوقت وكأنه أبدية...

أمامهم، اختفت القضبان داخل مخزن قديم للقطارات، وظهرت أبواب مفتوحة على ظلام باهت، يبدو باهتًا ومهترئا كالعثة.. وما وراء المخزن (الذي ربما كان يومًا كما وصفه ريتشارد، لكنه الآن بدا مخيفًا بالنسبة لجاك) طريق سريع— 101، حسب تقدير جاك.

وبعد ذلك، المحيط... حيث سمع دوي الأمواج.

«أعتقد أننا وصلنا،» قال بصوت جاف.

«قريبًا،» تمتم ريتشارد.. «بوينت فينوتي تبعد ميلًا أو نحو ذلك على الطريق.. يا إلهي، أتمنى لو لم نضطر للذهاب هناك، جاك... جاك؟ إلى أين أنت ذاهب؟»

لكن جاك لم يلتفت.. نزل عن القضبان، وتعامل مع أحد تلك الأشجار الغريبة (التي لم تكن حتى عالية مثل الشجيرات)، وتوجه نحو الطريق.. داعبت الأعشاب الطويلة والضارة جينزه المتسخ إثر الطريق.. شيء داخل مخزن الترام.. محطة قطار مورغان سلوات الخاصة في الماضي.. تحرك بحركة زاحفة كريهة، لكن جاك لم ينظر حتى نحوه.

وصل إلى الطريق، وعبره، وصولا إلى الحافة.

13

في منتصف ديسمبر من عام 1981، وقف فتى يُدعى جاك سوير عند مصب البحر حيث يلتقي الماء باليابسة، ويداه في جيوب بنطاله الجينز، ينظر إلى المحيط الهادئ الثابت، كان يبلغ من العمر اثني عشر عامًا، وجماله يفوق عمره بوضوح.. كان شعره البني طويلًا ربما أطول من اللازم... لكن نسيم البحر رفعه عن جبينه النقي الواضح.

وقف يفكر في والدته المريضة، وفي أصدقائه، الغائبين والحاضرين، والعوالم داخل العوالم، وهي تدور في مداراتها.

لقد قطعت هذا المسافة، فكر، وقشعر. من ساحل إلى ساحل مع جاك المسافر.. امتلأت عيناه فجأة بالدموع.. استنشق الهواء المالح بعمق، ها هو هنا... والتعويذة باتت قريبة جدًا.

«جاك!»

لم ينظر جاك إليه في البداية؛ فقد كانت عيناه مسحورتان بالمحيط، وبضوء الشمس الذهبي اللامع على قمم الأمواج.. إنه هنا؛ لقد وصل.. هو...

«جاك!» ضرب ريتشارد على كتفه، ليخرجه من غفلته.

«هاه؟»

«انظر!» ذُهل ريتشارد، مشيرًا إلى شيء في الطريق، في اتجاه ما يُفترض أن تكون فيه بوينت فينوتي.. «انظر هناك!»

نظر جاك، فهم دهشة ريتشارد، لكنه لم يشعر بها هو... أو لم يشعر بها أكثر مما شعر عندما أخبره ريتشارد باسم الموتيل الذي أقام فيه مع والده في بوينت فينوتي.. لا، لم تكن مفاجأة كبيرة، لكن...

لكن من الرائع جدًا رؤية والدته مرة أخرى.

كان وجهها عالياً عشرين قدمًا، ووجهها أصغر سنًا مما يتذكره جاك. كانت ليلي كما بدت في ذروة مسيرتها.. شعرها، بلون أشقر نحاسي مبهر، مربوط في ذيل حصان على طريقة تيوزداي ويلد.. بابتسامتها المتمردة، المليئة بالتحدي واللامبالاة، كلها لها وحدها.. لم يبتسم أحد في الأفلام هكذا... لقد اخترعتها، وما زالت تحتفظ ببراءة اختراعها.. تنظر من خلف كتف عارٍ.. إلى جاك... إلى ريتشارد... إلى المحيط الأزرق.

كانت والدته... لكن عندما رمش بعينه، تغيّر الوجه قليلًا.. أصبح الذقن والفك أكثر استدارة، عظام الخد أقل بروزًا، الشعر أغمق، والعيون أزرق أعمق.. الآن أصبح وجه لورا دي لوسيّان، والدة جيسون.. رمش مرة أخرى، فعاد وجه والدته مرة أخرى... والدته في الثامنة والعشرين، مبتسمة بابتسامة مرحة تتحدى العالم، تقول «خذ ما استطعت أن تحمله!»

كان لوح إعلان ضخم وكُتب على قمته

المهرجان السنوي الثالث لأفلام الرعب ب

بوينت فينوتي، كاليفورنيا

مسرح بيتكر

10 ديسمبر - 20 ديسمبر

هذا العام بمشاركة ليلي كافاناو

«ملكة أفلام الرعب»

«جاك، إنها والدتك،» قال ريتشارد بصوت أجش من الدهشة.. «هل هي مجرد صدفة؟ لا يمكن أن تكون، أليس كذلك؟»

هز جاك رأسه. لا، ليست صدفة.

الكلمة التي ظلت عينيه تتوقف عندها، بالطبع، كانت ملكة.

«هيا بنا،» قال لريتشارد.. «أعتقد أننا اقتربنا.»

سار الاثنان جنبًا إلى جنب في الطريق نحو بوينت فينوتي.

الفصل الثامن والثلاثون

نهاية الطريق

1

تفحّص جاك بعناية انحناءةً قامـة ريتشارد ووجهه المغشى بقطرات العرق أثناء سيرهما معًا.. بدا ريتشارد الآن وكأنه يجرّ نفسه جرًا بقوة الإرادة وحدها... وقد تفتّحت على وجهه بثورٌ أخرى رطبة المظهر.

سأله جاك «أأنت بخير يا ريتشي؟»

أجاب «لا... لست على ما يرام.. لكنني ما زلت أستطيع المشي يا جاك.. لستَ مضطرًا لحملي.»

ثم طأطأ رأسه ومضى بخطوات مثقلة يجرّها جَرًا كئيبًا.

رأى جاك أن صديقه، الذي يحمل من الذكريات عن ذلك القطار الصغير الغريب وتلك المحطة الغريبة بقدر ما يحمل أيُّ طفلٍ عاشهما حقًا، يتألم الآن أكثر منه بكثير أمام حقيقة ما آل إليه الواقع.. عوارض صدئة محطّمة، أعشابٌ برية، لبلابٌ سام... وفي النهاية مبنى متداعٍ تلاشى من جدرانه كلُّ ما كساه من طلاءٍ زاهٍ محفوظ في الذاكرة، مبنى يتلوّى في ظلمته شيءٌ لا يهدأ...

قال ريتشارد من قبل «أشعر كأن ساقي عالقة في فخٍّ

سخيف.»

وظنّ جاك أنه قادر على فهم ذلك... لكن ليس بالعمق الذي ينفذ إليه فهمُ ريتشارد.. ذاك الإدراك بات أثقل مما يطيقه قلبه.. قطعةٌ من طفولة ريتشارد قد اقتُلِعت، انقلبت على وجهها.. لقد بدت السكة والمحطة الميتة، بنوافذها الزجاجية الخاوية، كأنهما نسخةٌ مشوّهة من نفسيهما... جزءٌ آخر من الماضي ينهار في أثر كلّ ما يتلقنه ريتشارد الآن أو يقرّ به بشأن والده.

لقد شُلبت حياة ريتشارد كلُّها، كما حياة جاك، انكمشت وتحولت داخل نمط «الأراضي»، لكن ريتشارد حظيَ باستعدادٍ أقلّ بكثير لمثل هذا التحوّل...

2

أمّا ما قاله جاك لريتشارد عن «التعويذة»، وكاد أن يقسم أنه الحقيقة... إن التعويذة علمت أنهما قادمان!

لقد بدأ يشعر بذلك منذ اللحظة التي رأى فيها اللوحة الإعلانية تشعّ بصورة أمه؛ والآن صار الشعور متفاقمًا وقويًا.. كأن وحشًا عظيمًا قد استيقظ على بُعد أميال، وهديره الخافت يجعل الأرض ترتجف... أو كأن كل مصباح داخل مبنى من مئة طابق وراء الأفق قد أُضيءَ دفعةً واحدة، فاندلع نور هائل محا ضوء النجوم... أو كأن أحدهم قد شغّل أعظم مغناطيس في العالم، فجذب مشبك حزام جاك، والفكة في جيوبه، وحشوات أسنانه، ولن يتوان حتى يسحبه إلى قلبه... ذلك الوحش الهادر، وذلك السطوع المفاجئ، وذلك الشوق المغناطيسي... كلها تتردّدت في صدر جاك.

شيء هناك، في جهة «بوينت فينوتي»، يريد جاك سوير، وما لم يعرفه جاك قبل كل شيء عن ذلك الشيء الذي يناديه من أحشائه أنه ضخمًا.. ضخمًا حقًا.. لا شيء صغير يمكن أن يمتلك مثل تلك القوة.. حجمه بحجم فيل... بل بحجم مدينة.

وتساءل جاك عن قدرته على احتمال شيء بهذه الجلال والرهبة.

لقد شجنت التعويذة في فندق قديم ساحر وشرير؛ ومن المرجح أنه وُضِع هناك لا ليُنتزع من أيدي الشر فحسب، بل

لأن التعامل معه صعب على أي شخص، مهما كانت نيّته... ربما، فكّر جاك، كان «جايسون» الكائن الوحيد القادر على احتوائه... القادر على التعامل معه دون أن يؤذي نفسه أو يؤذي التعويذة... وبشعوره بقوة النداء المستعر نحوه، لم يستطع جاك إلا أن يأمل ألا ينهار قبل الوصول للتعويذة.

«ستفهم يا ريتش» قال ريتشارد، مفاجئًا إياه.. كان صوته خافتًا أجوف.. «قال لي أبي ذلك.. قال إنني سأفهم.. ‹ستفهم يا ريتش.›»

«نعم»، تمتم جاك، وهو ينظر بقلق إلى صديقه.. «كيف تشعر الآن يا ريتشارد؟»

بالإضافة إلى القروح التي تحيط بفمه، تجمعت على جبينه المُبَقَّع الآن نتوءاتٍ حمراء نافرة غاضبة تنبض عبر جبينه ذي البثور وعلى صدغيه.

بدا وكأن سربًا من الحشرات قد نجح في حفر طريقه تحت سطح جلده الثائر، للحظةٍ، لمح جاك صورة ريتشارد سلوت في ذلك الصباح حين تسلّل إلى نافذته في «نيلسون هاوس» بمدرسة «ثاير»، ريتشارد سلوت بنظارته ثابتة على جسر أنفه، وقميصه الصوفي مدسوس بعناية في سرواله... ثُرى هل يعود ذلك الفتى المستقيم المزعج الذي لا يتزحزح قيد أنملة؟

«ما زلت أستطيع المشي»، تمتم ريتشارد.. «لكن... هل هذا ما كان يعنيه؟ هل هذا هو الإدراك الذي من المفترض أن أصل

إليه... أو أحصل عليه... أو أيًا يكن اللعنة...؟»

«هناك شيء جديد على وجهك»، قال جاك.. «أتريد أن نستريح قليلًا؟»

«كلا»، رد ريتشارد، بصوت كأنه يصعد من قاع برميل موحل.. «وأشعر بذلك الطفح.. إنه يحكّني.. أظن أنه يغطي ظهري كله أيضًا.»

«دعني أرى»، قال جاك.. فتوقف ريتشارد في منتصف الطريق، مطيعًا كالكلب، أغلق عينيه، وأخذ يتنفس من فمه.. توهجت البقع الحمراء على جبينه وصدغيه، انتقل جاك خلفه، ورفع سترته، ثم رفع ظهر قميصه الأزرق المتسخ.. كانت البقع هنا أصغر، وأقل بروزًا وشراسة؛ تنتشر من لوحي كتفيه النحيلتين إلى أسفل ظهره، ليست أكبر من أثر قراد صغير.

وأطلق ريتشارد تنهيدة كبيرة بائسة دون وعي.

«نعم، موجودة... لكنها ليست سيئة جدًا»، قال جاك.

«شكرًا»، رد ريتشارد، أخذ نفسًا ورفع رأسه.

بدت السماء الرمادية فوقهما ثقيلة كفاية لتسقط على الأرض، وفار البحر عند الصخور أسفل المنحدر. «ليست سوى بضعة أميال حقًا»، تمتم ريتشارد.. «سأصل.»

«سأحملك على ظهري عندما تحتاج»، قال جاك، مُظهرًا دون قصد قناعته بأن ريتشارد سيحتاج إلى المساعدة قريبًا.

هزّ ريتشارد رأسه، وحاول محاولة غير مجدية لإعادة قميصه داخل سرواله.. «أحيانًا أشعر... أحيانًا أشعر أنني لا أستطيع...»

«سندخل ذلك الفندق يا ريتشارد»، قال جاك، واضعًا ذراعه في ذراع ريتشارد، ودافعًا إياه نصف دفعة إلى الأمام.. «أنا وأنت.. معًا.. لا فكرة لدي عمّا سيحدث حين نصل، لكننا سندخل.. مهما حاولوا منعنا.. فقط تذكّر ذلك.»

رمقه ريتشارد بنظرة نصفها خوف ونصفها امتنان.. والآن استطاع جاك رؤية الخطوط غير المنتظمة لنتوءات قادمة تتكوّن تحت جلد خدي ريتشارد، وعاد يشعر بتلك القوة الهائلة تشده إلى الأمام، كما تشدّ ريتشارد.

«أنت تعني أبي»، قال ريتشارد.. رمش، وظن جاك أنه يحاول ألّا يبكي فالإرهاق ضاعف انفعالاته.

«أعني كل شيء»، قال جاك، وهو يعلم أنه لا يقول الحقيقة كاملة.. «هيا بنا يا صديقي القديم.»

«لكن ماذا يفترض بي أن أفهم؟ لا أفهم...» قال ريتشارد، وهو يرمش بعينيه الجافتين.. معظم العالم، تذكّر جاك، بان ضبابيًا أمام رؤيته الضعيفة.

«أنت تفهم أكثر بكثير الآن يا ريتشي»، تمتم جاك...

ولوهلة، ارتسمت على فم ريتشارد ابتسامة لاذعة مربكة.. لقد أُجبر على فهم ما لم يكن يتمنى قط أن يعرفه، ووجد

جاك نفسه للحظة يتمنى لو أنه هرب وحده من مدرسة «ثاير» تلك الليلة، لكن الوقت الذي ربما استطاع فيه الحفاظ على براءة ريتشارد قد انقضى... إن وُجد من الأساس... فريتشارد جزءٌ لا يتجزأ من مهمة جاك.. وشعر جاك بأيدٍ قوية تطبق على قلبه.. يدا جايسون، يدا التعويذة.

«نحن في الطريق»، قال جاك، وعاد ريتشارد إلى إيقاع خطواته.

«سنرى أبي هناك في بوينت فينوتي... أليس كذلك؟» سأل ريتشارد.

قال جاك «سأتولى أمرك يا ريتشارد.. أنت القطيع الآن.»

«ماذا؟»

«لن يمسّك أحدٌ بأذى... إلا إن فركت جسدك حتى الموت.»

تمتم ريتشارد بكلمات مبهمة وهما يمضيان.. كانت يداه تنزلقان فوق صدغيه الملتهبين، يفركان ويكرّران الفرك.. وبين حين وآخر، كان يغرس أصابعه في شعره ويحك رأسه ككلب، مطلقًا أنينًا تخللته بعض الراحة.

3

بعد برهةٍ من رفع ريتشارد قميصه كاشفًا عن البقع الحمراء التي لطّخت ظهره، أبصر الصبيّان أولى أشجار «الأراضي» التي نمت في الجهة الداخلية من الطريق السريع، أغصانها داكنة متشابكة، ينهض جذعها الغليظ ذو اللحاء المتعرّج من كتلةٍ حمراء شمعية من اللبلاب السام.. ففغرت عقد اللحاء أفواهًا أو عيونًا حدقت بالصبيين، وفي العمق، داخل الحصيرة الكثيفة من اللبلاب السام، جاء حفيف... حفيف لجذورٍ غير راضية... هيّج الأوراق الشمعية من فوقها، كما لو أن نسيمًا خفيفًا مرّ خلالها.

قال جاك «لنعبر الطريق»، وتمنى لو أن ريتشارد لم يرَ الشجرة.. لكن خلفه ظل يسمع الجذور السميكة المطاطية وهي تتحرّش بسيقان اللبلاب.

هل ذاك صبي؟ أيمكن أن يكون صبيًا هناك؟ صبيًا مميزًا ربما؟

سبحت يدا ريتشارد من جانبيه إلى كتفيه، ثم إلى صدغيه، ثم إلى فروة رأسه، وعلى خديه، كانت الموجة الثانية من النتوءات الحمراء تبدو كأنها مكياجُ أفلام رعب... أشبه بوحش ناشئ من أحد أفلام ليلي كافانو القديمة.. ورأى جاك أن النتوءات الحمراء على ظهر يدي ريتشارد بدأت تلتحم مكوّنةً عُقَدًا كبيرة متورّمة.

تسائل جاك «هل تستطيع فعلًا المتابعة يا ريتشارد؟»

أوماً ريتشارد.. «طبعًا.. لبعض الوقت.» حدّق عبر الطريق ثانيةً. «تلك لم تكن شجرة عادية، أليس كذلك؟ لم أرَ مثلها قط... ولا حتى في كتاب.. إنها شجرة من الأراضي، أليس كذلك؟»

«أخشى ذلك»، قال جاك.

«هذا يعني أن الأقاليم قريبة جدًا، أليس كذلك؟»

«يبدو ذلك.»

«إذن ستكون هناك المزيد من تلك الأشجار في الأمام، صحيح؟»

قال جاك «ما دمت تعرف الإجابات، فلماذا تسأل الأسئلة؟ ... يا جايسون، يا لجملة الغباء.. آسف يا ريتشي... كنتُ آمل فقط أنك لم ترها.. نعم، أظن أن هناك المزيد منها في الطريق.. فلنحاول فحسب ألا نقترب منها.»

على أي حال، فكّر جاك، إنّ قول «هناك في الأعلى» لم يعد وصفًا دقيقًا لما هم مقبلون عليه.. فالطريق السريع ينحدر بإصرار عبر منحدرٍ ثابت، وكل مئة قدم تبعدهما أكثر عن الضوء.. بدا أن كل شيء تلبسته روح الأراضي.

قال ريتشارد «هلا تطلّع إلى ظهري؟»

«طبعًا.» رفع جاك قميص ريتشارد مجددًا.. كتم أنينه، رغم

أن غريزته دفعت صدره ليزفر شهقة.. الآن ظهر ريتشارد مغطّى ببقع حمراء نافرة تكاد تشعّ حرارة.. قال «إنه أسوأ بعض الشيء.»

«كنت أشعر بذلك.. بعض الشيء، أليس كذلك؟»

«بعض الشيء..»

«بعد وقتٍ طويل»، فكّر جاك، «سيبدو ريتشارد كحقيبةٍ جلدية من ظهر تمساح... «فتى التمساح»، ابن «رجل الفيل».»

نمت شجرتان معًا بعد مسافة قصيرة أمامهما، جذوعهما المليئة بالمآليل ملتفّة حول بعضها بطريقة توحي بالعنف أكثر من العناق.. وبينما جاك يحدّق فيهما أثناء مرورهما السريع، ظن أنه رأى الثقوب السوداء في اللحاء تُحرّك أفواهها نحوهما، تنفث لعنات أو قُبَلًا؛ وسمع يقينًا صوت الجذور وهي تتضارَب أسفل الشجرتين الملتصقتين.

(صبي! هناك صبيّ بالخارج! صبينا بالخارج!)

رغم أن الوقت لم يجاوز منتصف النهار، أصبحت السماء مظلمة، حبيبية، كصورة في جريدة قديمة.. حيث كان العشب ينمو في الجانب الداخلي للطريق، وحيث كانت أزهار «الدانتيل الملكي» تتفتح ناصعة، غطّت الأرض الآن أعشابٌ واطئة مجهولة، بلا أزهار تقريبًا وبأوراق قليلة، تشبه ثعابين ملتفّة، وتفوح منها رائحة خفيفة تشبه رائحة وقود الديزل.. أحيانًا شقت الشمس هذا الغبار الحبيبي كالهبَة، فيشتعل

وهجًا برتقاليًا باهتًا.. وتذكّر جاك صورة رآها يومًا لمدينة غاري في إنديانا ليلًا... نيرانٌ جحيمية تتغذّى على السم في سماء سوداء مسمومة.

ومن ذلك العمق، كانت التعويذة تشدّه كما لو أنها عملاقًا يطبق بيديه على ثيابه على مفترقُ كل العوالم الممكنة... سيأخذ ريتشارد إلى ذلك الجحيم... ويقاتل بكل قواه... حتى لو اضطر إلى جره من كاحليه.. ويبدو أن ريتشارد أدرك إصراره هذا، إذ ظلّ يسير بجانبه، يحكّ جانبيه وكتفيه بلا توقف.

سأفعل هذا، قال جاك لنفسه، محاولًا تجاهل مبالغته في شدّ أزر نفسه.

وإن اضطررتُ لعبور اثنتي عشرة عالَمًا مختلفًا... فسأفعل.

4

على بُعد ثلاثمائة ياردةٍ أخرى أسفل الطريق، وقفت مجموعةٌ من أشجار الاراضغ القبيحة عند حافة الطريق السريع كأنها قُطّاع طرق مترصّدون.. وبينما اجتازها جاك من الجهة المقابلة، رمق جذورها الملتفّة فرأى، نصفَ مطمورٍ في التربة التي تشقّها تلك الجذور، هيكلاً عظمياً صغيراً مبيّضاً، لطفلٍ ربما في الثامنة أو التاسعة، لا يزال يرتدي قميصًا مخطّطًا أخضرَ وأسودَ قد نخره العفن.. ابتلع جاك ريقه وأسرع في سيره، يجرّ خلفه ريتشارد كما لو كان حيواناً أليفًا يجره بخيط خفي...

5

وبعد مضي بضع دقائق.. تجلت أمام جاك سوير «بوينت فينوتي» للمرة الأولى.

الفصل التاسع والثلاثون

بوينت فينوتي

1

بدت بوينت فينوتي على بُعد.. متشبثة بحافة الجرف المنحدر نحو المحيط وكأنها تخشى السقوط... وارتفع خلفها صفٌ آخر من الجروف، شاهقًا متعرّج شق طريقه عبر الهواء المظلم، فبدت الجروف كأنها فيلةٌ طاعتة في العمر حفرت على جسدها تجاعيد الزمان الغائرة.. انحدر الطريق بمحاذاة جدران خشبية عالية، ثم انعطف عند مبنى معدنيّ طويل ذي لون بنيّ، بدا مصنعًا أو مستودعًا، قبل أن يختفي متدرجًا في سلسلة من المصاطب، حيث الأسقف الباهتة لمخازن أخرى.

ومن موضع جاك، لم يظهر الطريق مرة أخرى إلا حين بدأ يتسلّق المرتفع المقابل، صاعدًا جنوبًا باتجاه سان فرانسيسكو، لم يرَ سوى انحدار أسقف المخازن كدرجات، ومواقف السيارات المسيّجة، وبعيدًا إلى اليمين مياه الشتاء الرمادية.. لم يتحرك أحد على أي جزء من الطريق الظاهر له، ولم يطل أحد من صفّ النوافذ الصغيرة خلف المصنع القريب، فقط الغبار الذي دار في المواقف الخالية.

بدت بوينت فينوتي مهجورة... لكن جاك علم أنها ليست كذلك..

فمورغان سلوت ورفاقه... أو الناجون منهم... من حادثة وصول قطار الأراضي المفاجئ... بانتظار وصول «جاك المسافر» و«ريتشارد العقلاني».

نادته التعويذة بقوةٍ مُلحة، دفعته إلى الأمام، فتمتم..

«ها نحن ذا يا صغيرتي»، وتقدّم.

وما إن خطا خطوة أخرى حتى انكشف أمامه وجهان جديدان لبوينت فينوتي..

أولُهما: ما يقارب تسع بوصات من مؤخرة سيارة كاديلاك ليموزين، رأى الطلاء الأسود اللامع، والصادم البرّاق، وجزءًا من المصباح الخلفي الأيمن، وتمنّى جاك بصدق لو أنّ الذئب الهارب الجالس خلف المقود كان واحدًا من قتلى معسكر الاستعداد.

ثم أعاد بصره نحو المحيط.. كانت مياهه الرمادية تموج نحو الشاطئ، وحين رفع رأسه ثانية، استوقفه شيء يتحرك ببطء فوق أسقف المصنع والمخازن.

«تَعالي»، نادته التعويذة، بصوتٍ يحمل تلك العجلة الممغنطة الغريبة..

بدت بوينت فينوتي وكأنها تنكمش... ككفٍّ ينقبض.

وفوق الأسقف... وقد صار مرئيًا الآن فقط... رأي بوصلةُ رياحٍ مظلمة لا لون لها، على شكل رأس ذئب، تدور بفوضى لا تطيع ريحًا.

وحين رأى جاك بوصلة الريح الجامحة تتأرجح يمينًا ويسارًا، ثم يسارًا ويمينًا، وتستدير دورة كاملة، أدرك أنه شهد أوّل لمحة من الفندق الأسود... على الأقل جزءًا منه.. ومن الطريق أمامه، ومن الأسقف، ومن البلدة غير المرئية، ارتفع شعور لا يُخطئ بالعداء، قويًا كصفعة على الوجه.

فهم جاك أن الأراضي تتسرّب إلى داخل بوينت فينوتي؛ فالواقع هنا ضُقِل حتى صار رقيقًا.

دارت رأس الذئب عبثًا في الهواء، فيما واصلت التعويذة جذبَه..

«تَعالي... تَعالي... الآن... الآن... الآن...»

وأدرك جاك، تحت وطأة قوة الجذب الهائلة المتصاعدة، أنها تناجيه.. بلا كلمات، وبلا لحن، لكنه غناء... صعود وانخفاض منحنٍ كأنغام الحيتان، لا يسمعه سواه.

لقد علمت التعويذة أنه رأى بوصلة ريح الفندق.

«ربما تكون بوينت فينوتي أكثر البقاع فسادًا وخطورة في الأمريكتين كلتيهما...» قال جاك في نفسه وقد اشتدّت شجاعته فجأة... «لكنها لن تمنعني من دخول فندق أجينكورت.»

التفت إلى ريتشارد، شاعراً بقوة متدفقة كأنه أمضى شهرًا بين الراحة والتمرين، وحاول ألا يُظهر ما يشعر به من فزع من حال صديقه.. لن يتمكن ريتشارد من إيقافه، وإن اضطر،

سيدفعه عبر جدران الفندق اللعين دفعًا.

رآه يمرّر أظافره عبر شعره ثم فوق طفح متورّم يغطي صدغيه وخديه.

قال جاك

«سنفعلها يا ريتشارد... أنا واثق.. لا يهم كمّ الجنون الذي سيلقونه في طريقنا... سنفعلها.»

قال ريتشارد، مقتبسًا... بالتأكيد دون وعي...ومن د. سوس:

«مشاكلنا... ستخلق لنفسها مشاكل معنا.»

ثم توقّف..

«لا أعرف إن كنت أستطيع المتابعة.. هذه الحقيقة.. أنا منهك تمامًا.»

ومنحه نظرة عذاب مكشوفة تمامًا...

«ما الذي يحدث لي يا جاك؟»

رد جاك

«لا أعرف... لكني أعرف كيف أوقفه.» وأمّل أن يكون ذلك حقيقيًا.

قال ريتشارد بصوت منكسر

«هل يفعل أبي هذا بي؟»

ومسح وجهه المنتفخ بيديه، ثم رفع قميصه ليتفقد الطفح

الأحمر على بطنه.. باتت البثور تشبه خريطة ولاية أوكلاهوما بدأت من خصره والتفت حول جانبيه صعودًا حتى كادت أن تبلغ عنقه.

«يبدو كفيروس... أو شيء مشابه.. هل أصابني أبي به؟»

رد جاك

«لا أظن أنه فعلها عمدًا يا ريتشي... إن كان هذا يعني لك شيئًا.»

فردّ ريتشارد

«لم يعد يعني لي أي شيء..»

قال جاك

«سينتهي كل شيء.. قطار جزيرة سيبروك يقترب من نهاية الخط.»

وبجانب ريتشارد، تقدّم جاك خطوة أخرى ورأى أضواء الكاديلاك الخلفية تومض ثم تنطفئ قبل أن تنزلق السيارة خارج مجال رؤيته..

لن يكون هناك هجوم مفاجئ هذه المرة، ولا اقتحام مذهل عبر الأسوار بقطار مليء بالأسلحة والذخيرة؛ لكن حتى لو علمت البلدة كلها أنهما قادمان... فجاك ماضٍ في طريقه.

شعر فجأة كأنه ارتدى درعًا، وكأنه يمسك سيفًا سحريًا.. لا أحد في بوينت فينوتي يملك القدرة على إيذائه... ليس قبل

أن يصل إلى فندق أجينكورت.. سيمضي، وريتشارد العقلاني بجواره، وكل شيء سيكون على ما يرام.

وقبل أن يخطو ثلاث خطوات أخرى، وعضلاته تتماوج مع غناء التعويذة، جاءه تصوير أدقّ لنفسه من صورة فارسٍ خارج إلى القتال.. جاءته الصورة كبرقية سماوية من أحد أفلام أمّه.. كان كأنه يمتطي حصانًا، يعتمر قبعة واسعة الحواف، وعلى فخذه مسدس مربوط، يدخل ليُنقّي الوادي الضيق من شروره.

القطار الأخير إلى هانغتاون... تذكّر.. ليلي كافانو، كلينت ووكر، وِيل هاتشينز، 1960.

فليكن.

2

نبتت أربع أو خمس من أشجار الأراضي بصعوبة من التربة البنية الصلبة بجانب أول المباني المهجورة، ربما كانت هناك طوال الوقت، مدت فروعها عبر الطريق حتى كادت أن تلامس الخط الأبيض، وربما لا؛ لم يستطع جاك تذكّر رؤيتها حين نظر أول مرة نحو البلدة المتوارية.. ومن الصعب عليه تصور أنه قد يغفل الأشجار أكثر مما قد يغفل عن قطيع من الكلاب البرية.. سمع جذورها تهمس على سطح الأرض كلما اقترب هو وريتشارد من المستودع.

(هل هذا ولدنا؟ هل هذا ولدنا؟)

قال لريتشاد، وهو يأخذ بيده المليئة بالنتوءات ليعبرا الطريق

«لننتقل إلى الجانب الآخر من الطريق.»

وما إن وصلوا للجانب المقابل، تمدّدت أحد أشجار الأراضي أمامهم، جذورًا وفروعًا، وكأنها تسمعهم.

لو كان للأشجار بطون، لسمعوا زمجرة معدتها.. انطلقت الفروع المتشابكة والجذور الملساء مثل الثعابين عبر الخط الأصفر، ثم عبرت نصف المسافة المتبقية نحو الصبيين. وخز جاك ريتشارد المذعور بمرفقه، ثم أمسك بذراعه وسحبه معه.

(ولدي! ولدي! نعم!!)

فجأة، ملأ الهواء صوت تمزيق وتمزّق، وللحظة ظن جاك أن مورغان من أُوريس يعيد اختراق العوالم، يتحوّل إلى مورغان سلوت... مورغان سلوت بعرض أخير لا يُرفض، يشمل رشاشًا ولهب حارق وزوجًا من الملاقط المحمومة... لكن بدلًا من والد ريتشارد الغاضب، ارتطمت قمة شجرة الأُراضي بالطريق، ارتدت مع صوت تكسر الفروع المدوي كفرقعة، ثم انقلبت على جانبها كحيوان نافق...

قال ريتشارد

«يا إلهي... لقد خرجت من الأرض وراءنا.»

كان هذا بالضبط ما كان يفكر فيه جاك.. الذي قال

«شجرة انتحارية... أعتقد أن الأمور ستصبح فوضوية بعض الشيء هنا في بوينت فينوتي.»

رد ريتشارد متسائلاً

«بسبب الفندق الأسود؟»

أجاب جاك

«بالتأكيد... لكن أيضًا بسبب التعويذة.»

نظر إلى أسفل الطريق ورأى مجموعة أخرى من الأشجار اللاحمة على بعد عشرة ياردات تقريبًا أسفل التل.

«الأجواء أو الطاقة أو أيًا كان ما تريد تسميته كلها مختلة... لأن كل شيء شر وخير، أسود وأبيض، كل شيء مختلط.»

واصل جاك مراقبة المجموعة التي اقتربوا منها ببطء، ولاحظ أقرب شجرة تهز رأسها نحوه، كما لو كانت قد سمعت صوته.

«ربما تكون هذه البلدة كلها مجرد أوتلي،» فكر جاك، وربما سينجو في النهاية... لكن إذا كان هناك نفق في الأمام، آخر شيء قد يفعله جاك ساوير هو الدخول إليه.. لم يرغب حقًا بلقاء نسخة بوينت فينوتي من إلروي.

تمتم ريتشارد من وراءه بصوت خائف..

«أنا خائف... جاك، ماذا لو استطاعت المزيد من هذه الأشجار القفز من الأرض هكذا؟»

قال جاك

«أتعلم، لقد لاحظت أنه حتى عندما تتحرك الأشجار، فهي لا تستطيع الابتعاد كثيرًا.. ومن المرجح أن ديك رومي مثلِك يستطيع التفوق على الشجرة.»

دارا حول آخر منحنى في الطريق، هابطان بجانب المخازن الأخيرة، التعويذة تنادي وتنادِي، بصوت مسموع مثل قيثارة العملاق في قصة «جاك والفاصوليا السحرية». وأخيرًا، وصل جاك إلى المنعطف، وبرزت أمامه بقية بوينت فينوتي.

جانب جايسون فيه حفّزه على الاستمرار.. ربما كانت بوينت فينوتي سابقًا منتجعًا صغيرًا لطيفًا، لكن تلك الأيام ولّت منذ زمن بعيد.. الآن، أصبحت بوينت فينوتي نفسها نفق

أوتلي، وعليه أن يمر رغم كل شيء.. انحدر الطريق المشقق والمتكسر نحو منطقة منازل صغيرة محترقة محاطة بأشجار الأراضي، التي سكنها يومًا عمال في المصانع والمستودعات التي باتت خالية، وكل ما تبقى من تلك المنازل واحد أو اثنين يكفيان لإظهار ما كانت عليه يومًا ما.

تصدعت هياكل السيارات المحترقة هنا وهناك، وحاوطتها الأعشاب الكثيفة.

عبر قواعد المنازل الصغيرة المدمرة، تسللت جذور أشجار الأراضي ببطء... للطوب المحترق والألواح، أحواض الاستحمام المقلوبة والمكسورة، الأنابيب الملتوية متناثرة في القطع المحترقة.

لفت انتباه جاك وميض أبيض، لكنه أبعد بصره حين رأى عظمًا أبيضًا لهياكل عظمية مهشمة تحت جذور الأشجار..

شهدت هذه الشوارع سابقًا أطفالًا يركبون الدراجات، وربات بيوت يجتمعن في المطابخ للشكوى من الأجور والبطالة، ورجالًا يلمعون سياراتهم في ممرات المنازل، كل هذا ذهب الآن... أرجوحة مقلوبة، لاكها الصدأ، تخترق الأنقاض والأعشاب.

وميضات حمراء صغيرة تومض في السماء القاتمة.

أسفل مساحة المنازل المحترقة الممتدة لمربعين، علّقت إشارة مرور معطلة فوق تقاطع خالٍ.

عبر التقاطع، ظل جانب مبنى محترق يظهر حروفًا مكتوبة (أوه لا! من الأفضل أن تحصل على ما...!)

فوق صورة سيارة نافذة زجاجية محطمة.. لم يمتد الحريق أكثر، لكن جاك تمنى لو امتد.. كانت بوينت فينوتي بلدة متدهورة؛ وكان الحريق أفضل من التعفن.. المبنى الذي يحمل إعلان نصف مدمر لطلاء ماكو كان أول صف المتاجر تلاه متجر كوكب الخطر للكتب، متجر الشاي والتعاطف، متجر فريدي للأغذية الصحية، قرية النيون... استطاع جاك قراءة عدد قليل من أسماء المتاجر فقط، إذ أن الطلاء قد تقشر منذ زمن طويل عن الواجهات.

بدت هذه المتاجر مغلقة، مهجورة كما المصانع والمستودعات على التل.

حتى من مكانه، رأى جاك أن النوافذ الزجاجية قد تحطمت منذ زمن طويل، كإطارات نظارات فارغة، عيون فارغة أطلت عليهما بلا حياة.. لطخات من الطلاء الأحمر والأسود والأصفر زينت واجهات المتاجر، غريبة، زاهية كأنها ندوب في الطقس الرمادي الباهت.

امرأة عارية، جائعة جدًا حتى أن جاك كان يمكن أن يعد أضلاعها، تلف ببطء وبتأنٍ كأنها بوصلة رياح في الشارع المملوء بالأنقاض أمام المتاجر.. فوق جسدها الشاحب، وصدرها المترهلة، وشعرها المبقَّع، ووجهها مطليًا بالبرتقالي الناري، وشعرها ذو اللون البرتقالي أيضًا.. توقف جاك عن

الحركة، وراقب المرأة المجنونة وهي ترفع ذراعيها، وتلوّي جسدها العلوي بتروٍ، ترفس قدمها اليسرى فوق جثة كلب، وتثبت نفسها كتمثال.. كانت رمزًا لكل بوينت فينوتي، متمسكة بوضعيتها، ثم نزلت قدمها، ودارت الجسد النحيل ببطء.

بعد المرأة، وبعد صف المتاجر الفارغة، تحوّل الشارع الرئيسي إلى سكني... على الأقل ظن جاك أنه كان سكنيًا ذات يوم... هنا أيضًا، طمس الطلاء الزاهي المباني، بيوت صغيرة ذات طابقين كانت بيضاء مشرقة، الآن مخدوشة بالطلاء والشعارات.. ارتفع شعار واحد ذو تصميم غريبة (أنت ميت الآن)، كُتب على جانب مبنى متقشر معزول، قد يكون نزلًا سابقًا.. الكلمات كانت موجودة منذ زمن طويل.

قالت التعويذة بصوت مدوٍ ولغة فاقت مستوى السمع...

«جيسون، أحتاجك.»

همس ريتشارد بجواره

«لا أستطيع... جاك، أعرف أنني لا أستطيع.»

بعد صف المنازل المتقشرة واليائسة، انحدر الطريق مرة أخرى، ورأى جاك فقط مؤخرة زوج من سيارات كاديلاك السوداء، واحدة على كل جانب من الشارع الرئيسي، متوقفة تمد انفها نحو الأسفل، ومحركها يعمل.. وكأنها صورة خداعية، بدا الجزء العلوي نصفه؟ ثلثه؟زمن الفندق الأسود يرتفع

فوق مؤخرة الكاديلاك والمنازل الصغيرة اليائسة، كأنه يطفو، مقطوع بمنحنى التل الأخير.

قال ريتشارد مكررًا

«لا أستطيع الدخول هناك.»

رد جاك

«لست متأكدًا حتى إن كنا سنستطيع تجاوز تلك الأشجار... اصبر قليلًا يا ريتشي.»

صدر عن ريتشارد صوت غريب يشبه الشخير، أخذ جاك ثانية ليدرك أنه بكاء.. وضع جاك ذراعه فوق كتف ريتشارد.

احتل الفندق المشهد بوضوح.. الفندق الأسود الذي امتلك بوينت فينوتي، الهواء من فوقها، الأرض من تحتها.. أثناء النظر إليه، رأى جاك بوصلة الريح تدور في اتجاهات متناقضة، والأبراج بأسقفها المثلثة ارتفعت كالتآليل في الهواء الرمادي.. بدا فندق أجينكورت وكأنه مبني حجري... من أحجار عمرها ألف عام، سوداء كالقطران، في إحدى النوافذ العليا، فجأة ظهر ضوء... كان لجاك كما لو أن الفندق غمز له، مسرورًا سرًا لأنه أصبح قريبًا جدًا.. بدا شكل خافت يبتعد عن النافذة، وبعد لحظة ظهر انعكاس سحابة سبحت عبر الزجاج.

من مكان ما في الداخل، أطلقت التعويذة أغنيتها التي لا يستطيع أحد أن سمعها سواه.

3

قال ريتشارد وهو يلهث «أظن أنه كبر.»

لقد نسي الحك منذ أن تجلى الفندق خلف التل الأخير.. دموعه سالت فوق البقع الحمراء المرتفعة على خديه، ورأى جاك أن عينَيه صارتا الآن محاطتين بالكامل بالطفح لم يعد ريتشارد بحاجة إلى إحاطة عينيه ليتمكن من التحديق.

قال «مستحيل، لقد كان الفندق أصغر، جاك! أنا متأكد.»

أجاب جاك «الآن، لا شيء مستحيل.» وكان هذا القول شبه غير ضروري فقد تجاوزا منذ زمن بعيد مملكة المستحيل بالفعل...

كان فندق أجينكورت ضخمًا جدًا، مهيمنًا إلى درجة تفوق كل مقاييس البلدة.

كان البذخ المعماري للفندق الأسود، بكل أبراجه الصغيرة وبوصلات الرياح النحاسية المتصلة بالأبراج المزخرفة، القباب والممرات الذي من المفترض أن يعكس روح المرح والخيال.. بدلًا من ذلك جعله مهيبًا ومرعبًا ككابوس... بدا وكأنه ينتمي إلى نوع من «ضد ديزني لاند»، حيث اختنق دونالد داك وهوي ودوي ولوي، وأطلق ميكي النار على ميني ماوس بالهيروين.

قال ريتشارد بذعر «أنا خائف.»

نادته التعويذة بصوتٍ مدوٍ «جيسون، تَعَالَ الآن!»

قال جاك مطمئنًا «ابقَ قريبًا مني يا صديقي، وسنمر عبر هذا المكان كأننا زيت ينساب عبر ريش الإوزة.»

«جيسون، تَعَالَ الآن!»

تحركت مجموعة أشجار الأراضي أمامهما مع خطوة جاك للأمام...

علق ريتشارد خائفًا خلفه.. ربما، أدرك جاك، أن ريتشارد أصبح شبه أعمى الآن، محرومًا من نظارته وعيناه تضيقان تدريجيًا.. مدّ جاك يده خلفه وسحب ريتشارد للأمام، شاعرًا بمدى نحافة يده ومعصمه.

تعثّر ريتشارد وهو يسير، ومعصمه النحيل يحترق في يد جاك...

قال جاك «مهما يحدث، لا تبطئ.. كل ما علينا فعله هو المرور بينهم.»

صاح ريتشارد باكيًا «لا أستطيع.»

قال جاكو»هل تريدني أن أحملك؟ أنا جاد، ريتشارد.. يمكن أن يصبح الأمر أسوأ بكثير.. أراهن لو لم ندمّر كل قواته هناك، لكان لديه حراس كل خمسين قدمًا.»

قال ريتشارد «لن تستطيع التحرك بسرعة حتى لو حملتني.. سأبطئك.»

خطر على ذهن جاك.. «ما الذي تفعله بحق السماء الآن؟» لكنه قال.. «ابقَ إلى جانبي البعيد وامضِ بحق الجحيم، ريتشي.. عندما أعد إلى ثلاثة، فهمت؟ واحد... اثنان... ثلاثة!»

جزّ جاك ذراع ريتشارد وبدأ بالركض متجاوزًا الأشجار، تعثر ريتشارد، التقط أنفاسه، ثم تمكن من تدارك نفسه والمضي قدمًا دون أن يسقط.. ارتفعت سحابات الغبار عند قاعدة الأشجار، وحدثت فوضى وعبر التربة الممزقة خرجت أشياء تشبه الخنافس الضخمة، لامعة كالحذاء المصقول، أقلع طائر بني صغير من الأعشاب بالقرب من مجموعة الأشجار المتآمرة، فانقضّ جذر مرن كخرطوم فيل من الغبار وأمسكه من الهواء.

تحرّك جذر آخر نحو كاحل جاك الأيسر، لكنه لم يصل.. وصرخت أفواه اللحاء الخشن.

صاح الصوت الغريب «(حبيبي؟ حبيبي يا فتى؟)»

جز جاك على أسنانه وحاول إجبار ريتشارد سلوت على الإسراع.. بدأت رؤوس الأشجار المعقدة تتأرجح وتنحني.. بدأت أعشاش كاملة وعائلات من الجذور تزحف نحو الخط الأبيض، وكأن لها إرادة مستقلة.. تعثر ريتشارد، ثم أبطأ بلا شك وهو يلتفت نحو الأشجار الممتدة خلف جاك.

صرخ جاك «تحرك!» وجذب ذراع ريتشارد.. كانت البقع الحمراء كالحمم تحت جلده.. سحب جاك ريتشارد، وهو يرى

الجذور الزاحفة تتقدم بفرح نحوهما عبر الخط الأبيض.

وضع جاك ذراعه حول خصر ريتشارد في اللحظة نفسها التي ظهر فيها جذر طويل عبر الهواء ولف نفسه حول ذراع ريتشارد.

صرخ ريتشارد «يا إلهي! جيسون! أمسك بي! أمسك بي!»

في رعب، رأى جاك طرف الجذر، رأس دودة عمياء، ترتفع ناظرة إليه.. وتتلوى بكسل في الهواء، ثم التفت مرة أخرى حول ذراع ريتشارد المحترقة.. جاءت جذور أخرى تزحف نحوهما عبر الطريق.

جرّ جاك ريتشارد للخلف بأقصى ما يستطيع، وحصل على ست بوصات إضافية.. أصبح الجذر الملتف حول ذراع ريتشارد مشدودًا بقسوة، عقد جاك ذراعيه حول خصر ريتشارد وسحبه بلا رحمة للخلف.. أطلق ريتشارد صرخة غريبة وعائمة، للحظة خشي جاك أن يكون كتف ريتشارد مفصولًا، لكن صوتًا داخله أمره.. «اسحب!» فثبت قدميه وسحب أقوى.

ثم كاد الاثنان أن ينزلقا داخل عش من الجذور الزاحفة، فقد انكسر طرف الجذر حول ذراع ريتشارد دون فوضى ،حافظ جاك على حركة قدميه بالرجوع المتواصل، منحنٍ عند الخصر ليبقي ريتشارد أيضًا بعيدًا عن الطريق، وبتلك الطريقة تجاوزا آخر الأشجار تمامًا كما سمعا أصوات التمزق والتكسير

التي سمعاها من قبل.. لم يكن على جاك هذه المرة أن يحث ريتشارد على الركض.

ارتفعت أقرب شجرة من الأرض مدوية وسقطت بارتطام زلزل الأرض على بعد ثلاثة أو أربعة أقدام خلف ريتشارد فقط، تحطمت الأخريات على سطح الطريق خلفها، مطلقة جذورها كأنها خصلات شعر غجري.

قال ريتشارد، والدموع تنهمر مرة أخرى، أكثر من شدة ضعفه وإرهاقه وصدمته.. «لقد أنقذت حياتي.»

قال جاك وهو يلهث «من الآن فصاعدًا، يا صديقي القديم، سأحملك على ظهري.» وانحنى لمساعدة ريتشارد على الصعود.

4

«كان يجب أن أخبرك»، همس ريتشارد، ووجهه يحترق على عنق جاك، وفمه بمحاذاة أذنه.. «لا أريدك أن تكرهني، لكن لن ألومك لو فعلت، حقًا لن ألومك.. أعلم أنّه كان يجب أن أخبرك.» بدا كما لو أنه لا يزن أكثر من قشرته الخارجية، كأن لا شيء بقي بداخله.

«عن ماذا؟» وضع جاك ريتشارد مستويًا في منتصف ظهره، وشعر مجددًا بشيء مزعج؛ كأنه يحمل مجرد كيس فارغ من اللحم.

«الرجل الذي جاء ليزور والدي... ومعسكر الاستعداد... والخزانة...» ارتعش جسد ريتشارد الخاوي على ظهر صديقه.. «كان يجب أن أخبرك، لكني لم أستطع حتى أن أخبر نفسي.» نفسُه، صار ساخنًا مثل جلده، كان يهب في أذن جاك باضطراب.

فكر جاك «التعويذة تفعل هذا به». ثم صحح لنفسه على الفور.. لا، الفندق الأسود هو الذي يفعل هذا به.

لقد اختفت السيارتان الليموزينيتان اللتان كانتا متوقفتين بأنوفهما إلى أسفل عند قمة التل، خلال القتال مع أشجار الأراضي، لكن الفندق ظل صامدًا، يكبر مع كل خطوة للأمام يخطوها جاك.. المرأة النحيلة العارية، ضحية أخرى من ضحايا الفندق، لا تزال تؤدي رقصتها المجنونة البطيئة أمام

الصف البائس من المتاجر، البقع الحمراء الصغيرة تتراقص، تومض، تتراقص في الهواء الكثيف الغامض.. لم يكن وقتًا نهاريًا ولا ليليًا، بل صارا على أرض خارجة عن حدود الزمن أو ربما دمرتها...

بدا فندق أجينكورت مصنوعًا من الحجر، رغم أن جاك علم مسبقا أنه ليس كذلك؛ فالخشب بدا وكأنه تكلس وازدادت سماكته، واسود من الداخل إلى الخارج.. تعويذات نحاسية، على شكل ذئب وغراب وثعبان وتصاميم دائرية غامضة لم يتعرف عليها جاك، تأرجحت في اتجاهات متضاربة مع الريح، بعض النوافذ ومضت تحذيرًا له، لكن ربما ذلك محض انعكاس لإحدى البقع الحمراء.

لم يستطع بعد رؤية أسفل التل والطابق الأرضي للفندق، ولن يستطع رؤيتهما حتى يتجاوز محل بيع الكتب، محل الشاي، والمتاجر الأخرى التي نجت من الحريق.. أين مورغان سلوت؟ وأين، بحق السماء، كل لجنة الاستقبال الملعونة؟ شدّ جاك قبضته على ساقي ريتشارد النحيلتين، مستمعًا إلى نداء التعويذة مجددًا، وشعر بكائن أقوى وأصلب يقف بداخله.

«لا تكرهني لأنني لم أستطع...» قال ريتشارد، وصوته يتلاشى في النهاية.

«جيسون، تعال الآن! تعال الآن!»

أمسك جاك بساقي ريتشارد الرقيقتين ومشى عبر المنطقة

المحترقة حيث وقفت العديد من المنازل يومًا ما... كانت أشجار الأراضي، التي استولت على هذه القطع المدمرة كمطاعمها الخاصة، تهمس وتتحرك، لكنها كانت بعيدة جدًا عن جاك لتؤذيه.

المرأة في وسط الشارع المقفر، المملوء بالحطام، استدارت ببطء حين لاحظت تقدم الصبيين أسفل التل.. كانت وسط تمرين معقد، لكن كل أثر من آثار حركاتها القتالية الصينية تبخر وقتما أسقطت ذراعيها وساقها الممدودة، ووقفت ثابتة جار كلب ميت، تراقب جاك المثقل بالهموم وهو ينزل التل نحوها.. للحظة بدت وكأنها سراب، غير حقيقية بما فيه الكفاية، هذه المرأة الجائعة ذات الشعر المتمرد ووجهها البرتقالي البراق؛ ثم انطلقت بخذي عبر الشارع ودخلت أحد المتاجر بلا اسم.

ابتسم جاك، دون أن يعرف أنه سيفعل ذلك، شعور الانتصار وشيء يمكن وصفه فقط ك»فضيلة مدرعة» فاجأه تمامًا.

«هل ستتمكن من الوصول هناك حقًا؟» قال ريتشارد وهو يلهث، فأجابه جاك «الآن، أستطيع فعل أي شيء.»

كان بإمكانه حمل ريتشارد طوال الطريق إلى إلينوي لو أمره الكائن العظيم المغنّى المحبوس في الفندق بذلك.. مرة أخرى شعر جاك بإحساس الحل النهائي، وفكر «الظلام هنا شديد لأن كل تلك العوالم مكتظة معًا، مزدحمة كمشهد من فيلم ثلاثي الأبعاد.»

6

شعر بأهل بوينت فينوتي قبل أن يراهم.. لم يكونوا ليهاجموه تيقن جاك من ذلك منذ أن فرّت المرأة المجنونة إلى أحد المتاجر.. إنهم يراقبونه.. من أسفل الشرفات، عبر المشابك، من خلف الغرف الخالية، يحدقون فيه، سواء بخوف أو غضب أو إحباط، لم يستطع التمييز.

غفا ريتشارد أو فقد وعيه على ظهره، يتنفس شهيقًا متقطعًا حارًا.

تجنب جاك جسد الكلب، وألقى نظرة جانبية نحو الفتحة حيث كان يجب أن يكون نافذة متجر كوكب الخطر لبيع الكتب، في البداية، لم ير سوى وابل من الإبر المستعملة المبعثرة على الأرض، فوق الكتب المتناثرة هنا وهناك.. على الجدران، فرغت الرفوف الطويلة كالفتحات الشاهقة.. ثم لفت انتباهه حركة متشنجة في عمق المتجر الخافت، فتشكلت شخصيتان شاحبتان من الظلام.. كلاهما ملتحٍ، أجسادهما الطويلة العارية تكشف أوتارهما كالحبال.. ولمع بياض أربع عيون مجنونة نحوه.. أحد الرجال العراة كان يملك يدًا واحدة فقط، مبتسمًا، وعضوه منتصب أمامه كعصا سميكة شاحبة.. حاول جاك أن يتجاهل ذلك... أين اليد الأخرى للرجل؟ نظر إلى الوراء، الآن لم يعد يرى سوى تشابك من الأطراف النحيلة البيضاء..

لم ينظر جاك إلى نوافذ أي من المتاجر الأخرى، لكن العيون تبعته وهو يمر.

سرعان ما مرّ أمام المنازل الصغيرة المكوّنة من طابقين، نُقش على جدار جانبي «أنت ميت الآن».. لم يعد يستطع أن ينظر إلى النوافذ، وعد نفسه بذلك لم يعد قادرًا...

وجوه برتقالية، وشعر برتقالي، كانت تلوح عبر نافذة الطابق الأرضي.

«ولدي»، همست امرأة من المنزل المجاور.. «ولدي الحبيب جيسون.» هذه المرة نظر جاك.. أنت ميت الآن.. وقفت خلف نافذة صغيرة مكسورة، تلوّت السلاسل المثبتة في حلماتها، مبتسمة بشكل مائل... حدّق جاك في عينيها الفارغتين، فأسقطت المرأة يديها وتراجعت بحذر عن النافذة، السلسلة تتهدل بطولها بين ثدييها.

راقبت العيون جاك من خلف الغرف المظلمة، بين المشابك، ومن مساحات الزحف تحت الشرفات.

ارتفع الفندق أمامه، لكنه لم يكن مباشرة أمامه بعد.. لابد أن الطريق منحنيًا برفق، ففندق أجينكورت الآن مائلاً بوضوح إلى يساره.. وهل كان، في الواقع، يبدو بمثل هذا الضخامة التي اعتقدها؟ خاطر خطر لجاك الداخلي، أو «جيسون»، اشتعل داخل نفسه، ورأى أن الفندق الأسود، رغم ضخامته، لم يكن جبليًا كما تصوّر..

«تعال، أحتاجك الآن»، غنت التعويذة... «أنت محق، ليس عظيمًا كما يريدك تصدق.»

في قمة التل الأخير توقف ونظر إلى الأسفل.. كانوا جميعًا هناك، بالفعل... وامتظ الفندق الأسود، كله.. عبر الشارع الرئيسي نحو الشاطئ، وهو شاطئ رملي أبيض تخللته صخور كبيرة كأنها أسنان مشوهة متكسّرة... ارتفع أجينكورت على بُعد مسافة قصيرة إلى يساره، محاطًا من جهة المحيط بسد حجري ضخم يمتد بعيدًا في البحر، أمامه، اصطفت على خط واحد، عشرات السيارات السوداء الطويلة، بعضها مغطى بالغبار، وبعضها مصقول كالمرآة، ومحركاتها تعمل.. تناثرت أعمدة دخانية بيضاء، سحب منخفضة أكثر بياضًا من الهواء، تصاعدت عبر كثير من السيارات التي مكث بها رجال يرتدون بدلات سوداء كالعملاء يراقبون السياج، يرفعون أيديهم لأعينهم، وعندما رأى جاك ومضتين حمراوين تخترقان وجه أحد الرجال، تحرك بسرعة جانبية خلف أحد المنازل الصغيرة، قبل أن يدركه احد الرجال الذين يحملون منظارًا.

للحظة أو اثنتين، لا بد أنه بدا كمنارة، واقفًا منتصبًا على قمة التل.. علم أن غفلة لحظية كادت أن تؤدي إلى أسره، فتنفس بعمق واستند بكتفه إلى جدار المنزل الرمادي المتقشر. ضبط جاك ريتشارد على ظهره في وضع أكثر راحة.

على أي حال، لقد علم الآن أنه سيضطر بطريقة ما إلى الاقتراب من الفندق الأسود من جهة البحر، مما يعني عبور

الشاطئ دون أن يراه أحد.

عندما استقام مجددًا، ألقى نظرة حول جانب المنزل ونظر نحو الأسفل.. فرأى جيش مورغان سلوت الصغير جالسًا في سياراته أو، كما النمل، يتجول أمام السياج الأسود العالي.. لوهلة مجنونة، تذكر جاك بدقة أول رؤية له لقصر صيف الملكة، آنذاك أيضًا كان واقفًا أعلى مشهد مكتظ بالناس يتحركون بلا نظام ظاهر.. كيف يقترب المشهد الآن؟ من ذلك اليوم... الذي بدا وكأنه حدث في ما قبل التاريخ... كانت الحشود أمام المبنى، رغم كل شيء، توحي بالسلام والنظام، علم أن ذلك قد ذهب الآن بعد تحكم أوزموند في المشهد أمام المبنى الكبير، وأولئك الشجعان الذين يجرؤون على دخول القاعة سيهرولون، بعيون متسعة إثر الفزع، وماذا عن الملكة؟ تذكر وجهها المألوف بشكل صادم، بين أغطية السرير البيضاء.

ثم كاد قلب جاك أن يتوقف، وعادت صورة القاعة والملكة المريضة إلى ذاكرته..بعدما دخل جاردنر المنير في مجال رؤيته، ممسكًا بمكبر صوت. هبت رياح من البحر، محركة خصلة من شعره الأبيض فوق نظارته الشمسية.. لوهلة شعر جاك أنه يمكنه شم رائحة عطره المسكر ورائحة عفونته الداخلية.. نسِي جاك أن يتنفس لثوانٍ قليلة، ووقف بجانب الحائط المتقشر، يراقب الرجل المجنون وهو يصرخ آمرًا الرجال ذوي الحلل السوداء، يدور ويشير إلى شيء مخفي،

ويقوم بحركة معبرة عن الرفض.

تذكر أن يتنفس.

«حسنًا، لدينا موقف مثير هنا، ريتشارد»، قال جاك. «لدينا فندق يمكن أن يتضاعف حجمه متى شاء، وأعتقد أن في الأسفل هناك أيضًا أكثر المجانين جموحًا في العالم.»

ريتشارد، الذي ظن جاك أنه نائم، فاجأه بالهمس بشيء مسموع فقط كـ تحح...

«ماذا؟»

«تحرك»، همس ريتشارد بصوت ضعيف.. «هيا يا صديقي.»

قهقه جاك، بعد ثانية، بدأ يتحرك بحذر نحو الأسفل، من خلف المنازل، يتسلل عبر الأعشاب الطويلة نحو الشاطئ.

الفصل الأربعون

سبيدي على الشاطئ

1

أسفل التل، استلقى جاك على الأرض بين الأعشاب، وزحف حاملاً ريتشارد كما كان يحمل حقيبته سابقًا، عندما وصل إلى حدود الأعشاب الصفراء الطويلة على حافة الطريق، تقدم بحذر على بطنه وألقى نظرة مباشرة أمامه، على الجانب الآخر من الطريق، يبدأ الشاطئ... بصخوره العالية المهترئة التي برزت من الرمال الرمادية، ومياهه الرمادية المتدفقة.

نظر جاك يسارًا على طول الشارع، على مسافة قصيرة بعد الفندق، وعلى الجانب الداخلي لطريق الشاطئ، كان هناك مبنى طويل متداعٍ يشبه كعكة زفاف مقطوعة، فوقه، لافتة خشبية كبيرة تحمل ثقبًا كبيرًا كتب عليها (كينغزلا تل)، تذكر جاك أن هذا هو فندق كينغزلاند، حيث أقام مورغان سلوت وصغيره خلال جولات هوسه بالفندق الأسود.

ومضت لمحة بيضاء عبر الشارع، إنه جاردنر المنير، يتجول بوضوح وهو يوبّخ عدة رجال يرتدون بدلات سوداء مشيرًا بيده نحو التل..

لم يدرك بعد أن جاك موجودًا هنا، عندما بدأ أحد الرجال يسير ببطء عبر طريق الشاطئ، متطلعًا حوله. قام جاردنر

بحركة مفاجئة حازمة، ومضى تجاه الليموزين المتوقفة في أسفل الشارع بعيدًا عن الفندق، القابعة بجانب الرجل في البدلة السوداء، خلع سترته عند وصوله إلى رصيف الشارع وأخرج مسدسًا من حمالة كتفه.

تحولت رؤوس السائقين في الليموزينات ونظروا إلى الأعلى نحو التل.. بارك جاك حظه... فلو تأخر خمس دقائق أخرى، لكانت مسألة وقت قبل أن ينهي «ذئب مارق» مسعاه بالمسدس الكبير.

لم يستطع رؤية سوى الطابقين العلويين للفندق، ودوارات الرياح المجنونة المثبتة على أسطح المبنى الفخم.. ومن زاوية رؤيته المنخفضة، بدا السد الحجري الذي يقسم الشاطئ على يمين الفندق كأنه يرتفع عشرين قدمًا أو أكثر، ويمتد عبر الرمل نحو الماء.

«تعال الآن! تعال الآن!» نادته التعويذة، بكلمات ليست كلمات، بل أشبه بحاجة جسدية عاجلة.

الرجل بالمسدس اختفى عن الأنظار، لكن السائقين ظلوا يراقبونه وهو يتجه صعودًا نحو مجانين بوينت فينوتي.. رفع جاردنر المنير مكبر صوته وصرخ «اجذبه! أريد أن يُجذب!» وأشار بالمكبر نحو رجل آخر في بدلة سوداء، كان للتو يرفع منظاره للنظر نحو الشارع باتجاه جاك.. «أنت! غبي! خذ الجانب الآخر من الشارع... واجلب هذا الولد الشرير، نعم، الأكثر شرًا... الأكثر شرًا...» تلاشى صوته بينما ركض الرجل

الثاني عبر الشارع نحو الرصيف المقابل، ملوحًا بمسدسه.

فهم جاك فورًا أن هذه أفضل فرصة له... لا أحد يبحث عبر طريق الشاطئ.. همس لريتشارد «تمسّك جيدًا.. حان وقت التحرك.» لم يتحرك ريتشارد.. «الآن، لننطلق.» رفع قدميه، وعلم أن ظهر ريتشارد ربما كان ظاهرًا فوق الأعشاب الصفراء الطويلة.. انحنى، وانطلق من بين الأعشاب ليخطوا على طريق الشاطئ.

خلال ثوانٍ، كان جاك سوير مستلقيًا على بطنه في الرمال الخشنة، يدفع نفسه بأقدامه، شدّت إحدى يدَي ريتشارد على كتفه.. تقدم جاك عبر الرمال حتى وصل خلف أول صخرة عالية، ثم توقف مستريحًا، رأسه على يديه، وريتشارد خفيف كالورقة على ظهره، يتنفس بصعوبة.. كان الماء، على بُعد لا يتجاوز عشرين قدمًا، يضرب حافة الشاطئ.. لا يزال يسمع جاردنر المنير يصرخ على الحمقى وغير الأكفاء، صوته المجنون ينساب من أعلى الشارع الرئيسي.. التعويذة تحثه على التقدم، تحثه على السير، السير، السير...

سقط ريتشارد عن ظهره..

«أنت بخير؟»

رفع ريتشارد يده النحيلة ولمس جبينه بأصابعه، وعظم وجنته بإبهامه.. «أظن ذلك... هل رأيت أبي؟»

هز جاك رأسه نافيًا.. «ليس بعد.»

«لكنه هنا.»

«أظن أنه هنا، لابد أن يكون.» تذكر جاك فندق كينغزلاند، واجهته الباهتة ولافتته الخشبية المكسورة.. شعر فورًا بوجود مورغان سلوت الغاضب بالقرب منه، كأن معرفته بمكان سلوت استدعته إلى هنا.

«لا تقلق بشأنه.» كان صوت ريتشارد رقيقًا كرقة الورق.. «أعني، لا تقلق بشأن قلقي عليه.. أظن أنه مات، جاك.»

تطلع جاك إلى صديقه بقلق جديد.. هل بدأ ريتشارد يفقد عقله؟ بالتأكيد كان ريتشارد محمومًا.. أعلى التل، ترددت صيحات جاردنر المنير عبر مكبر صوته «انتشروا!»

ثم سمع جاك صوتًا آخر، كان قد همس أول مرة تحت أوامر جاردنر الغاضبة.. صوت نصف مألوف، تعرف جاك على نبرته وإيقاعه قبل أن يحدد صاحبه تمامًا.. والغريب، أن صوت هذا الشخص جعله يشعر بالراحة... كأنه يستطيع التوقف عن القلق من المكائد، قبل أن يعرف من هو.

«جاك سوير» كرر الصوت.. «هنا، يا صغيري.»

الصوت يعود إلى سبيدي باركر.

«أفعل ذلك»، قال ريتشارد، وأغلق عينيه المتورمتين، بدا كجثة جرفتها الأمواج...

«جاك» همس، «توجّه نحو الصخور هناك؟ سبيدي خلفها.»

رفع جاك رأس ريتشارد من فوق رقبته الرقيقة.. «إنه خلف الصخور، سيساعدنا، ريتشي.. الآن، أحتاج منك لقليل من المساعدة.»

«لا أستطيع الرؤية حقًا... وأنا متعب جدًا...»

«اصعد على ظهري مجددًا.. « استدار جاك واستلقى تقريبًا على الرمال، تراخى ذراعي ريتشارد واستقرا على كتفيه ولم تختلف عنهما قبضته...

ألقى جاك نظرة حول حافة الصخور على طريق الشاطئ، كان جاردنر يرتب شعره وهو يتجه نحو باب فندق كينغزلاند.. ارتفع الفندق الأسود عظيمًا، والتعويذة تنادي جاك سوير... توقف جاردنر خارج باب الفندق، حرك يديه فوق شعره، هز رأسه، ثم سار بسرعة متجهًا إلى خط الليموزينات الطويل.. ارتفع صوته عبر المكبر «التقارير كل خمس عشرة دقيقة! وجه رجالك... أبلغني إذا رأيت حشرة تتحرك! أعني ذلك!»

ابتعد جاردنر، وظل الجميع يراقبه.. حان الوقت.. انطلق جاك مبتعدًا عن الصخور، ممسكًا بذراعي ريتشارد النحيلتين، وركض على طول الشاطئ.. ركلت قدماه الرمال الرطبة، وظهرت الصخور الثلاثة المتراصة التي بدت قريبة أثناء حديثه مع سبيدي، الآن كأنها على بعد نصف ميل.. اتسع الفضاء بينه وبينها.. توقع جاك صوت طلقة مسدس.. هل سيشعر بالرصاصة أولاً، أم يسمع صوتها قبل أن تطرحه أرضًا؟ أخيرًا، كبرت الصخور في نظره، ها قد وصل إليها،

سقط على صدره وتسلل خلفها محتميًا بها.

«سبيدي!» قال، وهو يكاد أن يضحك رغم كل شيء.. لكن رؤية سبيدي، جالسًا بجانب بطانية صغيرة ملونة ومستندًا على الصخرة الوسطى، قتلت ضحكته في حلقه.. وقطعت نصف أمله على الأقل... أيضًا.

2

ذلك أن سبيدي باركر بدا أسوأ حالًا من ريتشارد.. أسوأ بكثير... رفع وجهه المتشقق النازف نحو جاك وأومأ له إيماءة واهنة، فحسب الصبي أن سبيدي يؤكّد له يأسه، لم يرتدي سبيدي سوى سروالٍ بنيٍّ قديم، من الجلي أن جلده قد أصيب بداءٍ مروّع، كأنه الجُذام.

قال سبيدي هامسًا بحطام صوت أجشّ...

«اهدأ الآن، يا جاك المسافر العتيق.. أمامك كثير ممّا يجب أن تسمعه، فافتح أذنيك جيدًا.»

سأله جاك

«كيف حالك يا سبيدي؟ أقصد... يا إلهي، سبيدي... هل هناك أي شيء أستطيع أن أفعله من أجلك؟»

ثم وضع ريتشارد برفق على الرمال..

قال سبيدي

«افتح أذنيك كما أخبرتك.. لا تقلق عليّ، يا ولدي.. أنا لست مرتاحًا الآن، كما تراني، لكن يمكنني أن أكون مرتاحًا من جديد إذا فعلتَ الصواب.. والد صديقك الصغير هو من أنزل بي هذا الأذى... وبابنه أيضًا، كما ترى.. العجوز الأعرج لا يريد ابنه في ذلك الفندق، لا، لا يريده.. لكن عليك أن تأخذه هناك، يا بني.. لا سبيل غير ذلك.. لا بد أن تفعل.»

أستمر سبيدي في الترنح بين طوري الغياب والعودة أثناء حديثه إلى جاك، الذي شعر برغبة في الصراخ أو النحيب لم يعرف مثلها منذ موت وولف.. لسعت الدموع عينيه، وعلم أنه على وشك البكاء...

قال «أعلم يا سبيدي، لقد أدركت ذلك.»

قال العجوز

«أنت فتى طيب.»

أمال رأسه إلى الخلف وتأمّل جاك بعناية.

«أنت المختار، نعم.. الطريق قد طبع علامته عليك، أراها بعيني.. أنت هو.. أنت من سيقوم بالأمر.»

سأله جاك برجاء

«وكيف حال أمي يا سبيدي؟ من فضلك أخبرني.. ما زالت حيّة، أليس كذلك؟»

أجاب سبيدي

«ستتصل بها حين تستطيع، وتتأكد أنها بخير.. لكن أولًا عليك أن تحضرها، يا جاك. لأنك إن لم تحضرها، فستموت.. وتموت لورا، الملكة.. كذلك.»

تقوّس جسده من الألم وهو يحاول أن ينتصب.

«دعني أخبرك... أغلب من في البلاط تخلّوا عنها.. عدّوها ميتة سلفًا.»

ارتسم الاشمئزاز على وجهه.

«كلهم يخافون من مورغان، لأنهم يعلمون أنه سيسلخ جلودهم إن لم يقسموا له بالولاء الآن، ما دامت لورا ما تزال تتنفس.. أمّا في الأراضي البعيدة، فإن أفاعي تمشي على قدمين مثل أوزمند وعصابته يجوبون البلاد، يخبرون الناس أنها ماتت بالفعل.. وإذا ماتت، يا جاك المسافر... إذا ماتت...»

وسدّد وجهه الخرِب نحو الصبي

«عندئذٍ يعمّ الرعب الأسود العالمين معًا.. رعب أسود.. ويمكنك أن تتصل بأمك... لكن أولًا عليك أن تحضرها.. لا بدّ أن تفعل.. هذا آخر ما تبقّى.»

لم يحتج جاك أن يسأله عمّا يقصده.

قال سبيدي

«يسرّني أنك تفهم، يا بني.»

وأغمض عينيه وأسنَد رأسه إلى الصخرة، وبعد لحظة فتح عينيه ببطء من جديد.

قال

«إنها الأقدار... هذا كل ما في الأمر.. أقدار أكبر وأرواح أكبر مما تتصوّر.. هل سمعت يومًا باسم رَشتون؟ أظن أنك سمعت به، بعد كل هذا الزمن.»

أومأ جاك برأسه.

قال سبيدي

«كل تلك الأقدار هي سبب مجيء أمك بك إلى نُزل قصر الحمراء، يا جاك المسافر.. لقد مكثت منتظرًا، واثقًا أنك ستظهر.. التعويذة هي التي جذبتك إلى هنا، يا فتى. جيسون... هذا اسم سمعته من قبل أيضًا، على ما أظن.»

قال جاك

«أنا هو.»

قال سبيدي

«إذًا ائتِ بالتعويذة.. وقد جئت بهذا الشيء الصغير ليعينك قليلًا.»

ثم رفع بإعياء غطاءً، ورأى جاك أنه مصنوع من المطاط، أي أنه ليس غطاءً في الحقيقة.

أخذ جاك اللفافة المطاطية من يد سبيدي التي بدت كأنها متفحّمة،

وقال «لكن كيف أتسلل إلى داخل الفندق؟ لا أستطيع اجتياز السور، ولا يمكنني السباحة ومعي ريتشارد.»

قال سبيدي وعيناه مغمضتان مجددًا

«انفخه.»

بسط جاك الشيء أمامه، فإذا هو قارب مطاطي قابل للنفخ،

على هيئة حصان بلا قوائم.

قال صوت سبيدي، رغم خرابه، بنبرة حنين خفيفة

«أتتعرّف عليه؟ أنت وأنا التقطناه منذ زمن.. شرحت لك آنذاك أمر الأسماء.»

تذكّر جاك فجأة ذلك اليوم الذي بدا له مليئًا بخطوطٍ من السواد والبياض، حين جاء إلى سبيدي فوجده جالسًا داخل مخزن دائريّ يصلح خيول الدوّامة.

خذ راحتك مع السيدة، وأظنها لن تمانع إذا كنتَ ستعيدها إلى مكانها..

والآن صار لذلك معنى أوسع.. قطعة أخرى من العالم التحمت في مكانها داخل وعي جاك.

قال

«السيدة الفضية.»

غمز له سبيدي، فعاد ذلك الإحساس الغريب إلى جاك بأن كل ما في حياته تآمر ليقوده تحديدًا إلى هذه اللحظة.

قال سبيدي، كأنه يحوّل مجرى الحديث

«وصديقك هذا... هل هو بخير؟»

قال جاك وهو ينظر بقلق إلى ريتشارد، الذي تقلب على جنبه وصار يتنفس بضحالة وعيناه مغمضتان

«أظن ذلك.»

قال سبيدي

«ما دمتَ تظنّه كذلك، فانفخ السيدة الفضية العجوز.. عليك أن تُدخل هذا الفتى معك مهما يكن.. إنه جزء من الأمر هو الآخر.»

بدأ لون جلد سبيدي يزداد سوءًا وهما جالسان على الشاطئ... صار رماديًا شاحبًا مريضًا.. وقبل أن يضع جاك فمَ النفخ على شفتيه، سأله

«ألا أستطيع أن أفعل لك شيئًا، يا سبيدي؟»

قال سبيدي ساخرًا وهو يهز رأسه

«بلى.. اذهب إلى صيدلية بوينت فينوتي وأحضر لي زجاجة من مرهم ليديا بينكهام.»

ثم قال بجدية أثقل

«أنت تعرف كيف تساعد سبيدي باركر، يا بني.. احضر التعويذة.. هذا كل العون الذي أحتاجه.»

وأخذ جاك ينفخ في فُوّهة القارب.

3

وبعد برهة، كان قد أُدخل السدّادة في موضعها إلى جوار ذيل القارب، وهو قارب مطاطي على هيئة حصان، يبلغ طوله نحو أربعة أقدام، ذا ظهر عريض على نحوٍ غير مألوف.

قال جاك، لا على سبيل الشكوى بل وهو يُفكّر بصوتٍ مسموع

«لا أعلم إن كنتُ سأستطيع أن أثبت ريتشارد فوق هذا الشيء.»

قال سبيدي بهدوءٍ واثق

«يمكنه اتّباع الأوامر، يا جاك المسافر العتيق.. اجلس خلفه فقط وساعده قليلًا على الثبات.. هذا كل ما يحتاجه.»

انسحب ريتشارد بالفعل إلى جهة الظلّ خلف الصخور القائمة، وأخذ يتنفّس بانتظام وسلاسة عبر فمه المفتوح.. ولم يتمكّن جاك من الجزم إن كان نائمًا أم يقظًا.

قال جاك

«حسنًا.. هل يوجد رصيف، أو شيء شبيه بذلك، خلف ذلك المكان؟»

قال سبيدي

«أفضل من رصيف، يا جاكي.. ما إن تتجاوز حاجز الأمواج حتى تتجلى أمامك دعائم ضخمة... فقد شُيّد جزء من الفندق

ممتدًا فوق الماء.. وسترى سلّمًا مثبتًا في تلك الدعائم.. اصعد بريتشارد عبره، فتجد نفسك على السطح الخلفي الكبير، وهناك نوافذ عريضة... نوافذ هي في الأصل أبواب، كما تعلم.. افتح أحد تلك الأبواب/النوافذ، فتدخل مباشرة إلى قاعة الطعام.»

ثم ابتسم ابتسامة خافتة وأضاف

«وحين تدخل قاعة الطعام، أظنّك ستعثر على التعويذة بسهولة.. ولا تخشاها، يا بُنيّ.. لقد كانت في انتظارك... ستأتي إلى يدك كما يأتي كلبٌ وفيّ.»

سأل جاك

«وما الذي يمنع هؤلاء الرجال من أن يلاحقوني؟»

قال سبيدي وقد بدا الامتعاض واضحًا في ملامحه

«هيه! لا أحد يدخل الفندق الأسود.»

قال جاك

«أعلم، لكنني أعني في الماء.. لماذا لا يطاردونني بقارب، أو ما شابه؟»

وهنا ارتسمت على وجه سبيدي ابتسامة متألّمة، لكنها صادقة

«ستعرف السبب بنفسك، يا جاك المسافر.. العجوز الأعرج ورجاله لا يقتربون من الماء، هيه هيه.. لا تشغل بالك بهذا

الآن... تذكّر ما قلته لك، وابدأ التحرّك، مفهوم؟»

قال جاك

«لقد بدأت بالفعل.»

وتقدّم نحو الصخور ليتفحّص الطريق الساحلي والفندق.. لقد نجح بالفعل في عبور الطريق دون أن يُكشف، والوصول إلى موضع سبيدي؛ ولا بدّ أنه سيستطيع جرّ ريتشارد بضعة أقدام إلى الماء وإدخاله في القارب، وبشيءٍ من الحظ، سيتمكّن من بلوغ الدعائم دون أن يُرى فجاردنر والرجال الذين يحملون المناظير كانوا يُركّزون أنظارهم على البلدة وسفح التلّ.

أطلّ جاك بحذر من جانب أحد الأعمدة العالية وكانت سيارات الليموزين ما تزال متوقّفة أمام الفندق، أخرج رأسه بوصةً أو اثنتين إضافيتين، ليتطلّع عبر الشارع.. وفي تلك اللحظة خرج رجل يرتدي بدلة سوداء من باب أنقاض فندق «كينغزلاند» وكان، كما لاحظ جاك، يحاول ألّا ينظر إلى الفندق الأسود.

وفجأة انطلق صفيرٌ حادّ، نافذ، مُلحّ، كصرخة امرأة.

قال سبيدي هامسًا بصوتٍ أجشّ

«تحرّك!»

رفع جاك رأسه فجأة، فرأى عند قمة المرتفع العشبي خلف البيوت المتداعية رجلًا ببدلة سوداء ينفخ في الصفّارة بكل

ما أوتي من قوة، ويشير مباشرة إلى أسفل التلّ نحوه. وشعره الداكن ينسدل حول كتفيه، وبشَعره الأسود، وبدلته السوداء، ونظارته الداكنة، بدا كملاك الموت.

صاح جاردنر بأعلى صوته

«وجدناه! وجدناه! أطلقوا النار! ألف دولار لمن يجلب لي خصيتيه!»

تراجع جاك إلى الصخور الآمنة.. وبعد نصف ثانية فقط ارتدّت رصاصة عن واجهة العمود الأوسط، قبل أن يصل إليهما صوت الطلقة.

إذًا هكذا يتقدّم الصوت على المعنى، فكّر جاك وهو يمسك بذراع ريتشارد ويجذبه نحو القارب.. «تُصاب أولًا، ثم تسمع.»

قال سبيدي عبر لهاثه المتقطّع

«اذهب الآن.. بعد ثلاثين ثانية سيعمّ إطلاق النار.. ابقَ خلف حاجز الأمواج ما استطعت، ثم انعطف نحو الخارج.. أحضرها، يا جاك.»

رمقه جاك بنظرة مذعورة مشدودة بالعزم، بينما صربت رصاصة ثانية الرمال أمام مخبئهما الضئيل.. ثم أنزل ريتشارد في مقدّمة القارب، ولاحظ بشيء من الرضا أنّ ريتشارد مازال يحتفظ بقدرٍ من الوعي مكّنه من التشبّث بخصلات الغُزف المطاطية.

رفع سبيدي يده اليمنى في إشارةٍ جمعت بين الوداع

والبركة.. وعلى ركبتيه دفع جاك القارب دفعةً قويّة أرسلته قريبًا من حافة الماء، ثم دوّى صفيرٌ آخر.. فنهض جاك مسرعًا.. وكان لا يزال يعدو حين لامس القارب الماء، وابتلّ حتى خصره وهو يجذب نفسه إلى داخله.

أخذ جاك يجدّف بثبات نحو حاجز الأمواج، وحين بلغ نهايته، انعطف إلى المياه المفتوحة غير المحميّة، وعاد للتجديف من جديد.

4

بعد ذلك، ركّز جاك كل جهده على التجديف، طاردًا من ذهنه أي تفكير بما سيفعله لو قتل رجال مورغان سبيدي.. فقط عليه الوصول تحت الدعائم، وهذا كل ما في الأمر.

ارتطمت رصاصة بالماء، فأحدثت نفاثة صغيرة من القطرات على بعد نحو ستة أقدام إلى يساره.. ثم سمع ارتدادًا آخر على حاجز الأمواج مصحوبًا بصوت ارتداد الرصاصة، فجدّف جاك بكل قوته إلى الأمام.

مرت فترة، لا يعلم كم كانت طويلة.. وأخيرًا، انقلب عن جانب القارب وسبح إلى الخلف، ليتمكّن من دفعه أسرع باستخدام ساقيه بحركة المقص، تيار شبه غير محسوس دفعه نحو هدفه ببطء.. وأخيرًا بدأت الدعائم بالظهور، أعمدة خشبية عالية، متقشرة، سميكة كالهواتف العمودية تقريبًا، رفع جاك ذقنه من الماء، ورأى مدى ضخامة الفندق الذي ارتفع فوق السطح الأسود العريض، منعكسًا فوقه.. نظر إلى الخلف وإلى يمينه، لكن سبيدي لم يتحرك.. أم هل تحرك؟ بدا ذراعا سبيدي مختلفتين، ربما...

تتابعت حركة سريعة على المنحدر العشبي الطويل خلف صف البيوت المتهدمة، نظر جاك فوجد أربعة رجال ببدلات سوداء يندفعون نحو الشاطئ، صفعت موجة القارب، كادت تسحبه من قبضته.. تأوّه ريتشارد، وأشار اثنان من الرجال

نحوه، وتحركت أفواههم بالكلام.

اهتز القارب مرة أخرى على موجة عالية، وكادت تدفعه هو والقارب عائدين نحو الشاطئ.

«موجة؟ أي موجة؟» تساءل جاك في ذهنه.

أطلّ فوق مقدمة القارب حين انحدر ثانية في وادٍ مائي، ظهر ظهر عريض رمادي اللون، شيء أكبر بكثير من مجرد سمكة، يغوص تحت السطح... قرّب جاك ساقيه المرتعشتين خلفه من الماء، غاص برأسه خائفًا، حذرًا أن يرى بطنًا طويلًا يشبه السيجار والأسنان تتجه نحوه.

لم يرَ ذلك الشكل بالضبط، لكن ما رآه أذهله.

الماء، الذي بدا عميقًا جدًا الآن، كان ممتلئًا كما لو كان حوض أسماك، رغم أنه لم يحتوي على أي أسماك عادية أو مألوفة.. في هذا الحوض كانت الوحوش فقط تسبح.. تحت ساقي جاك تحركت حديقة حيوانات من الكائنات الضخمة، بعضها قبيح بشكل مرعب، لا بد أنها كانت تحته وتحت القارب منذ أن أصبح الماء عميقًا بما يكفي لاستيعابها، فقد كان الماء مكتظًا بها في كل مكان.

الشيء الذي أرعب المارق وولف انزلق عشرة أقدام أسفل، طويل مثل قطار بضائع متجه جنوبًا، تحرك نحو الأعلى بينما جاك يراقبه.. غشاء على عينيه رمش.. شاربه الطويل انساب خلف فمه الضخم... كان فمه أشبه بباب مصعد، حسب ظنه..

انزلق الكائن بجانبه، دافعًا جاك نحو الفندق بإزاحة الماء من حوله، ورفع منخاره المبتل فوق السطح.. شكله الفروي ذكره بالإنسان النياندرتالي.

«العجوز الأعرج ورجاله عليهم أن يبتعدوا عن الماء»، قال له سبيدي، وضحك.

أي قوة حاصرت التعويذة داخل الفندق الأسود قد وضعت هذه المخلوقات في مياه بوينت فينوتي لضمان بقاء الأشخاص الخطأ بعيدين؛ لقد علم سبيدي بذلك.. دفعت أجسام المخلوقات الضخمة القارب برفق نحو الدعائم، لكن الأمواج منعت جاك من رؤية أكثر من لمحات متفرقة عما يحدث على الشاطئ.

ارتفع على قمة موجة ورأى جاردنر المنير، شعره يتطاير خلفه، واقفًا بجانب السياج الأسود، موجهًا بندقية صيد طويلة وثقيلة نحو رأسه.. غاص القارب في الوادي؛ وأنطلقت الرصاصة في الهواء بصوت مزعج كمرور طائر الطنان؛ ثم جاء الانفجار. وعندما أطلق جاردنر النار مرة أخرى، ارتفع من الماء كائن يشبه السمكة بطول عشرة أقدام، ذو زعنفة ظهرية عريضة، ليوقف الرصاصة، وفي حركة واحدة انقلب الكائن إلى الأسفل وغاص في الماء مرة أخرى، تاركًا حفرة كبيرة وممزقة في جانبه.

في الموجة التالية، هرول جاردنر عبر الشاطئ، متجهًا بوضوح نحو فندق كينغزلاند، وواصل السمك العملاق دفعه

بشكل مائل نحو الدعائم.

5

قال سبيدي: «سُلّم.»

وما إن وجد جاك نفسه تحت السطح العريض، حتى أطلّ في العتمة محاولًا العثور عليه.. اصطفت الدعائم السميكة، المغطاة بالطحالب والسرطانات البحرية والمتدلّية منها الأعشاب البحرية، في أربع صفوف. إذا كان السلم قد وُضع عند بناء السطح، فربما أصبح الآن بلا فائدة، على الأقل سيكون من الصعب رؤية سلم خشبي، مغطّى بالطحالب والسرطانات البحرية.. أصبحت الدعائم الضخمة والشائكة الآن أكثر سمكًا مما كانت عليه في الأصل.

وضع جاك ساعديه على ظهر القارب واستخدم الذيل المطاطي السميك ليرتدّ إلى الداخل.. ثم، وهو يرتجف، فكّ قميصه المبتل نفس القميص الأبيض الذي أهداه إليه ريتشارد على جانب الأراضي الملعونة، وكان أصغر منه بمقاس واحد على الأقل وألقاه على قاع القارب بشكل مترهل.. كان حذاؤه قد سقط في الماء، فخلع جواربه المبتلة وألقى بها فوق القميص، جلس ريتشارد في مقدمة القارب، منحنيًا إلى الأمام فوق ركبتيه، عينيه مغلقتين وفمه مغلق.

قال جاك

«نبحث عن سلم.»

أومأ ريتشارد برأسه بشكل خافت، بالكاد يُلحظ.

سأل جاك

«هل تعتقد أنّك تستطيع الصعود على سلم، ريتشي؟»

أجاب ريتشارد همسًا

«ربما.»

قال جاك

«حسنًا، هو هنا في مكان ما.. ربما ملحق بأحد هذه الدعائم.»

جذف جاك بكلتا يديه، ودفع القارب بين اثنتين من الدعائم في الصف الأول.

أستمر نداء التعويذة، وكاد أن يكون قويًا بما يكفي ليرفعه من القارب ويضعه على السطح...

انجرفوا بين الصفين الأول والثاني من الدعائم، وقد أصبحوا بالفعل تحت الخط الأسود الثقيل للسطح العلوي؛ هنا، كما في الخارج، أشتعلت شعلات حمراء صغيرة في الهواء، توهّجت ثم خبت.

عدّ جاك.. أربع صفوف من الدعائم، وخمس دعائم في كل صف، عشرون مكانًا محتملًا لوضع السلم، مع العتمة تحت السطح وتعقيدات الممرات التي توحي بها الدعائم، بات التواجد هنا أشبه بجولة في المقابر تحت الأرض.

قال ريتشارد بلا أي أثر للعاطفة

«لم تصبنا طلقاتهم.»

بنفس نبرة الصوت كان يمكنه أن يقول «المتجر نفد منه الخبز.»

قال جاك

«لقد حصلنا على بعض المساعدة.»

نظر إلى ريتشارد، المنحني فوق ركبتيه.. ريتشارد لن يستطيع الصعود على السلم ما لم يُنشّط بطريقة ما.

قال جاك

«نقترب من دعامة.. انحني قليلًا وادفعنا بعيدًا، حسنًا؟»

قال ريتشارد «ماذا؟»

كرر جاك «تجنّب أن نصطدم بالدعامة.. هيا، ريتشارد.. أحتاج مساعدتك.»

بدا أنّ ذلك نجح.. فتح ريتشارد عينه اليسرى ووضَع يده اليمنى على حافة القارب، ومع اقترابهم من الدعامة السميكة، مدّ يده اليسرى ليبعدهم، ثم أصدر شيء على الدعامة صوت فرقعة، كانفراجة شفاه مبتلة.

أصدر ريتشارد زمجرة وسحب يده.

قال جاك «ما هذا؟»

لم يضطر ريتشارد للإجابة فقد رأى الصبيان الآن الكائنات

الشبيهة بالديدان اللازجة، متشبثة بالدعائم. عيونها مغلقة، وأفواهها كذلك...

بدأت تتحرك باضطراب على الدعائم، تطرطق بأسنانها.. وضع جاك يديه في الماء وحوّل مقدمة القارب حول الدعامة.

قال ريتشارد «يا إلهي.. إن تلك الأفواه الصغيرة بلا شفاه، لكنها ممتلئة بالأسنان... لا أستطيع...»

قال جاك «عليك أن تتحمّل، ريتشارد.. ألم تسمع سبيدي هناك على الشاطئ؟ ربما يكون قد مات الآن، ريتشارد، وإذا مات، فقد مات ليضمن أن أعلم بوجوب دخولك الفندق.»

أغلق ريتشارد عينيه مرة أخرى..

قال جاك «ولا يهم كم من هذه الديدان علينا قتلها للصعود على السلم، ستصعد على السلم، ريتشارد.. هذا كل شيء.»

قال ريتشارد بغضب «تبًا لك! لا داعي لأن تتكلم إليّ هكذا.. سئمتُ من تكبّرك.. أعلم أنّني سأصعد السلم، أينما كان.. ربما حرارتي 105، لكن أعلم أنّني سأصعد.. فقط لا أعلم إن كنت أستطيع تحمّل ذلك.. الجحيم معك.»

قدّم ريتشارد حديثه كله وهو مغمض العينين.. ثم جهد ليفتح عينيه الاثنتين «تبًا.»

قال جاك «أحتاجك.»

قال ريتشارد «تبًا.. سأصعد السلم، أيها الأحمق.»

قال جاك «في هذه الحالة، من الأفضل أن أجد السلم.» ودفع القارب إلى الأمام نحو الصف التالي من الدعائم، ورآه أخيرًا.

6

غُلّق السلم بشكل مستقيم بين الصفين الداخليين من الدعائم، منتهيًا على بعد نحو أربعة أقدام فوق سطح الماء.. مستطيل باهت في أعلاه دلّ على فتحة فخّية على السطح.

في الظلام، بدا السلم وكأنه شبح نصف مرئي.

قال جاك

«حسنًا، نحن على الطريق الصحيح، ريتشي.»

وجّه القارب بحذر بجانب الدعامة التالية، حريصًا ألا يحتك بها.. ظهرت مئات الكائنات الشبيهة بالديدان اللزجة المتشبثة بالدعامة بأسنانها. بعد ثوانٍ، انزلق رأس الحصان في مقدمة القارب تحت أسفل السلم، وتمكّن جاك من الوصول إلى الدرجة السفلى.

قال «حسنًا.»

ربط جاك أحد أكمام قميصه المبتل حول الدرجة، والآخر حول الذيل المطاطي الصلب إلى جانبه.

على الأقل، سيكون القارب موجودًا إذا خرجوا من الفندق يومًا ما.. فجأة جفّ فمه، وبدأت التعويذة تصدح منادية.. وقف بحذر في القارب وتعلّق بالسلم.

قال «أنت الأول.. لن يكون الأمر سهلاً، لكن سأساعدك.»

قال ريتشارد

«لا أحتاج مساعدتك.»

وقف، وكاد يسقط إلى الأمام ويلقي بهما خارج القارب.

قال جاك «اهدأ.»

رد ريتشارد بغضب «لا تهدأني!»

مدّ ريتشارد ذراعيه ليثبّت نفسه.. كانت شفتاه مشدودتين، وبدا خائفًا حتى من التنفس، فتقدّم خطوة إلى الأمام.

قال جاك «جيد.»

تمتم ريتشارد «أيها الأحمق.»

حرك ريتشارد قدمه اليسرى للأمام، رفع ذراعه اليمنى، وجلب قدمه اليمنى للأمام، حتى تمكن من لمس أسفل السلم بيديه وهو يحدّق بعينه اليمنى.

«أترى؟»

تمتم جاك باسمًا وهو يمدّ يديه أمامه، كفاه مفرودان، ليشير إلى أنه لن يهين ريتشارد بعرض المساعدة الجسدية.

سحب ريتشارد السلم بيديه، وانزلقت قدماه إلى الأمام، دافعةً القارب معها، في لحظة، أصبح معلقًا نصفه فوق الماء، ولم يمنع القارب من الانزلاق بعيدًا من تحت قدميه سوى قميص جاك.

قال ريتشارد «ساعدني!»

قال جاك «ارجع بقدميك.»

فعل ريتشارد ذلك، ووقف مرة أخرى، يلهث.

قال جاك «دعني أساعدك، حسنًا؟»

قال ريتشارد «حسنًا.»

زحف جاك على طول القارب حتى أصبح أمام ريتشارد مباشرة، ثم وقف بحذر بالغ، أمسك ريتشارد الدرجة السفلى بكلتا يديه مرتجفًا، وضع جاك يديه أسفل وركيه النحيلين...

«سأساعدك على الصعود.. حاول ألا ترفس بقدميك، فقط اسحب نفسك عاليًا بما يكفي لتضع ركبتك على الدرجة.. أولًا ضع يديك على الدرجة التالية.»

فتح ريتشارد إحدى عينيه وفعل ذلك.

قال جاك «هل أنت جاهز؟»

قال ريتشارد «انطلق.»

انزلق القارب للأمام، لكن جاك شدّ ريتشارد ليقف مستقيمًا حتى تمكن من وضع ركبته اليمنى على الدرجة السفلى بسهولة، ثم أمسك جاك جانبي السلم واستعمل قوة ذراعيه وساقيه ليثبت القارب، زمجر ريتشارد محاولًا وضع ركبته الأخرى على الدرجة، وفي ثانية تمكن من ذلك، وبعد ثانيتين أصبح واقفًا على السلم.

قال ريتشارد «لا أستطيع الصعود أكثر.. أشعر أنني سأقع..

أشعر بالدوار، جاك.»

قال جاك «فقط اصعد درجة أخرى، رجاءً.. فقط درجة واحدة، ثم سأساعدك.»

حرك ريتشارد يديه متعبًا إلى الدرجة التالية، نظر جاك نحو السطح، ورأى أن السلم لا بد وأنه طوله ثلاثون قدمًا.

قال جاك «الآن حرك قدميك، رجاءً، ريتشارد.»

وضع ريتشارد قدماً بعد الأخرى على الدرجة الثانية، أمسك جاك جانبي قدميه وسحب نفسه للأعلى، تأرجح القارب في نصف دائرة، لكنه رفع ركبتيه ووضع قدميه على الدرجة الأدنى بأمان.. تمسّك القارب بقميص جاك الممدود، فتأرجح مرة أخرى مثل كلب مربوط بسلسلة.

في ثلث الطريق صعودًا، اضطر جاك إلى وضع ذراع حول خصر ريتشارد ليمنعه من السقوط في المياه السوداء.

أخيرًا، ظهر مستطيل فتحة السقف فوق رأس جاك مباشرة، أمسك ريتشارد بقوة فسقط رأسه الواعي على صدر جاك، الذي مد ذراعه الأيسر حول ريتشارد والسلم، واختبر فتحة السقف بيده اليمنى مفترضًا إنها ربما مسمرة؟ لكنها انفتحت فورًا وارتطمت بالسطح العلوي.

وضع جاك ذراعه اليسرى تحت إبطي ريتشارد، وسحبه في الظلام عبر الفتحة إلى أعلى السطح.

فاصل

سلوت في هذا العالم (الجزء الخامس)

هُجر موتيل كينغزلاند منذ ما يقارب ست سنوات، وفاحت منه رائحة الصحف الصفراء المتعفنة، تلك الرائحة التي تميز المباني التي هُجرت منذ زمن طويل.. تلك الرائحة التي أقلقت سلوت في البداية.. فقد ماتت جدته لأمه في البيت حين كان صبيًا، استغرق الأمر أربع سنوات، لكنها في النهاية «نجحت» في الموت... وكانت رائحة احتضارها تشبه هذه تمامًا.. لم يكن يرغب بمثل تلك الرائحة، ولا مثل تلك الذكريات، في لحظة يُفترض أن تكون أعظم انتصاراته.

أما الآن، فلم يعد ذلك يهم.. حتى الخسائر المُغيظة التي ألحقها به وصول جاك المبكر إلى معسكر الاستعداد لم تعد تهم.. لقد تحوّل ذهوله وغضبه السابقان إلى حالة هياج من الإثارة العصبية.. فأخذ يجوب الغرفة جيئة وذهابًا مطأطئ الرأس، ترتعش شفتاه، وتلمع عيناه، تلك الغرفة التي أقاما هو وريتشارد فيها في الأيام الخوالي.. أحيانًا يشبك يديه خلف ظهره، وأحيانًا يضرب قبضة بإحدى راحتيه، وأحيانًا يمرر يده على صلعته، لكنه في الغالب يمشي كما فعل في سنوات الجامعة، ويداه مقبوضتان في قبضتين صغيرتين متصلبتين على نحو يشي بعصابٍ دفين، وأظافره المخفية تنغرس بوحشية في راحتيه. تتأرجح معدته في حالة انتشاء بين

الحموضة وغثيان خفيف مصحوبًا بدوار.

بلغت الأمور ذروتها.

لا؛ لا.. الفكرة صحيحة، لكن التعبير خاطئ.

تلاقت الأمور.

ريتشارد ميت الآن.. ابني ميت.. لا بد أنه كذلك.. لقد نجا من الأراضي المحترقة... بالكاد... لكنه لن ينجو من أجينكور.. إنه ميت.. لا تُبقِ لنفسك أملًا زائفًا في هذا الشأن.. جاك سوير قتلَه، وسأفقأ عينَي رأسه الحيّ جزاءً لذلك.

«لكنني أنا أيضًا قتلته»، همس مورغان، وتوقف لحظة.

وفجأة تذكر والده.

كان غوردون سلوت قِسًّا لوثريًا متجهّمًا في أوهايو... قضى مورغان طفولته بأكملها محاولًا الفرار من ذلك الرجل القاسي المفزع، وأخيرًا، أفلت إلى جامعة يال...

منذ سنته الثانية في الثانوية كرّس عقله وروحه بالكامل ليال لسبب واحد فوق سائر الأسباب، سبب لم يعترف وعيه به، لكنه ظل راسخًا كالصخر... كانت مكانًا لا يجرؤ أبوه الريفي الفظ أن يطأه بقدمه، لو حاول أبوه ذات يوم دخول حرم يال، لأصابه أمرٌ مهيب.. ما طبيعة ذلك الأمر؟ لم يكن سلوت، في سن المراهقة، واثقًا... لكنه شعر أنه سيكون قريبًا مما أصاب الساحرة الشريرة حين ألقت دوروثي عليها دلو الماء، وقد بدا هذا الحدس صحيحًا.. فلم يطأ أبوه حرم يال

قط، ومنذ اليوم الأول لمورغان هناك، بدأ سلطان غوردون سلوت على ابنه يتلاشى... وكان ذلك وحده كافيًا ليجعل كل ذلك السعي والعناء أمرًا مستحقًا.

لكن الآن، وهو واقف وقبضتاه مشدودتان وأظافره تنغرس في راحتيه الرخوَتين، سمع صوت أبيه ينهض في داخله..

«ما ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر ابنه؟»

وللحظة، امتلأ أنفه بتلك الرائحة الصفراء الرطبة... رائحة الموتيل المهجور، رائحة الجدة، رائحة الموت... فبدت كأنها تخنقه، وشعر مورغان سلوت / مورغان من أوريس بالخوف...

ما ينفع الإنسان...

جاء في كتاب الزراعة الصالحة أن الرجل لا يأتي بنسل بذره إلى موضع ذبيحة، لأن...

ما ينفع...

ذلك الرجل يُدان، ويُدان، ويُدان...

لو ربح العالم كله، وخسر ابنه؟

رائحة الجصّ العفن.. الرائحة الجافة لروث الفئران القديم وهو يتحول إلى غبار في الفراغات المظلمة خلف الجدران.. المجانين.. هناك مجانين في الشوارع.

ما ينفع الإنسان؟

ميت.. ابن ميت في ذلك العالم، وابن ميت في هذا العالم.

ما ينفع الإنسان؟

ابنك ميت يا مورغان.. لا بد أنه كذلك.. ميت على السطح، أو ميت تحت الدعامات يطفو هناك، أو ميت... يقينًا! ... في الأعلى، لم يستطع الاحتمال.. لم يستطع...

ما ينفع...

وفجأةً أتته الإجابة.

«ينتفع الإنسان بالعالم!» صرخ مورغان في الغرفة المتداعية.. وبدأ يضحك ويجوبها من جديد! «ينتفع الإنسان بالعالم، وباسم جايسون، فالعالم كافٍ!»

ضاحكًا، أخذ يسرّع خطواته أكثر فأكثر، ولم يلبث أن بدأ الدم يقطر من قبضتيه المشدودتين.

بعد نحو عشر دقائق توقفت سيارة في الخارج، توجه مورغان نحو النافذة فرأى جاردنر المنير يندفع خارج سيارة الكاديلاك اندفاعًا هستيريًا.

وبعد ثوانٍ أخذ يطرق الباب بكلتا قبضتيه، كطفل في الثالثة من عمره يضرب الأرض في نوبة غضب.. رأى مورغان أن الرجل فقد عقله تمامًا، وتساءل.. «أخير ذلك أم شر؟»

«مورغان!» دوّى صوت جاردنر. «افتح لي يا سيدي! أخبارا عندي أخبارا!»

«رأيت كل أخبارك بمنظاري على ما أظن.. اطرق الباب قليلًا بعد، يا جاردنر، ريثما أقرر.. أجنونك هذا خير أم شر؟»

«خير» قرر مورغان.. ففي إنديانا، في اللحظة الحاسمة انهار جاردنر واستسلم لجبنه، وهرب دون أن يُنهي أمر جاك مرة واحدة وإلى الأبد.. أما الآن، فقد أعاده حزنه الوحشي إلى كونه موضع ثقة من جديد، ولو احتاج مورغان إلى طيّارٍ انتحاري، لكان جاردنر أول من يصعد إلى الطائرة.

«افتح لي يا سيدي! أخبارا! أخبارا! أخ...»

فتح مورغان الباب، ورغم إثارته الداخلية، فإن الوجه الذي أظهره لجاردنر كان ساكنًا على نحو مريب...

قال بهدوء «تمهّل، تمهّل يا جارد.. سيتمزق عرقك.»

«ذهبوا إلى الفندق... إلى الشاطئ... أطلق عليهم النار وهم على الشاطئ... الحمقى أخطأوهم... في الماء، ظننت... سنصيبهم في الماء... ثم نهضت المخلوقات العميقة... كان في مرماي... كان ذلك الفتى الشرير في مرماي تمامًا... ثم... المخلوقات... هم... هم...»

قال مورغان مُسكنًا.. «اهدأ.» وأغلق الباب، وأخرج قارورة من جيبه الداخلي وقدّمها لجاردنر، الذي لفّ الغطاء وابتلع جرعتين كبيرتين.. انتظر مورغان.. بوجهه الوديع الهادئ، لكن عرقًا نابضًا كان يخفق في منتصف جبهته، وأخذت يداه تنفتحان وتُطبقان، تنفتحان وتُطبقان.

ذهبوا إلى الفندق، نعم.. كان مورغان قد رأى الطوف السخيف برأس الحصان المرسوم وذيله المطاطي يتمايل هناك.

قال «ابني.. هل قال رجالك إن كان حيًا أم ميتًا حين وضعه جاك في الطوف؟»

هزّ جاردنر رأسه... لكن عينيه أفصحتا عما يعتقده.. «لا أحد يعرف على وجه اليقين، يا سيدي.. بعضهم قال إنه رآه يتحرك، وبعضهم قال لا.»

لا يهم. إن لم يكن ميتًا آنذاك، فهو ميت الآن.. نفس واحد من هواء ذلك المكان كفيل بأن يُفجّر رئتَيه.

احتقنت وجنتا جاردنر بلون الويسكي، ودمعت عيناه.. لم يرد القنينة، بل ظل ممسكًا بها، لم يمانع سلوت ذلك.. فلم يكن يريد لا ويسكي ولا كوكايين.. بل كان في نشوة طبيعية.

قال مورغان «ابدأ من جديد، ولكن هذه المرة تكلم بوضوح.»

الشيء الوحيد الذي أفصح عنه جاردنر ولم يكن مورغان قد استخلصه من اندفاعته المتقطعة الأولى، هو وجود ذلك العجوز الأسود على الشاطئ، وكان بوسعه تخمينه على أي حال.. ومع ذلك، تركه يواصل الكلام.. كان صوت جاردنر مُهدئًا، وغضبه مُنشطًا.

وبينما جاردنر يتكلم، راجع مورغان خياراته للمرة الأخيرة،

مستبعدًا ابنه من المعادلة بنبضة خاطفة من الأسى.

ما ينفع الإنسان؟ ينتفع الإنسان بالعالم، والعالم كافٍ... أو، في هذه الحالة، عالمان.. اثنان كبداية، ثم أكثر حين... وإن... ينتهيان.. أستطيع أن أحكمهم جميعًا إن شئت... يمكنني أن أكون شيئًا يشبه إله الكون.

التعويذة.. التعويذة هي...

المفتاح؟

لا؛ كلا.

ليست مفتاحًا بل بابٌ؛ بابٌ موصد يقف بينه وبين قدره.. لم يكن يريد أن يفتح ذلك الباب، بل أن يحطّمه، يحطّمه تحطيمًا تامًا وباتًا وأبديًا، بحيث لا يمكن أن يُغلق مرة أخرى، فضلًا عن أن يُقفل.

عندما تُسحق التعويذة، ستغدو تلك العوالم جميعًا عوالمه.

«يا جاردا!» قال، وبدأ يتمشى من جديد بخطوات متقطعة.

نظر جاردنر إليه باستفهام.

«ما ينفع الإنسان؟» غرد مورغان بصوت مشرق على نحو غريب.

«سيدي؟ لا أفهم...»

توقف مورغان أمام جاردنر، وعيناه متوهجتان محمومتان، وملامحه تتموّج.. صار وجه مورغان من أوريس.. ثم عاد

وجه مورغان سلوت من جديد.

قال مورغان وهو يضع يديه على كتفي أوزمند «ينتفع الإنسان بالعالم.»

وحين رفعهما بعد ثانية، عاد أوزمند جاردنر من جديد.

«ينتفع الإنسان بالعالم، والعالم كافٍ.»

قال جاردنر وهو ينظر إليه كأنه مجنون.. «يا سيدي، أنت لا تفهم.. أظنهم دلفا إلى الداخل.. إلى الداخل حيث هي هي.. حاولنا إطلاق النار عليهم، لكن المخلوقات... المخلوقات العميقة... نهضت وحمتهم، كما قال كتاب الزراعة الصالحة... وإن كانوا في الداخل...»

ارتفع صوته، ودارت عينا أوزمند بمزيج من الحقد والذهول.

قال مورغان مطمئنًا «أفهم.» عاد وجهه وصوته هادئين من جديد، لكن قبضتيه ظلتا تعملان بلا توقف، والدم ينساب ويقطر على السجادة المتعفّنة.. «نعم نعم، بلا شك.. لقد دخلوا، وابني لن يخرج أبدًا.. لقد خسرتَ ابنك يا جارد، والآن خسرتُ أنا ابني.»

«سوويرا!» صاح جاردنر. «جاك سويرا! جايسون! ذلك...»

وانفجر جاردنر في نوبة لعن فظيعة دامت قرابة خمس دقائق.. شتم جاك بلغتين؛ كان صوته يجلجل ويتصبب عرقًا من الحزن والغضب المجنون.. ظل مورغان واقفًا حتى أفرغ ما في جعبته كله.

وحين توقّف جاردنر لاهثًا وارتشف جرعة أخرى من القنينة، قال مورغان

«حسنًا!» وقد بلغ أوج مراحل شدته! «والآن اسمعني يا جارد... هل تصغي؟»

«نعم، يا سيدي.»

كانت عينا جاردنر / أوزمند تلمعان بانتباه مرير.

«ابني لن يخرج أبدًا من الفندق الأسود، ولا أظن أن سوير سيخرج أيضًا.. هناك احتمال كبير ألا يكون جايسون بما يكفي بعد ليواجه ما في الداخل.. من المرجح أن تقتله هو، أو تدفعه إلى الجنون، أو ترسله مئة عالم بعيدًا.. لكنه قد يخرج يا جارد.. نعم، قد يخرج.»

«إنه أشرس لقيطٍ أنجبته الحياة قط»، همس جاردنر، اشتدت قبضته على القنينة... اشتدت... اشتدت... حتى إن أصابعه بدأت تُحدِث انبعاجات في غلافها المعدني.

«تقول إن الرجل الأسود العجوز في الأسفل على الشاطئ؟»

«نعم.»

قال مورغان «باركر.» وفي اللحظة نفسها قال أوزمند «باركوس.»

«ميت؟» سأل مورغان بلا اهتمام يُذكر...

«لا أدري.. أظنه كذلك.. هل أرسل رجالًا لالتقاطه؟»

«لا!» قال مورغان بحدة.. «لا... لكننا سنقبع بالقرب من مكانه، أليس كذلك يا جارد؟»

«سننزل؟»

بدأ مورغان يبتسم ابتسامة عريضة.

«نعم.. أنت... أنا... جميعنا.. لأنه إن خرج جاك من الفندق، فسيتجه إلى هناك أولًا.. لن يترك رفيق ليالي القتال القديمة ملقى على الشاطئ، أليس كذلك؟»

الآن بدأ جاردنر يبتسم هو الآخر.. «لا»، تمتم.. «لا.»

للمرة الأولى شعر مورغان بألم خافت نابض في يديه.. فتحهما ونظر متأمّلًا إلى الدم المنساب عبر الجروح نصف الدائرية العميقة في راحتيه، لم تفتر ابتسامته، بل اتسعت.

حدّق جاردنر فيه بخشوع.. امتلأ مورغان بإحساس هائل بالقوة.. رفع يده إلى عنقه وأطبق إحدى يديه الداميتين على المفتاح الذي يستدعي البرق.

هامسًا.. «ينتفع الإنسان بالعالم.. هلا منحتني هللويا.»

انسحبت شفتاه إلى الخلف أكثر، فارتسمت على وجهه ابتسامة صفراء مريضة كابتسامة ذئبٍ مارق... ذئبٍ هرم، لكنه لا يزال ماكرًا، عنيدًا، قويًا.

ثم قال «هيا يا جارد.. لنذهب إلى الشاطئ.»

الفصل الحادي والأربعون

الفندق الأسود

1

لم يكن ريتشارد سلوت ميتًا، لكن عندما حمل جاك صديقه القديم بين ذراعيه، كان فاقدًا للوعي.

«من القطيع الآن؟» سأل ولف في رأسه.. «كن حذرًا، جاكي! ولف! كُن...»

«تَعَالَ إلي! تَعَالَ الآن!» غنّت التعويذة بصوتها القوي الصامت.. «تَعَالَ إلي، واحضر القطيع، وكل شيء سيكون على ما يُرام، وكل شيء سيكون على ما يُرام، و...»

«... هكذا.. كل شيء سيصير على ما يرام...» تمتم جاك بصوت خافت.

انطلق إلى الأمام وكاد يخطو عائداً عبر فتحة الفخ، وكأنّه طفل يشارك في إعدام مزدوج غريب بواسطة الشنق.. «تأرجح مع صديقك»، فكر جاك بجنون.. دق قلبه في أذنيه، وللحظة ظنّ أنّه قد يتقيأ مباشرة في الماء الرمادي الذي يضرب الدعائم. ثم استجمع قواه وأغلق فتحة الفخ بقدمه. ولم يبقَ سوى صوت دوارات الرياح... ذات التصاميم النحاسية الغامضة التي دارت بلا كلل في السماء.

التفت جاك نحو الأجنكور.

كان يقف على سطح واسع يشبه الشرفة المرتفعة، كما رأى.. يومًا ما، كان أهل العشرينيات والثلاثينيات يجلسون هنا في ساعة الكوكتيل أسفل المظلات، يحتسون الجن ريكّي والسيكيدا، وربما يقرؤون آخر روايات إدغار والاس أو إليري كوين، وربما اكتفوا بالنظر نحو المكان الذي يمكن أن تُلمح فيه جزيرة لوس كافيرنس... حدبة حوت أزرق رمادي تسبح في الأفق.. الرجال بالملابس البيضاء، النساء بألوان الباستيل.

ربما حدث ذلك في الماضي.

أما الآن، فالألواح ملتوية ومشوهة ومجزأة، لم يكن جاك يعرف لون الطلاء الذي غُطّي به السطح في السابق، لكنه الآن صار أسود، مثل باقي الفندق... لون هذا المكان يشبه اللون الذي تخيله للأورام الخبيثة في رئتي والدته.

على بعد نحو ستة أمتار كانت «نوافذ/أبواب» سبيدي، التي مر الضيوف من خلالها ذهابًا وإيابًا في تلك الأيام الباهتة القديمة.. مدهونة بالصابون بخطوط بيضاء عريضة فبدت كأنها أعين معتمة.

كُتب على واحدة منها

(فرصتك الأخيرة لتعود لمنزلك)

صوت الأمواج، صوت المعادن الدوّارة على الأسطح المائلة، رائحة ملح البحر والمشروبات القديمة المنسكبة... مشروبات

سكبت منذ زمن طويل على يد أشخاص جميلين أصبحوا الآن متجعدين وموتى... رائحة الفندق نفسه... نظر مجددًا إلى النافذة المغسولة بالصابون ورأى بلا مفاجأة حقيقية أن الرسالة قد تغيّرت بالفعل

(لقد ماتت بالفعل.. جاك، فلماذا يا أخي؟)

«الآن مَن القطيع؟»

«أنت القطيع، ريتشي،» تمتم جاك، «لكنك لست وحدك.»

أصدر ريتشارد صوت شخير واحتجاج بين ذراعي جاك.

فقال جاك «هيا»، وبدأ بالمشي.. «بقى ميل واحد آخر، تقريبًا.»

2

بدت النوافذ المدهونة بالصابون وكأنها تتسع بينما يقترب جاك من الأجنكور، كما لو أن الفندق الأسود ينظر إليه الآن بدهشة عمياء، لكنها محتقرة.

«هل تعتقد حقًا، أيها الصغير، أنّك تستطيع الدخول هنا وتأمل أن تخرج يومًا؟ هل تعتقد أنّ هناك حقًا هذا القدر من جيسون فيك؟»

ومضت شرارات حمراء، مثل تلك التي رأها في الهواء، تتلألأ وتلوح عبر الزجاج المغسول بالصابون. للحظة، اتخذت هذه الشرارات شكلًا.. راقبها جاك متعجبًا وهي تتحول إلى شياطين نارية صغيرة، انزلقت نحو مقابض النحاس للأبواب واجتمعت هناك، بدأت المقابض تتوهج بشكل خافت، مثل حديد غمسه الحداد في النار.

«هيا، أيها الصغير.. المس واحدة.. جرّب.»

ذات مرة، عندما كان جاك في السادسة من عمره، وضع إصبعه على ملف سخان كهربائي بارد ثم قلب مقبض التحكم إلى أعلى درجة.. كان فضوليًا فقط لمعرفة مدى سرعة سخونة السخان، بعد ثانية، سحب إصبعه، وقد ظهرت عليه بثور بالفعل، صارخًا من الألم... جاء فيل سوير مسرعًا، نظر إليه متسائلاً «متى بدأت تنتابك تلك المشاعر الغريبة بأن تحرق نفسك حيًا؟»

وقف جاك وريتشارد بين ذراعيه، يحدق في المقابض المتوهجة بمكر خافت.

«هيا، أيها الصغير. تذكّر كيف أحرقك الموقد؟ حين ظننت أنّ لديك وقتًا كافيًا لسحب إصبعك... ‹اللعنة›، فكر، ‹لن يبدأ الاحمرار إلا بعد دقيقة تقريبًا›... لكنّه احترق على الفور، أليس كذلك؟ الآن، كيف تتصور ما سيكون عليه ذلك الشعور، جاك؟»

المزيد من الشرارات الحمراء انزلقت بسلاسة على الزجاج نحو مقابض الأبواب الفرنسية، بدأت المقابض تأخذ اللون الأحمر الدقيق الحواف مع لمعة المعادن التي على وشك الذوبان، على بعد ست درجات فقط من أن تصبح سائلة وتبدأ بالتقطر.. لو لمس جاك إحدى هذه المقابض، لغاصت في جسده، وأحرقت أنسجته وغلى دمه.. سيكون الألم أعظم مما شعر به من قبل.

انتظر للحظة وهو يحمل ريتشارد بين ذراعيه، على أمل أن تناديه التعويذة مجددًا، أو أن يظهر جانب «جيسون» منه.. لكن صوت والدته همس في رأسه

«هل يجب أن يدفعك شيء أو شخص ما دائمًا يا جاكي؟ هيا، أيها الكبير... لقد بدأت هذا بنفسك؛ يمكنك الاستمرار إذا أردت حقًا.. هل يجب أن يقوم الآخر بكل شيء عنك؟»

«حسنًا، أمي»، تمتم جاك، مبتسمًا قليلًا، لكن صوته مرتعش

من الخوف.. «إليك واحدة لأجلك.. آمل فقط أن يتذكر أحدهم أن يحضر مرهمًا للحروق.»

مدّ يده وأمسك بأحد المقابض الحمراء الساخنة.

إلا أنّها لم تكن كذلك؛ كل ذلك كان وهمًا.. كان المقبض دافئًا، وهذا كل شيء.. وحين أداره جاك، خبت التوهجات الحمراء عن جميع المقابض، وعندما دفع الباب الزجاجي إلى الداخل، غنّت التعويذة مجددًا، محدثة قشعريرة في جسده كله

«أحسنت! جيسون! إليّ! تعال إليّ!»

مع ريتشارد الساكن بين ذراعيه، دخل جاك إلى قاعة الطعام في الفندق الأسود.

3

ما إن اجتاز جاك العتبة حتى شعر بقوة جامدة... شيء أشبه بيد ميتة... تحاول دفعه إلى الخارج.. قاوم جاك ذلك الدفع، وبعد ثانية أو ثانيتين تلاشى الإحساس بالطرد تمامًا.

لم تكن الغرفة مظلمة على نحو خاص، لكن النوافذ المغسولة بالصابون منحتها بياضًا أحاديًا لم يرق لجاك الذي شعر وكأنه محجوب في ضباب، كأنه أعمى.. احتلت الروائح الصفراء العفنة الجدران حيث تحول الجص ببطء إلى حساء فاسد.. رائحة العمر الخاوي والعتمة الحامضة.. لكن هناك ما هو أكثر، وعلم جاك ذلك وخشى مواجهته.

لأن هذا المكان لم يكن خاليًا.

لم يكن يعلم على وجه الدقة طبيعة الأشياء الموجودة هنا، لكنه علم أن سلوت لم يجرؤ قط على الدخول، وخمّن أن لا أحد آخر سيفعل.. كان الهواء ثقيلاً كريهًا في رئتيه، كأنه محمّل بسم بطيء.. وشعر بالطبقات الغريبة والممرات المائلة والغرف السرية والنهايات المسدودة فوقه تضغط عليه كجدران سرداب عظيم ومعقّد.. هنا مشى الجنون، والموت، وثرثرت اللاعقلانية بلا وعي.. وربما لم يكن لديه الكلمات ليصف هذه الأشياء، لكنه شعر بها وعرف حقيقتها.. كما علم أن كل تعاويذ الكون لن تحميه منها.. لقد دخل طقسًا غريبًا راقصًا، شعر أن نهايته ليست محددة مسبقًا.

لقد صار وحيدًا.

شيء ما دغدغ مؤخرة عنقه، لوّح جاك بيده لإبعاده وانحرف جانبًا فتأوّه ريتشارد بغلظة بين ذراعيه.

كان عنكبوتًا أسود كبير يتدلّى بخيط، رفع جاك رأسه فرأى شبكته معلّقة في إحدى مراوح السقف الساكنة، متشابكة في فوضى قذرة بين شفرات الخشب الصلب، انتفخ جسد العنكبوت، واستطاع جاك رؤية عينيه.. لم يتذكر أنه رأى من قبل عيون عنكبوت.. بدأ جاك يتحرك متجنبًا العنكبوت المتدلّي متجهًا نحو الطاولات، وتحرك العنكبوت في نهاية خيطه متتبعًا حركته.

«فُشِنغ فيف(4)!» صرخ فجأة في وجهه.

صرخ جاك وضمّ ريتشارد إلى صدره بقوة هلع، وارتدّ صوته في قاعة الطعام ذات السقف العالي، ومن مكان ما في الظلال البعيدة، سُمع طَنْق معدني أجوف، ثم ضحك شيء ما.

«فُشِنغ فيف، فُشِنغ فيف!» صرخ العنكبوت، ثم اندفع فجأة صاعدًا إلى شبكته أسفل السقف المعدني المزخرف.

وخفق قلبه بشدة، عبر جاك قاعة الطعام ووضع ريتشارد على إحدى الطاولات، تأوّه الصبي مرة أخرى، تأوهًا خافتًا جدًا، وشعر جاك بالنتوءات الملتوية تحت ثياب ريتشارد.

«سأتركك للحظة، يا صديقي»، قال جاك.

ومن الظلال العالية فوقه جاء الصوت «... سأهتمّ به... سأُهتمّ به على نحو جيد، يا فُشِنغ فيف...» كانت هناك قهقهة صغيرة قاتمة.

تحت الطاولة التي وضع عليها جاك ريتشارد هناك كومة من الشراشف، الطبقات العليا منها ملطخة بالعفن، لكن في منتصف الكومة وجد واحدة بحالة صالحة، بسطها وغطّى بها ريتشارد حتى عنقه، ثم همّ بالابتعاد.

همس صوت العنكبوت رقيقًا من زاوية شفرات المروحة، من ظلمة تفوح برائحة الذباب المتحلل والدبابير الملفوفة بالحرير «... سأهتمّ به، يا فُشِنغ فيف...»

رفع جاك رأسه ببرود، لكنه لم يرَ العنكبوت، تخيّل تلك العيون الصغيرة الباردة، لكن كان الخيال وحده.. جاءت إليه صورة مؤلمة.. العنكبوت يزحف على وجه ريتشارد، يتسلّل بين شفتيه المرتخيتين إلى فمه، وهو يهمهم طوال الوقت «فُشِنغ فيف، فُشِنغ فيف، فُشِنغ فيف...»

فكر أن يرفع الغطاء ليغطي فم ريتشارد أيضًا، لكنه اكتشف أنه لا يستطيع تحويله إلى شيء يشبه الجثة؛ فذلك أشبه بدعوة صريحة للموت.

عاد إلى ريتشارد ووقف مترددًا، عالمًا أن تردده هذا قد يسعد القوى الكامنة هنا... أي شيء لإبعاده عن التعويذة.

مدّ يده إلى جيبه وأخرج الكرة الزجاجية الخضراء الداكنة

الكبيرة، المرآة السحرية من العالم الآخر، لم يكن لدى جاك أي سبب للاعتقاد بأنها تحمل قوة خاصة ضد الشر، لكنها جاءت من الأراضي... وباستثناء الأراضي الملعونة، كانت الأراضي طيّبة في جوهرها، وخيّرة بالفطرة، كما استنتج جاك، لا بد أن يكون له سلطة على الشر.

وضع الكرة في يد ريتشارد، انغلقت يد ريتشارد، ثم انفرجت ببطء ما إن سحب جاك يده.

ومن مكان ما في الأعلى، أطلقت العنكبوت ضحكة قذرة مكتومة.

انحنى جاك فوق ريتشارد محاولًا تجاهل رائحة المرض التي تشبه رائحة هذا المكان وهمس «تمسك بها بإحكام، ريتشي.. تمسك بها جيدًا، يا صديقي.»

«لا... يا صديقي»، تمتم ريتشارد، لكن يده أغلقت بضعف حول الكرة.

«شكرًا لك، يا ريتشي»، قال جاك، قبل خدّه برفق، ثم اتجه عبر قاعة الطعام نحو الأبواب المزدوجة المغلقة في الطرف البعيد.. فكّر.. «تمامًا كقصر الحمراء».

قاعة طعام تطل على الحدائق هناك، وهنا تطل على سطح فوق الماء، أبواب مزدوجة في كلا المكانين، تفضي إلى بقية الفندق.

وأثناء عبوره الغرفة، شعر مرة أخرى بتلك اليد الميتة

تدفعه... كان الفندق نفسه يرفض دخوله ويحاول طرده.

«انسَ الأمر»، فكر جاك، واستمر في السير.

وخبا الضغط في الحال تقريبًا.

«لدينا سبل أخرى»، همست الأبواب المزدوجة وهو يقترب منها.. ومرة أخرى سمع جاك الطنق المعدني الأجوف.

«أنت قلق بشأن سلوت»، همست الأبواب المزدوجة؛ لكنه الآن لم يكن مجرد صوتها... كان الصوت الذي يسمعه جاك هو صوت الفندق بأكمله. «أنت قلق بشأن سلوت، وأشباح ولف السيئة، وأشياء تشبه الماعز، ومدربي كرة السلة الذين ليسوا حقًا مدربي كرة سلة؛ أنت قلق بشأن الأسلحة والمتفجرات البلاستيكية والمفاتيح السحرية.. نحن هنا لا نهتم بأي من هذه الأمور، أيها الصغير.. لا شيء يهمنا.. مورغان سلوت ليس أكثر من نملة سريعة.. عمره عشرون عامًا فقط، وهذا أقل من المسافة بين شهيق وزفير بالنسبة لنا.. نحن في الفندق الأسود نهتم فقط بالتعويذة... مركز جميع العوالم التي يمكن تخيلها.. لقد جئت كحرامي لتسرق منا ما لنا، وها نحن نخبرك مرة ثانية.. لدينا سبل أخرى للتعامل مع أمثالك من فُشِنغ فيف.. وإذا أصريت، فسوف تكتشف ما هي... ستدرك ذلك بنفسك.»

4

دفع جاك أحد مصراعي البابين المزدوجين أولًا، ثم الآخر.. أطلقت المفصلات صريرًا مزعجًا وهي تتحرك على مساراتها الغائرة للمرة الأولى منذ سنوات.

وراء الأبواب كان هناك ممر مظلم. «سيؤدي هذا إلى الردهة»، فكّر جاك.. «ثم، إن كان هذا المكان حقًا مثل قصر الحمراء، فسيتوجب عليّ أن أصعد الدرج الرئيسي طابقًا واحدًا.»

في الطابق الثاني سيجد القاعة الكبرى، وفي القاعة الكبرى سيجد الشيءَ الذي جاء من أجله...

ألقى جاك نظرة خلفه، فرأى أن ريتشارد لم يتحرك، ثم خطا إلى داخل الممر وأغلق الأبواب خلفه.

بدأ يتحرك ببطء على طول الممر، وحذاؤه الرياضي البالي والمتسخ يئن فوق السجادة المتحللة.

على مسافة أبعد، لمح جاك مجموعة أخرى من الأبواب المزدوجة مرسوم عليها طيور.

وعلى القربمنها رأى عدة غرف للاجتماعات.. ها هي قاعة الولاية الذهبية، مقابل قاعة أبناء التسعة والأربعين مباشرة، وعلى بعد خمس خطوات أخرى نحو الأبواب ذات الطيور المرسومة، كانت قاعة مندوسينو (وقد حُفر على لوح الباب

السفلي من خشب الماهوغني «ماتت أمك وهي تصرخ!»).

في أقصى الممر على نحو بدا عمقه مستحيلًا... كان هناك ضوء مائي باهت، الردهة.

طانك!

استدار جاك بسرعة، ولمح وميض حركة خلف أحد المداخل المقوّسة في هذا الممر...

رمش جاك بقلق.. كان الممر مبطّنًا بألواح داكنة من الماهوغني بدأت تتعفّن بفعل رطوبة البحر.. لا حجارة.. وكانت الأبواب المؤدية إلى قاعة الولاية الذهبية وقاعة أبناء التسعة والأربعين وقاعة مندوسينو مجرد أبواب مستطيلة، بلا أقواس، ومع ذلك، لبرهة بدا له أنه رأى فتحات تشبه أقواس الكاتدرائيات، ممتلئة ببوابات حديدية ساقطة، من النوع الذي يُرفع ويُخفض بواسطة رافعة، مع أشواك حديدية جائعة في أسفلها، وعندما تُخفض البوابة لسد المدخل، تنغرس الأشواك في ثقوب الأرض.

لا فتحات أبواب حجرية مقوسة يا جاك.. إنها محض أبواب.. لقد رأيت مثل تلك البوابات في برج لندن، في الجولة التي ذهبت فيها مع أمك وعمك تومي قبل ثلاث سنوات.. أنت فقط مرتبك قليلًا... هذا كل شيء.

لكن مشاعر معدته لا تخطئ.

إنها هناك، بلا شك.. لقد انقلبت للعالم الآخر للحظة واحدة...

كنت في الأراضي.

طانك!

استدار جاك في الاتجاه الآخر، يتصبب عرقًا على وجنتيه وجبهته، وقد بدأ شعر قفاه في التصلب.

رآه مرة أخرى... وميض شيء معدني في ظلال إحدى تلك الغرف، ورأى حجارة ضخمة سوداء كالذنوب، أسطحها الخشنة ملطّخة بالطحالب الخضراء، حشرات مهقّة، لزجة ومقززة، تزحف داخل المسامات الواسعة للملاط المتحلل وبينها وقفت المشاعل الفارغة على مسافات خمسة عشر أو عشرين قدمًا، أما المشاعل التي كانت تحويها فقد زالت منذ زمن بعيد...

طانك!

هذه المرة لم يرمش، انزلق العالم جانبًا أمام عينيه، متمايلًا كشيء يُرى من خلال ماء صافٍ جاري! عادت الجدران إلى لون الماهوغني الداكن بدل الكتل الحجرية، وصارت الأبواب أبوابًا، لا بوابات حديدية ساقطة.

بدأ العالمان، اللذان كان يفصل بينهما غشاء رقيق كجورب امرأة حريري، يتداخلان فعليًا.

وأدرك جاك بخفوت أن جانبه «جيسون» بدأ يتداخل مع جانبه «جاك»... كائن ثالث ناتج عن امتزاج الاثنين بدأ يظهر.

لا أعرف بالضبط ما طبيعة هذا الامتزاج، لكنني آمل أن

يكون قويًا... لأن خلف تلك الأبواب أشياء... خلفها جميعًا.

بدأ جاك يزحف على جانب الممر مجددًا نحو الردهة.

طانك!

هذه المرة لم يتغير العالم؛ بقيت الأبواب الصلبة أبوابًا صلبة، ولم يرَ أي حركة.

لكن خلفها مباشرة... خلفها مباشرة...

ثم سمع صوتًا خلف الأبواب المزدوجة المرسوم عليها مشهد الأهوار(5)، وقد كتب في السماء فوقها (حانة مالك الحزين)، كان صوت آلة كبيرة صدئة بدأت في العمل.. اندفع جاك نحو الباب المنفتح

(واندفع جيسون نحو البوابة الصاعدة)

وغاصت يده في

(الجيب)

الذي كان على حزام سترته الجلدية

وأطبقت على الريشة التي أعطاها له سبيدي منذ زمن بعيد

(وأطبقت حول سنّ القرش).

انتظر ليرى ما الذي سيخرج من حانة مالك الحزين، وهمست جدران الفندق همسًا خافتًا..

«لدينا طرائقنا في التعامل مع أمثالكم من الفُشِنغ فيف..

كان ينبغي لك أن ترحل ما دام الوقت متاحًا...

... لأن وقتك الآن، أيها الصبي الصغير، قد انتهى.»

5

طنين... خَشخَشَة!

طنين... خَشخَشَة!

طنين... خَشخَشَة!

كان الصوت عظيمًا وثقيلًا ومعدنيًا.. ثمة شيء لا يرحم وغير إنساني فيه، أرعب جاك أكثر مما يمكن أن يفعله أي صوت بشري.

تحرك هذا الصوت وتحرك بخطواته البطيئة الغبية، على إيقاعه الخاص..

طنين... خَشخَشَة!

طنين... خَشخَشَة!

حصل توقف طويل.. انتظر جاك، ملتصقًا بالحائط البعيد، على بعد خطوات قليلة يمين الأبواب المرسومة، وأعصابه مشدودة حتى كادت تصدر هديرًا...

لم يحدث شيء على الإطلاق لفترة طويلة.. بدأ جاك يأمل أن يكون صوت الخشخشة المرعب قد تراجع عبر فتحة خفية مبتعدًا إلى العالم الذي جاء منه.. أصبح مدركًا أن ظهره يتألم من وضعه المتصلّب والمشدود بعنف.. استرخى قليلًا.

ثم دوى صوت مزق السكون، وظهرت قبضة هائلة مكسوّة بزردٍ معدني، تنبثق من مفاصله مسامير غليظة بطول

بوصتين، ضربت من خلال السماء الزرقاء المتقشرة على الباب.. ارتد جاك إلى الوراء، فاغرًا فاه إثر ذهوله...

وبلا حول ولا قوة، اندفع إلى الأراضي البعيدة.

6

على الجانب الآخر من السّقاطة(6) الحديدية وقف كائنٌ يرتدي درعًا داكنًا مائلًا إلى الصدأ.. ولم يقطع سطح خوذته الأسطوانية سوى شقٌّ أفقيٌ أسود للعينين، لا يتجاوز عرضه بوصة واحدة!

تعلوها خصلةٌ حمراء منفوشة، تزحف فيها ديدانٌ بيضاء تدخل وتخرج منها.. وهي من نفس النوع ـ كما أدرك جيسون ـ الذي خرج من الجدران أول مرة في غرفة ألبرت الضخم، ثم غزا مدرسة ثاير بأسرها... وانتهت الخوذة بواقٍ من زردٍ معدني انسدل على كتفي الفارس الصدئ كما ينسدل وشاحٌ من فرو على كتفي سيّدة!

أما العضدان والساعدان فمكسوّين بواقيات فولاذية ثقيلة، متصلة عند المرافق بمفاصل مدرّعة.. وهذه المفاصل مكسوّة بطبقات من قِدمٍ ودنسٍ متحجّر، فإذا تحرّك الفارس أطلقت صريرًا حادًا يشبه أصوات أطفال بغيضين يصرخون بإلحاح.

وعجت قبضتاه المدرّعتان بالمسامير.

وقف جيسون مسندًا ظهره إلى الجدار الحجري، يتطلع إليه، غير قادر في الحقيقة على أن يُشيح ببصره عنه؛ فمه يابسًا كفم المحموم، ومقلتاه تكادان تنتفخان وتنبضان في محجريهما على إيقاع ضربات قلبه.

وفي يد الفارس اليمنى كان (لو مارتيل دو فير)، مطرقةٌ

قتالٍ برأسٍ فولاذيٍّ مُطَرّق صديٍ يزن ثلاثين رطلًا، صامتةً صمتَ قاتل.

السّقاطة... تذكّر أن السّقاطة تفصل بينك وبينه...

لكن، وعلى الرغم من أن يدًا بشريةً لم تكن قريبةً منها، بدأ دولابُ الرفع يدور، وابتدأت السلسلة الحديدية والتي كانت كل حلقة فيها بطول ساعد جاك تلتف حول الأسطوانة، وها هي السقاطة ترتفع.

7

انسحبت القبضة المدرّعة عن الباب، تاركة وراءها شقُّ مزّق الجداريّة فاستحال المشهد الرومانسي الريفي الباهت إلى مشهد سريالي شرير. بدا كما لو أن صياد القيامة، ذلك المخذول من يومه في الأهوار، أطلق حمولة من الرصاص على السماء نفسها بدافع الغضب... ثم انفجرت رأس مطرقة القتال عبر الباب في ضربة هائلة ثقيلة، محطمةً أحد الطيور المائية التي كانت تكافح لتقوى على الإقلاع.. رفع جاك يده أمام وجهه محتميًا من الشظايا.. انسحبت مطرقة القتال (لو مارتيل دو فير)، ثم حدث توقف قصير، يكاد يكون كافيًا ليفكر جاك في الهرب مرة أخرى.

لكن القبضة المسننة مزّقت الباب من جديد، ملتوية أولًا في اتجاه ثم في الآخر، موسّعة الفتحة، ثم انسحبت، وبعد ثانية، ضربت المطرقة وسط نبتات القصب، وسقطت كتلة كبيرة من الباب الأيمن على السجادة.

أصبح بإمكان جاك الآن رؤية الشكل المدرّع الضخم عبر ظلال حانة مالك الحزين.

لم يكن الدرع مثل ذلك الذي ارتداه الكائن المواجه لجيسون في القلعة السوداء؛ إذ كان ذلك يرتدي خوذة شبه أسطوانية بخصلة حمراء، أما هذا، فقد ارتدة خوذة تبدو كرأس طائر فولاذي مصقول، وارتفعت قرون من جانبيها تقريبًا على

مستوى الأذنين، رأى جاك درع الصدر وتنورة من الصفائح المعدنية، وما تحتها حاشية من الدرع الشبكي.

أما المطرقة نفسها فهي موجودة في كلا العالمين، وفي كلا العالمين أسقطها الفارس في نفس اللحظة، كما لو أنه يحتقر خصمًا ضئيلًا كهذا... من يحتاج مطرقة قتال للتعامل مع خصم ضعيف كهذا؟

اهرب! جاك، اهرب!

صحيح، همس الفندق.. اهرب! هذا ما يفعله أمثالكم من الفُشِنغ فيف! اهرب! اهرب! اهرب!

لكنّه لم يكن لينسحب.. قد يموت، لكنه لن يهرب... لأن الصوت الماكر الهمسي كان على حق.. الهرب هو بالضبط ما يفعله الفُشِنغ فيف.

لكني لست لصًا، فكّر جاك بجدية.. قد يقتلني ذلك الكائن، لكنني لن أهرب. لأنني لست لصًا.

«لن أهرب!» صرخ جاك في وجه خوذة الطائر المصقول.. «أنا لست لصًا! هل تسمعني؟ لقد جئت لأخذ ما هو لي، ولست لصًا!»

صدرت صرخة أنين من فتحات التنفس في أسفل الخوذة الطائرة، رفع الفارس قبضتيه المسننتين وضرب بهما، واحدة على الباب الأيسر المترهل، والأخرى على الباب الأيمن المترهل.

تحطّم العالم الريفي المصوّر هناك، وانكسرت فجأة المفصلات... ومع سقوط الأبواب نحوه، رأى جاك فعليًا الطائر المصوّر الوحيد الذي بقي يطير مبتعدًا مثل طائر في رسوم والت ديزني، وعيناه مشرقتان ومرعوبتان.

تقدّم الدرع نحوه كروبوت قاتل، ترتفع قدماه ثم تهوي بقوة على الأرض.

بلغ طوله أكثر من سبعة أقدام، وعندما اخترق الباب، مزقت القرون المرتفعة من خوذته مجموعة من الشقوق التي اختلجت الإطار العلوي، وبدت كالاقتباسات.

«اهرب!» صرخ صوت صاخب في ذهنه.

«اهرب، أيها الفيف»، همس الفندق..

«لا»، أجاب جاك.

حدّق في الفارس المتقدم، ولف يده بإحكام حول ريشة الغيتار داهل جيبه..

ارتفعت القفازات المليئة بالمسامير نحو واجهة خوذة الطائر، رفعت الخوذة، فغُصّ جاك بالدهشة...

حين وجد ما داخل الخوذة فارغًا!

ثم بدأت تلك اليدان المسننتان تمتدان نحو جاك.

8

ارتفعت اليدان المسننتان وأمسكتا جانبي الخوذة الأسطوانية، رفعتاها ببطء، كاشفتين عن وجه شاحب، هزيل، لرجل بدا وكأنه تجاوز الثلاثمئة عام على الأقل...

كان أحد جانبي رأس هذا العجوز مخروقًا، برزت من خلال الجلد شظايا عظام مثل قشور البيض المكسورة، وغُطيَ الجرح بمادة سوداء اعتقد جيسون أنها دماغ متحلل.. لم يكن يتنفس، لكن عينيه المحمرّتين اللتين حدقتا بجيسون لمعتا بلهفة شيطانية.. ابتسم، ورأى جيسون الأسنان الحادة كالإبر التي سيستخدمها هذا الرعب لتمزيقه إربًا إربًا.

تحرك الفارس بصوت خشن غير مستقر... لكن ذلك لم يكن الصوت الوحيد.

نظر إلى يساره، نحو القاعة الرئيسية...

(اللوبي)

في القلعة

(الفندق)

ورأى فارسًا ثانيًا، هذه المرة يرتدي خوذة عميقة على شكل وعاء تُعرف بالخوذة الكبرى، خلفه كان هناك ثالث... ورابع. تقدّموا ببطء في الممر، حامِلين دُرُوعًا قديمة أوت مصاصي دماء من نوع ما.

ثم أمسكته اليدان من كتفيه، اخترقت المسامير الغليظة على القفازات كتفيه وذراعيه، تدفق الدم الدافئ، وانحنى الوجه الهزيل والمتجعد في ابتسامة جائعة فظيعة... أطلقت مفاصل المرفق المدرّعة صريرًا وعويلًا بينما يسحب الفارس الميت الصبي نحوه.

9

عوى جاك ألمًا.. فالمسامير القصيرة المدببة على قبضتي الفارس قد اخترقت جسده، تتوغل أعمق بداخله، وأدرك دفعة واحدة أن ما يختبره حقيقي، وأن هذا الكائن على وشك قتله بين لحظة وأخرى.

جُذب نحو الفراغ الأسود المتسع داخل تلك الخوذة...

لكن هل هو حقًا فراغ؟

لمح جاك انطباعًا مشوشًا باهتًا لتوهج مزدوج أحمر في الظلام... شيء يشبه العيون، ومع رفع اليدين المدرعتين له صعودًا، قرصه البرد، كما لو أن كل فصول الشتاء التي وجدت على الإطلاق اجتمعت بطريقة ما، لتصبح شتاءً واحدًا... حيث تدفق نهر من الهواء المثلج من تلك الخوذة الفارغة.

إنه سيقتلني حقًا، وأمي ستموت، وريتشارد سيموت، وسلوت سينتصر، إنه سيقتلني، سيقتلني...

(يمزقني، يشق جسدي بأسنانه)

يجمّدني حتى الصلابة...

«جاك!» صرخ صوت سبيدي.

(«جيسون!» صرخ صوت باركوس.)

«استخدم الريشة، يا فتى! قبل أن يفوت الأوان! من أجل جيسون... استخدم الريشة قبل فوات الأوان!»

أغلق جاك يده حولها.. كانت ساخنة كما كانت العملة، واستبدلت البرودة الخانقة فجأة بشعور مفاجئ بالانتصار المذهل الذي قد يحطم الدماغ!

أخرجها من جيبه، صائحًا من الألم بينما تشنجت عضلاته المثقوبة ضد المسامير التي اخترقته، لكنه لم يفقد ذلك الشعور بالانتصار... ذلك الإحساس الرائع بحرارة الأراضي البعيدة، ذلك الشعور الصافي بقوس قزح.

كانت الريشة، إذ تحولت مجددًا إلى ريشة، بين أصابعه، مثلثًا قويًا وثقيلًا من العاج، مزخرفًا ومرصعًا بنقوش غريبة، وفي تلك اللحظة، رأى جاك

(ورأى جيسون)

تلك النقوش تتجمع لتشكل وجهًا وجه لورا دي لوسيان.

(وجه ليلي كافانو سوير.)

10

«باسمها، أيها الكائن القذر، المشوه!» صرخا معًا... صرخة واحدة... صرخة تلك الطبيعة المزدوجة، جاك/جيسون. «اخرج من جلد هذا العالم! باسم الملكة وباسم ابنها، اخرج من جلد هذا العالم!»

أحضَر جيسون ريشة الغيتار وضرب بها الوجه الأبيض الهزيل لمصاص الدماء العتيق داخل الدرع؛ وفي اللحظة نفسها انزلق للجانب الآخر واستحال دون أن يرمش إلى جاك، ورأى الريشة تصفر نحو فراغ أسود متجمد.

ومرت لحظة أخرى كجيسون حين رأى عيني الكائن الحمراوين تتسعان بدهشة لا تُصدق بينما غرس طرف الريشة في مركز جبينه المتجعد بعمق، بعد لحظة، انفجرت العينان نفسيهما، وغشاهما الضباب، وسالت مادة سوداء زنخة الرائحة ممتلئة بالديدان القارضة على يديه ومعصميه.

11

اندفع جاك إلى الحائط، صدم رأسه، ورغم ذلك، ورغم الألم العميق النابض في كتفيه وأعلى ذراعيه، تشبث بالريشة.

اهتز الدرع المعدني مثل فزاعة مصنوعة من علب الصفيح، لاحظ جاك أنه أخذ يتضخّم بطريقة ما، فرفع يده ليحمي عينيه.

انفجر الدرع من تلقاء نفسه.. لم تتطاير الشظايا في كل مكان، بل انهار ببساطة... ظن جاك، لو رآه في فيلم بدل أن يراه هكذا، مختبئًا في الممر السفلي لهذا الفندق النتِن، ودمه يتسرب إلى إبطيه، أنه قد يضحك! سقطت الخوذة المصقولة، التي تشبه وجه طائر، على الأرض بطرقعة مكتومة، وانزلقت القطعة المقوسة التي كانت تحمي عنق الفارس من الشفرات أو رماح العدو، إلى داخلها مباشرة مع رنين حلقات الدرع المتشابكة بإحكام، سقطت دروع الصدر كأقواس معدنية منحنية، وانشطر الدرع السفلي... هطل المعدن على السجادة العفنة لدقيقتين تقريبًا، حتى لم يبق منه سوى كومة تشبه بقايا الخردة.

دفع جاك نفسه على الحائط، محدقًا بعينين متسعتين، كما لو أنه يتوقع أن يعود الدرع فجأة إلى حالته السابقة.. في الحقيقة، كان يتوقع شيئًا من هذا النوع بالفعل... لكن عندما لم يحدث شيء، استدار إلى اليسار نحو اللوبي... ورأى ثلاثة

دروع أخرى تتقدم ببطء نحوه.

أحدها حمل راية رثة أكلها العفن، وعليها رمز تعرف عليه جاك.. لقد قد رأى هذا الرمز يرفرف على أعلام جنود مورغان من أوريس حين رافقوا عربة مورغان السوداء في طريق الحامية نحو جناح الملكة لورا. إنها علامة مورغان، لكن، كما أدرك بصعوبة، لم تكن هذه مخلوقات مورغان؛ فقد حملوا رايته كمزحة سوداوية على هذا الدخيل الخائف الذي افترض أنه يستطيع سرقة سبب وجودهم الوحيد.

«كفى...» همس جاك بخشونة، ارتجفت الريشة بين أصابعه.. حدث لها شيء؛ فقد تضررت بطريقة ما عندما استخدمها لتدمير الدرع القادم من حانة مالك الحزين، أصبح العاج، الذي كان في الأصل بلون الكريم الطازج، مصفرًا بشكل ملحوظ، وظهرت شقوق دقيقة متشابكة على سطحه.

تقدمت الدروع المعدنية بثبات نحوه، أخرج أحدهم ببطء سيفًا طويلًا، ينتهي بنصل مزدوج قاسِ المظهر.

«كفى...» تذمر جاك.. «يا إلهي، أرجوك، كفى... أنا متعب، لا أستطيع... أرجوك، كفى...»

«جاك المسافر، جاك المسافر القديم...»

«سبيدي، لا أستطيع!» صرخ.. مزقت الدموع الأوساخ عن وجهه، تقدمت الدروع نحوه بحتمية كاملة، مثل قطع الصلب على خط تجميع، سمع صفير ريح قطبية داخل فراغاتها

السوداء الباردة.

«عليك أن تكون هنا في كاليفورنيا لتعيدها.»

«أرجوك، سبيدي، كفى!»

تقدمت نحوه وجوه روبوتية من المعدن الأسود، دروع متصدئة، دروع مشبكة مغطاة بالطحالب والعفن.

«عليك أن تبذل قصارى جهدك، جاك المسافر»، همس سبيدي، منهكًا، ثم اختفى، وترك جاك ليقف أو يسقط بمفرده.

الفصل الثاني والأربعون

جاك والتعويذة

1

«لقد ارتكبت خطأً»

تحدث صوت شبحِي في رأس جاك سوير أثناء وقوفه خارج حانة مالك الحزين، يراقب هذه الدروع الأخرى وهي تتجه نحوه...

في ذهنه انفتحت عين على اتساعها، ورأى رجلاً غاضبًا... رجلًا لم يكن في الحقيقة أكثر من فتى مفرط النمو يمشي بخطوات واثقة في شارع غربي باتجاه الكاميرا، وهو يضع حزام مسدس وآخر، متشابكين فوق بطنه.

«لقد ارتكبت خطأً... كان يجب أن تقتل كلا الأخوين إليس!»

2

من بين جميع أفلام والدته، كان فيلم آخر قطار إلى هانغتاون الذي عُرض في 1961، وتم إنتاجه في 1960، هو الفيلم الذي أحبّه جاك دائمًا أكثر من غيره.. كان فيلمًا من إنتاج وارنر براذرز، وامتلأت الأدوار الرئيسية كما هو الحال في كثير من أفلام وارنر المنخفضة الميزانية في تلك الفترة بنصف دزينة من ممثلي مسلسلات تلفزيون وارنر براذرز التي استمروا في إنتاجها.

وقد شارك جاك كيلي من مسلسل مافريك في آخر قطار (كالمقامر الأنيق)، وأندرو دوغان من مسلسل شارع بوربون بيت (كبار مزرعة البقر الشريرين). وكان كلينت ووكر، الذي أدى شخصية شايان بودي على التلفزيون، نجمًا في الفيلم بشخصية راف إليس (العمدة المتقاعد الذي يجب عليه أن يضع مسدساته للمرة الأخيرة)، وقد تقرر أن تؤدي إنجر ستيفنز دور فتاة قاعة الرقص ذات الأذرع المستعدة والقلب الطيب، لكن مرضت ستيفنز بالتهاب الشعب الهوائية، فتولت ليلي كافانو الدور، وهو دور يمكنها أن تؤديه ببراعة حتى وإن كانت في غيبوبة.

وذات مرة، بينما ظن والداه أنه نائم وكانا يتحدثان في غرفة المعيشة أسفل الدرج، سمع جاك والدته تقول شيئًا لافتًا وهو يخطو حافي القدمين إلى الحمام ليملأ كأسًا بالماء... كان الأمر لافتًا بما يكفي، على أي حال، ليظل عالقًا في ذاكرته إلى

الأبد..

«كل النساء اللواتي لعبت أدوارهن كن يعرفن كيف يمارسن الجنس، لكن لم تعرف أي واحدة منهن كيف تجفل!» قالتها لأبيه فيل...

شارك أيضًا ويل هاتشينز، نجم مسلسل آخر من وارنر (شوجرفوت)، في الفيلم.

وقد فضّل جاك فيلم آخر قطار إلى هانغتاون بشكل أساسي بسبب الشخصية التى لعبها هاتشينز...

وتلك الشخصية، آندي إليس، تراوده الآن في ذهنه المتعب والمتداعي والمجهد، بينما يتابع الدروع تتقدم في الممر المظلم نحوه.

آندي إليس كان الأخ الصغير الجبان الذي يغضب في المشهد الأخير، بعد أن تخبط وخاف طوال الفيلم، خرج ليواجه أتباع دوغان الشريرين بعد أن أطلق «الرئيس الأكبر» (الذي لعب دوره جاك إلّام ذو العين الواحدة، الشائب، المعروف في كل ملحميّات وارنر) النار على شقيقه راف من الخلف.

سار هاتشينز في الشارع الواسع المغبر، وهو يضع أحزمة مسدس أخيه بأصابع غير ماهرة، صائحًا

«هيا! هيا، أنا مستعد لكم! لقد ارتكبتم خطأ! كان يجب أن تقتلوا كلا الأخوين إليس!»

لم يكن ويل هاتشينز من أعظم الممثلين في كل العصور، لكن في تلك اللحظة، وحسب رؤية جاك، قد ابرز مشهد واقعي واضح وببراعة حقيقية...

خيّم شعور بأن الفتى يسير نحو موته وهو يعلم ذلك، لكنه أصر على المضي قدمًا... ورغم خوفه، لم يخطُ في هذا الشارع نحو المواجهة بلمحة ترددٍ، بل ذهب بحماسة، واثقًا مما يعنيه، حتى وإن اضطر أن يتلعثم مرة تلو الأخرى في أحزمة المسدسات.

تقدمت الدروع، مقتربة، متأرجحة من جانب إلى آخر مثل روبوتات لعب. فكّر جاك.. «لا بد أن لها مفاتيح في ظهورها.»

استدار لمواجهتها، ممسكًا بالريشة الصفراء بين إبهام وسبابة يده اليمنى، كما لو أنه سيعزف لحنًا، بدا وكأنها تتردد، كأنها تشعر بجسارته.. بدا الفندق نفسه وكأنه يتردد فجأة، أو يفتح عينيه على خطر أعمق مما توقع في البداية؛ صدأت الألواح، وأغلقت سلسلة من الأبواب صفًا بعد الآخر، وعلى الأسطح توقفت الزخارف النحاسية عن الدوران لحظة.

ثم تقدمت الدروع مرة أخرى.. الآن كانت تشكّل جدارًا متحركًا من الصفائح المعدنية والدروع الشبكية، من الواقيات والخوذ والزرد المعدني اللامع، حمل أحدها كرة حديدية مسننة على مقبض خشبي، وآخر مطرقة قتالية، وأوسطهم سيفًا مزدوج الطرف.

فجأة بدأ جاك يخطو نحوهم، أضاءت عيناه؛ وأخرج ريشة الغيتار أمامه، امتلأ وجهه بتوهج جيسون البراق..

تداخل مع نفسه للحظة، وتحول إلى جيسون؛ هنا بدت الريشة، التي كانت مجرد أداة، كأنها مشتعلة.

مع اقترابه من الفرسان الثلاثة، خلع أحدهم خوذته، كاشفًا عن وجه آخر من الوجوه العتيقة الباهتة.. مترهل كطبقات من الشحوم، وعنقه مزدان بأشرحة شمعية كشموع ذائبة، قذف خوذته نحوه فتجنّبها جيسون بسهولة، ثم عاد إلى جاك بينما تحطمت خوذة أخرى عن جدار مزخرف خلفه، ووقف امامه درع بلا رأس.

«تظن أن هذا يخيفني؟» فكّر بازدراء.. «لقد رأيت هذه الخدعة من قبل.. لن تخيفني، أنت لا تخيفني، وسأحصل على ما أريد، هذا كل شيء.»

هذه المرة لم يشعر فقط بأن الفندق يستمع؛ بل بدا وكأن كل ما حوله يتراجع، مثل أنسجة عضو هضمي تتقلص إثر قطعة لحم مسمومة...

في الطابق العلوي، حيث مات الفرسان الخمسة، انفجرت خمسة نوافذ كما لو كانت طلقات نارية... حدّق جاك في الدروع.

غنّت التعويذة من مكان ما فوقه بصوتها الواضح، المنتصر بعذوبة

«جيسون! إليّ!»

«هيا!» صرخ جاك إلى الدروع، وبدأ يضحك.. لم يستطع مقاومة ذلك.. لم يبدُ الضحك أبدًا بهذه القوة أو القدر أو المتعة... تدفق مثل ماء ينبوع، أو نهر عميق.

«هيا، أنا مستعد لكم! لا أعرف أي طاولة مستديرة مشوهة جئتم منها، لكن كان يجب أن تبقوا هناك! لقد ارتكبتم خطأ!»

ضحك أقوى من أي وقت مضى، لكنه عزم داخليًا كما ووتان على صخرة الفالكيري، فقفز جاك على الدرع المركزي بلا رأس.

«كان يجب أن تقتلوا كلا الأخوين إليس!» صرخ، وبينما مرت ريشة سبيدي في المنطقة الباردة حيث كان يجب أن يكون رأس الفارس، تفكك الدرع تمامًا.

3

في غرفة نومها بفندق قصر الحمراء، رفعت ليلي كافانو سوير رأسها فجأة عن الكتاب الذي كانت تقرؤه، خُيّل إليها أنها سمعت أحدًا!

لا، ليس أحدًا فحسب، بل جاك!

ينادي من عمق الممر المهجور، وربما حتى من الردهة.. أنصتت، وعيناها متسعتان، وشفتاها منطبقتان، وقلبها معلّق بالأمل... لكن لم يكن هناك شيء.. مازال جاكي غائبًا، والسرطان مازال ينهشها قضمة بعد أخرى، ولم يكن يفصلها عن الجرعة التالية من تلك الحبوب البنية الكبيرة التي كانت تُسكّن الألم قليلًا سوى ساعة ونصف.

صارت تفكر، على نحو متزايد، في أن تبتلع كل تلك الحبوب البنية دفعة واحدة.. ذلك لن يخفف الألم قليلًا هذه المرة، بل سينهيه إلى الأبد. يقولون إننا لا نستطيع شفاء السرطان، لكن لا تصدّقوا هذا الهراء، يا سيد «سي» جرّب أن تبتلع نحو درزّينتين من هذه.. ما رأيك؟ أترغب في التجربة؟

ما منعها عن الإقدام على ذلك هو جاك.. الذي تاقت لرؤيته من جديد، حتى إنها صارت تتخيّل صوته... ولم يكن مجرد خيال بسيط ساذج كأن ينادي اسمها فحسب، بل كأنه يقتبس جملة من أحد أفلامها القديمة.

«أنتِ عجوز مجنونة حقًا، يا ليلي»، تمتمت بصوت مبحوح،

وأشعلت سيجارة ‹هيربرت تازّيتون› بأصابع نحيلة مرتجفة، سحبت نفسين فقط ثم أطفأتها.. فكل ما يتبع النفسين يثير نوبات السعال هذه الأيام، والسعال يمزّقها تمزيقًا...

«عجوز مجنونة حقًا.»

تناولت كتابها من جديد، لكنها لم تستطع القراءة؛ انهمرت الدموع على وجهها، وآلمتها أحشاؤها، مزقتها، يا إلهي كم هي مؤلمة... رغبت في ابتلاع كل الحبوب البنية، لكنها أرادت أن تراه مرة أخرى أولًا، ابنها العزيز، بجبهته الصافية الوسيمة وعينيه اللامعتين.

غُد إلى البيت يا جاكي، فكرت، أرجوك عد سريعًا، وإلا فسأحدثك في المرة القادمة عبر لوح الويجا.. أرجوك يا جاك... أرجوك عد إلى البيت.

أغمضت عينيها، وحاولت أن تنام.

4

تأرجح الفارس الذي حمل الكرة المسننة لحظة أخرى، كاشفًا عن فراغه الأوسط، ثم انفجر هو الآخر... أما الفارس الأخير فرفع مطرقته القتالية... ثم تفكك ببساطة إلى كومة، وقف جاك وسط الحطام للحظة، مازال يضحك، ثم توقف وهو ينظر إلى ريشة سبيدي.

لقد تحوّلت إلى لون أصفر عميق وعتيق؛ وتشابكت الشقوق على سطحها كشبكة معقدة من الفواصل.

«لا بأس، يا جاك المسافر، واصل الطريق.. أظن أنّه قد يكون هناك واحد آخر من تلك العلب المتحركة من نوع ماكسويل هاوس(7) في مكان ما.. إذا وجدته، ستواجهه، أليس كذلك؟»

«إذا اضطررت لذلك، سأفعل»، تمتم جاك بصوت مسموع.

ركل جاك الواقي المعدني، والخوذة، ودرع الصدر جانبًا، ومر وسط القاعة، والموكيت يصر تحت حذائه الرياضي، وصل إلى الردهة ونظر حوله للحظة.

«جاك! إلي! جيسون! إلي!» غنت التعويذة.

بدأ جاك بالصعود على الدرج.. وفي منتصف الطريق، نظر إلى المصطبة فرأى آخر الفرسان، واقفًا وهو يحدق فيه من الأعلى، بدا ضخمًا، يزيد ارتفاعه على أحد عشر قدمًا؛ ودرعه

وريشه أسود، وسقط وهج أحمر شرير من فتحة العين في خوذته،

قبضت قبضة معدنية واحدة على مطرقة ضخمة.

تجمد جاك للحظة على الدرج، ثم استأنف صعوده.

5

لقد ادّخروا الأسوأ للنهاية، فكّر جاك، وبينما يتقدّم بثبات صعودًا نحو الفارس الأسود،

انزلق

واستحال

مرةً أخرى

إلى جيسون.

كان الفارس لا يزال يرتدي درعًا أسود، لكن من طرازٍ مختلف؛ فقد كانت خوذته مرفوعة قليلًا لتكشف عن وجهٍ مُحِيَت ملامحه تقريبًا بقروحٍ قديمة يابسة.. تعرّف جيسون عليها.. لقد اقترب هذا المسكين أكثر مما ينبغي من إحدى كرات النار المتدحرجة في «الأراضي المحترقة»... فكان هذا جزاءه.

مرّت به على الدرج شخصيات أخرى، لم يكد يراها بوضوح، فيما انزلقت أصابعه على درابزينٍ عريض لم يكن من ماهوغني جزر الهند الغربية، بل من خشب الحديد القادم من الأراضي.

رجال يرتدون سترات مزدوجة، وآخرون في قمصان من حريرٍ خشن، ونساء في فساتين واسعة الجرس، وقد أُزيحت أغطية الرؤوس البيضاء اللامعة عن شعورهن المصقولة

بعناية... كانوا جميلين، لكن محكوم عليهم بالهلاك... وهكذا، لعلّ الأشباح دائمًا ما بدت للأحياء.. وإلا فما الذي يجعل مجرد فكرة الأشباح باعثةً على هذا الرعب؟

«جيسون! إليّ!» غنّت التعويذة.

وفي تلك اللحظة بدا وكأن كل ما يفصل عوالم الوجود قد انهار؛ لم «ينقلب» هذه المرة، بل هوى عبر العوالم كما يهوي رجل عبر أرضيات متعفّنة في برج خشبي عتيق، طابقًا بعد طابق، ولم يشعر بأي خوف.. خطر له احتمال أن يعجز عن العودة.. أن يظلّ يسقط عبر سلسلة لا نهائية من العوالم، أو أن يضيع كما يضيع المرء في غابة عظيمة، لكنه نبذ هذه الفكرة فورًا.

كل ذلك كان يحدث لجيسون

(ولجاك)

في طرفة عين؛ في زمنٍ أقصر من الزمن الذي تستغرقه قدمه لتنتقل من درجة إلى أخرى على الدرج العريض...

كان سيعود؛ فهو ذو طبيعة واحدة، ولا يؤمن بأن من كان كذلك يمكن أن يضيع، لأن له موضعًا في كل هذه العوالم.

لكنني لا أوجد فيها كلها في آن واحد، يا جيسون...

(يا جاك)،

فكّر. «ذلك هو الفارق الجوهري.. أنا أومض عبر كل عالم

منها، ربما بسرعة أكبر من أن تُرى، وأخلّف خلفي صوتًا كتصفيقٍ حاد أو كدويّ انفجارٍ صوتي، حين ينغلق الهواء على الفراغ الذي شغلته لجزءٍ من الألف من الثانية.»

في كثيرٍ من تلك العوالم، كان الفندق الأسود مجرد أطلال سوداء... عوالم، أدرك على نحوٍ خافت، كان فيها الشر العظيم الذي يهدّد الحبل المشدود بين كاليفورنيا والأراضي قد وقع بالفعل.

في أحدها كان البحر الذي يزمجر عند الشاطئ أخضرَ ميتًا عليلًا، والسماء كذلك بدت مصابة بغرغرينا كونية.

وفي عالمٍ آخر رأى مخلوقًا طائرًا بحجم عربة ‹كونستوغا› يضمّ جناحيه ويهوى نحو الأرض كالصقر، ثم ينقض على مخلوقٍ يشبه الخروف ويصعد به مجددًا، وقد تدلّت من منقاره أفخاذٌ دموية.

انقلاب... انقلاب... انقلاب.

كانت العوالم تمرّ أمام عينيه كأوراق لعبٍ يخلطها مقامر على متن قارب نهري.

ها هو الفندق مجددًا، وهناك فوقه ستة تجلياتٍ مختلفة للفارس الأسود، لكن القصد في كلٍّ منها كان واحدًا، والاختلافات لا تُذكر، كما هي اختلافات طرازات السيارات المتنافسة.

وها هي خيمة سوداء تمتلئ برائحة قماشٍ متعفّن جاف،

وقد تمزّقت في مواضع كثيرة حتى نفذت الشمس من خلالها في أشعة متقاطعة مغبرة...

في هذا العالم كان جاك/جيسون على نوعٍ من حبال الرفع، وكان الفارس الأسود واقفًا داخل سلةٍ خشبية كعشّ غربان، وكلما صعد، انقلب مرة أخرى... ثم أخرى... ثم أخرى.

هنا اشتعل المحيط كلّه.

وهنا كان الفندق شبيهًا بما هو عليه في ‹بوينت فينوتي›، إلا أنه غرق في البحر حتى منتصفه.

ولبرهة بدا وكأنه داخل مصعد، يقف الفارس فوقه ويلتمع نظره عبر بابٍ علوي صغير.

ثم صار على منحدرٍ تحرس قمّته أفعى هائلة، جسدها الطويل القوي مكسوّ بحراشف سوداء لامعة.

ومتى أصل إلى نهاية كل شيء؟ متى أكفّ عن التمزق عبر الأرضيات، وأندفع دفعة واحدة لأصطدم بالسواد نفسه؟

«جاك! جيسون!» نادَت التعويذة، وكانت تنادي في كل العوالم

«إليّ!»

فجاءها جاك... وكان مجيئه كعودةٍ إلى الوطن.

6

كان محقًا فيما رأى؛ لم يكن قد صعد سوى درجة واحدة، لكن الواقع قد تصلّب من جديد... الفارس الأسود... فارسه الأسود، فارس جاك سوير الأسود... وقف يسدّ الدرج، ورفع صولجانه.

خاف جاك، لكنه واصل الصعود، ومعول سبيدي ممتدًا أمامه.

قال جاك

«لن أعبث معك.. من الأفضل لك أن تبتعد عن طريقي»

لكن الكيان الأسود هوى بالصولجان.. بضربة لا تُصدّق في عنفها.. انحرف جاك جانبًا في اللحظة الأخيرة، فارتطم الصولجان بالدرجة التي كان يقف عليها، وحطم الدرجة بأكملها حتى انفتحت على تجويف أسود يسكنه الفراغ...

انتزع الفارس الصولجان من موضعه، اندفع جاك صاعدًا درجتين أخريين، ومازال متشبثًا بمعول سبيدي بين إبهامه وسبابته... وفجأة تفتّت المعول ببساطة، متحوّلًا إلى مطرٍ صغير من شظايا عاجٍ مصفرٍّ كقشرة البيض!

تناثر معظمها على مقدمة حذائه الرياضي.. حدّق فيها ببلادة.

تردد صدى ضحكة ميتة.

كان الصولجان، ولم تزل شظايا الخشب وقطع من البساطِ القديمِ الرطب عالقة به، مرفوعًا بين قبضتي الفارس المدرّعتين...

اخترقت نظرةٌ حامية صادرة من شقّ خوذته وجهَ جاك المرفوع، كأنها قطعت دمه في خطٍّ أفقي فوق جسر أنفه.

ثم عاد صوت الضحك المكتوم... لا يُسمَع بالأذن بل يتردد داخل رأسه، فقد علم جاك أن هذا الدرع أجوف كغيره، ليس إلا غلافًا فولاذيًا لروحٍ ميتة...

«لقد خسرتَ أيها الصبي... أكنتَ تظن حقًّا أن ذلك الشيء الضئيل سيُمكّنك من الإفلات مني؟»

هوى الصولجان مرة أخرى، هذه المرة في ضربة مائلة، انتزع جاك عينيه من ذلك الوهج الأحمر في اللحظة التي انحنى فيها، شاعِرًا برأس الصولجان يمرّ عبر الطبقة العليا من شعره الطويل قبل أن يقتلع أربعة أقدام من الدرابزين ويرسله محمولًا في الفضاء.

صدر صريرٌ معدنيٌ جاف حين انحنى الفارس نحوه، وقد مالت خوذته في حركة بدت على نحوٍ مريض مزيج من السخريةً والشفقة، ثم عاد الصولجان إلى الخلف وارتفع لأعلى استعدادًا لضربة أخرى من تلك الضربات المهيبة.

«يا جاك، ما كنتَ بحاجة إلى عصيرٍ سحري لتنتقل، ولا أنت بحاجة إلى معولٍ سحري لتفتح صفيحة القهوة تلك، كذلك!»

انطلق الصولجان عبر الهواء مرة أخرى مصفّرًا بشدة، تراجع جاك متقوّسًا إلى الخلف، وقد صرخ نسيج عضلات كتفيه ألمًا حين شدّ نفسه حول العقوب التي خلّفتها القفازات ذات الأشواك.

مرّ الصولجان على بُعد أقل من بوصة من جلد صدره، ثم تجاوزه ليحصد صفًا من درابزينات الماهوغني الغليظة كما لو إنها محض أعواد أسنان!

ترنّح جاك فوق الفراغ، شاعِرًا بسخفٍ عبثيّ يشبه ما في أفلام باستر كيتون.. حاول أن يتشبّث بأنقاض الدرابزين المحطمة على يساره، فلم ينل سوى شظايا غاصت تحت ظفرين من أصابعه.. احتد الألم وسرى بجسده كتيار كهربائي، حتى ظنّ لحظة أن مقلتي عينيه ستنفجران من شدّته.. ثم أفلح بيمناه في انتزاع قبضةٍ ثابتة، فاستعاد توازنه وابتعد عن الحافة.

«كلُّ السحر في داخلك أنت، يا جاك! ألم تدرك ذلك حتى الآن؟»

ظلّ واقفًا لحظة يلهث، ثم استأنف الصعود، محدّقًا في ذلك الوجه الحديدي الأجوف فوقه.

قال بصوت ثابت

«انصرف من هنا يا سير جاوين.»

مالت الخوذة الضخمة مرة أخرى بتلك الإيماءة الرقيقة

الغريبة، كأنها تقول بسخرية مقيتة «عفوًا يا فتى... أحقًّا تخاطبني؟»

ثم هوى الصولجان من جديد.

وربما لأن الخوف مازال يعميه، لم يلحظ جاك حتى تلك اللحظة بطءَ استعداد الفارس لهذه الضربات، وكيف كان يعلن مسار كل ضربة مهيبة بوضوحٍ فاضح.. «لعلّ مفاصله قد صدِئت»، فكّر.. وعلى أي حال، بات من السهل عليه الآن أن يندفع إلى داخل دائرة الضربة بعد أن استعاد صفاء رأسه.

وقف على أطراف أصابعه، ومدّ يديه وأمسك بالخوذة السوداء بكلتيهما.. كان المعدن دافئًا على نحوٍ مَرَضيّ كجلدٍ قاسٍ محتقن بالحُمّى.

تمتم بنبرة منخفضة هادئة..

«اخرج من جلد هذا العالم.. باسمها آمرك.»

فانطفأ الضوء الأحمر في الخوذة كما تنطفئ شمعة داخل قرعٍ منقور، وفجأة أصبح وزن الخوذة خمسة عشر رطلاً على الأقل كاملًا بين يدي جاك، إذ لم يعد ثمة ما يحملها؛ فقد انهار الدرع كاملاً تحتها.

قال جاك

«كان ينبغي لك أن تقتل الأخوين إليس معًا.»

ثم قذف الخوذة الفارغة عبر السدّة، ارتطمت بالأرض في

الأسفل ارتطامًا صلبًا، وتدحرجت بعيدًا كلعبة، بدا الفندق كمن ينكمش رعبًا.

استدار جاك نحو الممر العريض في الطابق الثاني، وهناك، أخيرًا، تجلى النور.. نورًا نقيًا صافيا، كنور ذلك اليوم الذي رأى فيه الرجال الطائرين في السماء.

انتهى الممر ببابين مزدوجين مغلقين، وتسلل النور من أعلاهما وأسفلهما، ومن الشقّ العمودي حيث التحم مصراعيهما، كان كافيًا ليخبره أن الضوء في الداخل شديد الإشراق...

تاق بشدّة لرؤية ذلك النور، ولمعرفة مصدره؛ فقد قطع مسافة طويلة ليبلغ إليه، عبر ظلمات مريرة.

كان البابان ثقيلين، حُفرت على سطحهما وأعلاهما زخارف دقيقة.، بأوراق من الذهب تقشّر بعضها غير أن الكلمات ظلّت مقروءة بوضوح تام، كُتب

(قاعة رقص الأراضي)

قال جاك سوير بصوتٍ وديع مبهور وهو يدخل في ذلك الوهج..

«مرحبًا يا أمّي.»

أضاءت السعادة قلبه... كمن يتزحلق على قوس قزح، يغوص بداخله، ينغمس ببهجته كليًا...

«مرحبًا يا أمّي... أظنّني وصلت، أظنّ حقًّا أنني وصلت.»

وبخشوعٍ ورهبة، أمسك جاك بمقبضٍ في كل يد، ودفعهما، فانفتح البابين، ومع انفتاحهما انسكب شريط مٌتسع من نورٍ أبيض نقيّ على وجهه المرفوع المندهش.

7

صادف أن كان جاردنر المنير يطل إلى الخلف نحو الشاطئ في اللحظة نفسها التي قضى فيها جاك على آخر فرسان الحماية الخمسة.

سمع دويًا خافتًا، كأن شحنة صغيرة من الديناميت انفجرت في مكان ما داخل الفندق، وفي اللحظة نفسها، ارتجت نوافذ الطابق الثاني وبزغ من أجينكور نورًا ساطعًا، وتوقفت جميع الرموز النحاسية المنحوتة الأقمار والنجوم والكواكب الصغيرة والأسهم الغريبة المعوجة عن الدوران في آن واحد.

كان جاردنر متجهمًا كالشرطي التابع لفريق التدخل السريع في لوس أنجلوس، مرتديًا سترة واقية منتفخة سوداء فوق قميصه الأبيض، وحاملًا جهاز راديو على حزام قماشي على كتفه، يتأرجح مع كل حركةوعلى كتفه الآخر كانت بندقية صيد من طراز 360. Weatherbee، ضخمة الحجم حتى تكاد تضاهي مدفعًا مضادًا للطائرات، بحيث من الممكن أن يحسده عليها روبرت روارك(8) نفسه! اشترى جاردنر البندقية قبل ست سنوات، بعد أن أُجبر على التخلص من بندقية صيده القديمة، وقد صُنع غلاف البندقية من جلد حمار الوحش الأصلي حيث وضعه في صندوق سيارة كاديلاك سوداء، إلى جانب جثة ابنه.

«مورغان!»

لم يلتفت مورغان.. كان واقفًا خلف مجموعة من الصخور المائلة، ويميل معها قليلًا نحو اليسار، كأنها أنياب سوداء تخرج من الرمال.. وعلى بعد ستة أمتار تقريبًا خلف تلك الصخور، وعلى ارتفاع متر ونصف فوق مستوى المد العالي، كان سبيدي باركر، المعروف باسم باركوس، مستلقيًا على وجهه على الشاطئ، جمجمة مغطاة بالقروح الصديدية، والدم يسيل بكسل من أذنيه.

أراد مورغان أن يصدق أن باركر مازال حيًا، مازال يعاني، لكن آخر حركة صعود وهبوط لظهره كانت فور وصوله وجاردنر إلى هذه الصخور قبل خمس دقائق تقريبًا.

عندما نادى جاردنر، لم يلتفت مورغان لأنه كان مأخوذًا بدراسة عدوه القديم، الساقط الآن.. من كان يظن أن الانتقام حلوًا، قد أخطأ خطأ فادحًا.

«مورغان!» همس جاردنر مرة أخرى.

التفت مورغان هذه المرة، عابسًا... «ماذا هناك؟»

«انظر! سقف الفندق!»

رأى مورغان أن جميع الدوارات والزخارف النحاسية على السقف، التي كانت تدور بنفس السرعة سواء سكنت الريح أو هاجت كإعصار قد توقفت، وفي نفس اللحظة ارتجت الأرض تحت أقدامهم للحظة ثم هدأت، كما لو أن وحشًا هائلًا جوفيًا قد استيقظ من سباته وهز جسده، لولا اتساع عيني جاردنر

الداميتين لظن أنه يتخيل.. أراهن أنك تتمنى لو لم تغادر إنديانا، أليس كذلك؟ لا زلازل في إنديانا، أليس كذلك؟

وميض الضوء الساكن تكرر مندفعًا عبر جميع نوافذ أجينكور.

«ماذا يعني هذا، مورغان؟» سأل جاردنر بخشونة.. لقد هدأ جنونه لأول مرة منذ فقد ابنه، وحلّت الخشية محل الغضب.. رأى مورغان ذلك، وكان ذلك مزعجًا، لكنه اعتقد أنه بإمكانه إعادة جاردنر إلى جنونه السابق إذا اقتضى الأمر.

لقد كره مورغان إضاعة الطاقة على أي شيء لا يسهم مباشرة في القضاء على جاك سوير، الذي بدأ كأذى صغير وأضحى المشكلة الأكبر في حياة سلوت.

صرخ جهاز جاردنر عبر الراديو.

«قائد الفرقة الحمراء أربعة إلى رجل الشمس! هل تسمع، رجل الشمس؟»

«رجل الشمس هنا، قائد الفرقة الحمراء أربعة»، أجاب جاردنر بسرعة. «ما الأمر؟»

تلقى جاردنر بعد ذلك أربع تقارير متتابعة، حماسية ومكررة، كلها متطابقة.. وميض الضوء، توقف الدوارات، شيء أشبه بزلزال أو ارتجاج أرضي أولي، لكنه أخذ كل تقرير على محمل الجد، سأل، كرر «إعادة!» أو «مفهوم!» أحيانًا تدخل «كرر ما قلت!»

الفرسان الحارسون قد ماتوا أو أصبحوا عاجزين.. لهذا توقفت الدوارات، وهذا ما يعنيه وميض الضوء.. جاك لم يمتلك التميمة بعد... وإذا حصل عليها، لاهتزت الأمور في بوينت فينوتي بجد.. وأعتقد سلوت الآن أن جاك سيحصل عليها... كما قدر له، لم يخفه هذا...

وضع يده على المفتاح المعلق حول عنقه.

جاردنر نفد صبره من «أوفَر» و«روجر» و«عشرة-أربعة»، وأعاد حزام الراديو على كتفه، متطلعًا إلى مورغان بعينين واسعتين خائفتين... قبل أن ينطق، وضع مورغان يديه برفق على كتفي جاردنر، لو كان قادرًا على الشعور بالحب لأي شخص غير ابنه الميت، لشعر بحب ملتوي، بلا شك، لهذا الرجل.. كانا مرتبطين منذ زمن بعيد، كمورغان أفريس وأوزموند، ومورغان سلوت وجاردنر المنير.

كانت بندقية مماثلة لتلك التي على كتف جاردنر هي التي أطلق بها النار على فيل سوير في يوتا.

قال مورغان بهدوء «انصت، جارد.. سننتصر.»

همس جاردنر «هل أنت متأكد؟ أعتقد أنه قتل الحراس، مورغان... أعلم أن هذا يبدو جنونًا، لكن...» توقف، ارتعش فمه، ورفَّت شفتاه ببريق لعاب خفيف.

كرر مورغان بنفس الصوت الهادئ «سننتصر»، وقد عنى ذلك بصدق... تجلى شعوره بالقدرية، بعد انتظار طويل

لسنوات، وعزم ثابت لم يتزعزع... جاك سيخرج بالتعويذة بين ذراعيه.. شيء هائل القوة... لكنه هشّ.

نظر إلى بندقية Weatherbee المزودة بالمنظار، ثم لمس المفتاح الذي يستدعي البرق.

قال مورغان «نحن مجهزون جيدًا لمواجهته حين يخرج... في أي عالم.. طالما تحافظ على شجاعتك، جارد.. طالما تقف بجانبي.»

تماسك جاردنر قليلًا.. «مورغان، سأفعل... بالطبع سأفعل...»

قال مورغان بهدوء «تذكر من قتل ابنك.»

في اللحظة نفسها التي غرَس فيها جاك سوير العملة المشتعلة في جبهة وحش في الأراضي، أصيب ريويل جاردنر بنوبة صرع عنيفة في الجزء الخلفي من كاديلاك يقودها ولف على الطريق السريع من إلينوي إلى كاليفورنيا، وتوفي، وقد استحال لونه للأرجواني إثر الاختناق، بين ذراعي جاردنر المنير.

«تذكر»، كرر مورغان بهدوء.

همس جاردنر «سيئ... كل الأولاد.. بديهي.. ذلك الفتى بالذات.»

وافق مورغان «صحيح! تمسك بهذه الفكرة! يمكننا إيقافه، لكن أريد التأكد تمامًا أنه لن يخرج من الفندق إلا على اليابسة.»

قاد مورغان جاردنر نحو الصخرة حيث كان يراقب باركر، لاحظ أن الذباب.. ذباب أبيض منتفخ.. بدأ يستقر على جسد باركر الميت.. وكان ذلك جيدًا تمامًا بالنسبة له.

أشار نحو الرصيف.. «الطوف هناك... يبدو كالحصان، الله يعلم لماذا.. في الظلال.. لكنك دائمًا كنت صائدًا بارعًا.. إذا استطعت إصابته، جارد، ضع بعض الطلقات فيه.. أغرق هذا الشيء اللعين.»

خفض جاردنر البندقية، وتفحص المنظار، لف لفافة فوهة البندقية ذهابًا وإيابًا لمدة دقيقة.

«أراه»، همس جاردنر بفرح، وأطلق النار، وارتد صدى الطلقات فوق المياه، ثم أعاد إطلاق النار مرة ثانية، وثالثة.

قال «أصبته»، وخفض البندقية، واستعاد شجاعته وابتسامته كما كان عند عودته من مهمته في يوتا..

عرض البندقية على سلوت..

«لا»، قال سلوت.. «إذا قلت أنك أصبت الهدف، فأنت أصبت الهدف.. الآن عليه أن يخرج على اليابسة، ونحن نعرف اتجاهه.. أظن أنه سيحمل ما عرقل طريقنا طوال هذه السنوات.»

نظر جاردنر إليه، بعيون لامعة..

أشار سلوت إلى الممر القديم «أقترح أن نتحرك هناك.»

8

تحرك جاك ببطء، ممتلئًا بالدهشة، عبر أرضية القاعة الخشبية، رافعًا بصره إلى الأعلى، وعيناه تتلألأان ببريق الفرح... غُمر وجهه بضوء أبيض صافٍ، ضوء يحتوي كل الألوان.. ألوان شروق الشمس، وألوان الغروب، وألوان قوس قزح، عُلقت التعويذة في الهواء عالياً فوقه، ودارت ببطء.

كانت كرة بلورية، قطرها ربما ثلاثة أقدام، وهالة نورها المتوهج ساطعة جدًا بحيث استحال تحديد حجمها بدقة.. خطوط منحنية بأناقة سرت على سطحها، كخطوط الطول والعرض... ولم لا؟ فكّر جاك، ومازال غارقًا في سبات من الدهشة والإعجاب.. إنها العالم... كل العوالم... ضُغطت في كيان واحد.. بل أكثر؛ إنها محور كل العوالم الممكنة.

أخذت تغني، وتدور، وتتوهج.

وقف تحتها، غارقًا في دفئها وإحساسه الواضح بقوتها الطيبة، كأنه يقف داخل حلم، شاعرًا بهذه القوة تتدفق داخله مثل مطر الربيع الصافي الذي يوقظ القوة الخفية في مليار بذرة صغيرة.. اجتاحته فرحة رهيبة، تألقت في وعيه كصاروخ، فرفع جاك سوير كلا يديه فوق وجهه المرفوع، ضاحكًا... استجابةً لتلك الفرحة وتقليدًا لسموّها.

«تعال إليّ إذن!» صاح،

وانزلق

(عبر؟ عبر...)

إلى

جيسون..

«تعال إليّ إذن!» صاح مرة أخرى بلغة الأراضي السائلة الحلوة، الناعمة قليلًا... صرخ ضاحكًا، ولكن الدموع سالت على وجنتيه.. وفهم أن الرحلة بدأت مع ذلك الفتى الآخر، ولذا يجب أن تنتهي معه؛ فترك نفسه وانزلق

مرة أخرى

إلى

جاك سوير.

فوقه، ارتجفت التعويذة في الهواء، تدور ببطء، تنثر الضوء والحرارة وإحساسًا بالخير الحقيقي، بالنقاء.

«تعال إليّ!»

بدأت تنحدر عبر الهواء.

9

بعد أسابيع طويلة من المغامرات الشاقة، ومن الظلام واليأس؛ بعد أصدقاء وُجدوا وأصدقاء فُقدوا مجددًا؛ بعد أيام من الكدّ، وليالٍ نام فيها بين أكوام القش الرطبة؛ بعد مواجهة شياطين الأماكن المظلمة.. ومن بينهم من سكن شقّ روحه.. بعد كل تلع الأمور، أتت التعويذة إلى جاك سوير بهذه الطريقة

راقبها وهي تنحدر، ومع أنه لم يشعر برغبة في الهرب، انتابه شعور هائل بأن العوالم على المحك، عوالم تتأرجح في الميزان.

هل كان جزءه من جيسون حقيقيًا؟ لقد قُتل ابن الملكة لورا؛ كان شبحًا أقسم أهل الأراضي باسمه.. ومع ذلك، قرر جاك أنه حقيقي.. لقد فعلتها رحلة جاك للحصول على التعويذة الرحلة التي كان من المفترض أن يخضها جيسون... جعلت جيسون يعيش مرة أخرى لفترة قصيرة؛ كان لجاك توينر، على الأقل من نوع ما.. إذا كان جيسون شبحًا، كما كان الفرسان أشباحًا، فقد يختفي عند ملامسة الكرة المتوهجة الدوّارة لأصابعه الممدودة.. كان جاك سيعيد قتله مرة أخرى.

«لا تقلق، يا جاك»، همس صوت، دافئ وصافي.

نزلت التعويذة، تلك الكرة العالمية، التي حوت كل العوالم...

كانت مجدًا ودفئًا، كانت خيرًا، كانت عودة النقاء... وكما هو الحال دائمًا مع النقاء، ويجب أن يكون، كانت هشة بشكل

مروع.

أثناء نزولها، تداعت العوالم حول رأسه.. لم يبدو وكأنه يخترق طبقات الواقع، بل راى كونًا كاملًا من العوالم، جميعها متداخلة، مرتبطة كدرع من سلاسل الواقع.

«تمدد لتمسك بعالم من العوالم، كون الخير، جاك...» كان هذا صوت أبيه. «لا تُسقطه، يا بني.. من أجل جيسون، لا تُسقطه.»

عوالم فوق عوالم، بعضها بديع، وبعضها جحيمي، جميعها أضاءت للحظة بضوء أبيض دافئ صادر عن هذا النجم الذي كان كرة بلورية محفورة بخطوط دقيقة.. نزلت ببطء عبر الهواء نحو أصابع جاك المرتعشة الممدودة.

«تعال إليّ!» صاح بها كما غنّت له. «تعال إليّ الآن!»

ها هي الكرة على بعد ثلاثة أقدام فوق يديه، تحرقهما بحرارتها الناعمة المداوية؛ الآن على بعد قدمين؛ الآن قدم واحدة... توقفت للحظة، دارت ببطء، ومحورها مائل قليلًا، ورأى جاك الخطوط المتلألئة المتحركة للقارات والمحيطات والقبعات الجليدية على سطحها.. توقفت... ثم انزلقت ببطء إلى يدي الفتى الممدودتين.

الفصل الثالث والأربعون

أخبار من كل مكان

1

جلست ليلي كافانو، التي كانت قد غرقت في سبات متقطع بعد أن تخيّلت صوت جاك في مكان ما أسفلها، فجأة منتصبة على سريرها. ولأول مرة منذ أسابيع، امتلأت وجنتاها الشاحبتان باللون الزاهي، تألقت عينها بأمل جامح.

«جيسون؟» تنفست، ثم عبست؛ فذلك لم يكن اسم ابنها . لكن في الحلم الذي أيقظها فجأة كانت لها ابن يحمل هذا الاسم، وفي ذلك الحلم كانت شخصًا آخر.. إنه الدواء سبب ذلك بالطبع؛ فقد شوه أحلامها كما شاء.

«جاك؟» نادت مرة أخرى.. «جاك، أين أنت؟»

لا إجابة... لكنها شعرت به، وعرفت يقينًا أنه حي.. ولأول مرة منذ وقت طويل.. ستة أشهر ربما.. شعرت بالراحة حقًا.

«جاكي»، قالت، وأمسكت بسجائرها، نظرت إليها لحظة ثم أطلقتها جميعًا عبر الغرفة، لتسقط في الموقد فوق بقية القمامة التي نوت حرقها في وقت لاحق خلال اليوم.. «أظن أنني أقلعت عن التدخين للمرة الثانية والأخيرة في حياتي، جاكي»، قالت.. «اصبر يا صغير.. أمك تحبك.»

ووجدت نفسها بلا سبب تبتسم ابتسامة واسعة بلهاء.

2

دوني كيجان، الذي عمل في المطبخ في دار نور الشمس حين فرّ ولف من الصندوق، نجا من تلك الليلة الرهيبة، أما جورج إروينسون، الرجل الذي عمل معه، فلم يحالفه الحظ.. والآن كان دوني في دار أيتام أكثر تقليدية في مانسي، إنديانا، على عكس بعض الأولاد الآخرين في دار نور الشمس، كان دوني يتيمًا حقيقيًا؛ لقد احتاج جاردنر إلى أخذ بضعة أطفال فقط لتلبية متطلبات الدولة.

الآن، وهو يمسح رواقًا مظلمًا في الطابق العلوي في سباتٍ خافت، نظر دوني إلى الأعلى فجأة، واتسعت عيناه الملطخة بالطين.. في الخارج، السحب التي تناثرت منها ثلوج خفيفة فوق الحقول المستنزفة في ديسمبر انفتحت فجأة من الغرب، مطلقة شعاعًا واسعًا واحدًا من الشمس، شعاعًا رهيبًا ومهيبًا في جماله المنعزل.

«أنت محق، أنا أحبّه فعلًا!» صاح دوني بانتصار. كان فريد جانكلو هو من يوجه إليه دوني صوته، رغم أن دوني، الذي لديه الكثير من الألعاب في غليته لتستوعب عقولًا كثيرة، قد نسي اسمه بالفعل.. «إنه جميل، وأنا أحبه فعلًا!»

ضحك دوني ضحكته الغبية، لكن حتى ضحكته صارت تقريبًا جميلة.. اقترب بعض الأولاد الآخرون من أبوابهم وحدقوا فيه بدهشة.. غمر وجهه ضوء الشمس من ذلك

الشعاع الواحد الواضح والفاني، وسيقسم أحد الأولاد لاحقًا إلى صديق مقرب في تلك الليلة أن دوني كيجان بدا للحظة وكأنه المسيح.

مرّت اللحظة؛ تحركت الغيوم فوق ذلك المكان الغريب الواضح في السماء، وبحلول المساء اشتدت الثلوج لتصبح أول عاصفة شتوية كبيرة في الموسم.. لقد عرف دوني للحظةً وجيزة فقط ما يعنيه ذلك الشعور بالحب والانتصار فعلًا.. مضى سريعًا، كما تفعل الأحلام عند الاستيقاظ... لكنه لم ينسَ شعوره أبدًا؛ ذلك الإحساس الذي يكاد يثقل كالجلال، الإحساس بالنعمة المحققة أخيرًا، الموفّاة بدل أن تُوعد ثم تُنكر؛ ذلك الإحساس بالصفاء والحب الحلو الرائع؛ ذلك الإحساس بالنشوة عند عودة النقاء مرة أخرى.

3

القاضي فيرتشايلد، الذي كان قد أرسل جاك وولف إلى دار نور الشمس، لم يعد قاضيًا من أي نوع، وبمجرد أن تنفد آخر استئنافاته سيتجه إلى السجن.. لم يعد ثمة شك في أن السجن هو المصير الذي سيؤول إليه، وأنه سيقضي فيه عقوبة شاقة، وربما لن يخرج منه أبدًا...

كان رجلًا مسنًا، وصحته ليست على ما يرام، لو أنهم لم يعثروا على تلك الجثث اللعينة...

ظل، في حدود ما تسمح به الظروف، محافظًا على قدر من التماسك والمرح المصطنع، لكنّه الآن، وهو جالس في مكتبه بالمنزل ينظف أظافره السميكة بنصل سكين جيبه الطويل، اجتاحته فجأة موجة رمادية عاتية من الاكتئاب.. سحب السكين عن أظافره فجأة، ونظر إليه متأملًا لحظة، ثم أدخل طرف النصل في منخره الأيمن، أبقاه هناك لحظة، ثم همس.. «تبًا... ولم لا؟» عندها رفع قبضته فجأة إلى أعلى، فانطلق النصل، بطول ست بوصات، في رحلة قصيرة قاتلة، مغروسًا أولًا في جيوبه الأنفية، ثم في دماغه.

4

جلس سموكي أبدايك في كابينة بحانة أوتلي تاب، يراجع الفواتير ويجمع الأرقام على آلة حاسبه من طراز تكساس إنسترومنتس، كما كان يفعل يوم التقى بجاك.. إلا أن الوقت الآن في بداية المساء، ولوري تخدم أول زبائن المساء، وآلة الجوكبكس تعزف أغنية «أفضل أن أضع زجاجة أمامي (من أن أخضع لجراحة دماغية)».

لحظة كان كل شيء طبيعيًا، وفي اللحظة التالية، جلس سموكي منتصبًا فجأة، وطارت قبعة الورق الصغيرة عن رأسه إلى الخلف، أمسك بقميصه الأبيض على الجانب الأيسر من صدره، حيث ضربته موجة ألم قوية كالوتد الفضي. «الله يطرق مساميره»، لقال وولف ذلك..

وفي الوقت ذاته، انفجرت الشواية فجأة في الهواء مع دوي عالٍ، اصطدمت بلوحة العرض الإعلانية لشركة بوش ومزقتها من السقف، سقطت بصوت تحطم مدوٍ.. وانتشر فورًا عبق غني من غاز البروبان في الخلفية خلف البار، صرخت لوري،

تسارعت آلة الجوكبكس.. 45 دورة في الدقيقة، 78، 150، 400! وتحول أنين المرأة الهزلي الجاد إلى هرطقة سريعة لسناجب مجنونة على مزلجة صاروخية! وبعد لحظة، انفجر غطاء الجهاز العلوي، تطاير الزجاج الملون في كل مكان.

نظر سموكي إلى آلته الحاسبه فرأى كلمة واحدة تومض في

شاشتها الحمراء

التعويذة.. التعويذة.. التعويذة.....

ثم انفجرت عيناه.

«لوري، أطفئي الغازا!» صرخ أحد الزبائن.. نزل عن مقعده واستدار نحو سموكي. «سموكي، أخبرها...» صرخ الرجل مرعوبًا وهو يرى الدم يتدفق من الفتحات التي سكنت فيها يومًا عينا سموكي أبدايك.

وبعد لحظة، انفجر مقهى أوتلي تاب بالكامل، وقبل أن تصل سيارات الإطفاء من دوغتاون وإلميرا، كان اللهيب قد التهم معظم وسط المدينة.

ليست خسارة عظيمة، يا أطفال، هلا تقولون آمين؟

5

في مدرسة ثاير، حيث سادت الألفة كما كانت دائمًا (باستثناء لحظة قصيرة يتذكرها من في الحرم الجامعي على أنها مجرد سلسلة أحلام غامضة ومرتبطة ببعضها)، بدأت آخر الحصص الدراسية في اليوم للتو، ما كان ثلجًا خفيفًا في إنديانا كان مجرد رذاذ بارد هنا في إلينوي، جلس الطلاب حالمين ومفكرين ومتأملين في صفوفهم.

فجأة، بدأت أجراس الكنيسة تدق.. ارتفعت الرؤوس، واتسعت العيون... في أرجاء حرم ثاير، بدا أن الأحلام الباهتة تتجدد فجأة.

6

جلس إيثريدج في صف الرياضيات المتقدمة يداعب قضيبه المنتصب بينما يحدق دون أن ينتبه إلى اللوغاريتمات التي كدسها السيد هانكينز العجوز على السبورة، مفكرًا في نادلة المدينة الصغيرة اللطيفة التي سيضاجعها لاحقًا...

والتي فضلت ارتداء الجوارب المثبتة بأحزمة على الجوارب الطويلة، ورغبت بشدة في ترك جواربها أثناء ممارسة الجنس...

الآن حدق إيثريدج في النوافذ، ناسيًا انتصابه، ناسيًا النادلة بساقيها الطويلتين وجواربها النايلون الناعمة، فجأة، وبدون سبب على الإطلاق، احتل سلوت ذهنه.. ريتشارد سلوت الصغير المتأنق، الذي كان من المفترض أن يُصنف بأمان على أنه جبان ولكنه لم يكن كذلك بطريقة ما! فكر في سلوت وتساءل عما إذا كان على ما يرام، بطريقة ما، ظنّ أن سلوت، الذي غادر المدرسة دون عذر قبل أربعة أيام وانقطعت أخباره منذ ذلك الحين، ربما لم يكن على ما يرام.

في مكتب المدير، جلس السيد دوفري يناقش طرد صبي يُدعى جورج هاتفيلد لغشّه مع والده الغاضب والثري عندما بدأت الأجراس تُصدر رنينًا خفيفًا غير مُجدول، عندما انتهى، وجد السيد دوفري نفسه جاثيًا على يديه وركبتيه، وشعره الرمادي مُتدلٍّ على عينيه ولسانه مُتدلٍّ على شفتيه، هاتفيلد

الأكبر واقفًا عند الباب مُتألمًا منه، في الواقع.. اتسعت عيناه وتدلى فكّه، وقد نسي غضبه في دهشة وخوف.. إثر زحف السيد دوفري على سجادته وينبح كالكلب.

كان ألبرت الضخم قد بدأ للتو بتناول وجبة خفيفة عندما بدأت الأجراس تُدق.. نظر نحو النافذة للحظة، عابسًا كما يعبس المرء عندما يحاول تذكر شيء على طرف لسانه.. هز كتفيه بلا مبالاة وعاد لفتح كيس رقائق ناتشو فقد أرسلت له والدته للتو علبة كاملة، اتسعت عيناه.. ظن للحظة، لكنها كانت كافية أن الكيس مليء بحشرات بيضاء سمينة تتلوى.

أغمي عليه تمامًا...

عندما استيقظ واستجمع شجاعته لينظر داخل الكيس مرة أخرى، أدرك أنه لم يكن سوى هلوسة.. بالطبع! ماذا أيضًا؟ على أي حال، إنها هلوسة تمارس عليه سلطة غريبة في المستقبل؛ كلما فتح كيس رقائق، أو قطعة حلوى، أو شوكولاتة سليم جيم، أو علبة لحم بقري مقدد بيج جيرك، رأى تلك الحشرات في مخيلته، بحلول الربيع، فقد ألبرت خمسة وثلاثين رطلاً، ولعب في فريق ثاير للتنس، ومارس الجنس..

صار ألبرت في حالة من النشوة... ولأول مرة في حياته، شعر أنه قد ينجو من حب أمه.

7

نظر الجميع حولهم عندما بدأت الأجراس تدق.. ضحك بعضهم، عبس آخرون، وانهمر عدد قليل بالبكاء.. نبح زوج من الكلاب من مكان ما، وكان ذلك أمرًا غريبًا للغاية، إذ لم يُسمح للكلاب أصلاً في الحرم الجامعي.

اللحن الذي دقَّت عليه الأجراس لم يكن مدرجًا في جدول الألحان المبرمجووقد تأكد من ذلك لاحقًا كبير العاملين المستائين، واقترح أحد المرحّين في العدد الأسبوعي من صحيفة المدرسة أن يكون بعض المتحمسين قد برمجوا اللحن مع وضع عطلة عيد الميلاد في الاعتبار.

كان اللحن «الأيام السعيدة عادت مجددًا».

8

على الرغم من كونها ظنت نفسها أكبر من أن تحمل، فإن العادة الشهرية لم تأت إلى أمِّ ذئب جاك سوير عند زمن «التغيّر» قبل نحو اثني عشر شهرًا.

ومنذ ثلاثة أشهر وضعت توائم ثلاثة في نفس البطن أختين وأخًا واحدًا. كان مخاضها عسيرًا، خيّم عليها علمٌ مسبق بأن أحد أبنائها الكبار على وشك أن يموت.. ذلك الابن، كما علمت، قد مضى إلى «المكان الآخر» ليحمي القطيع، وسيموت هناك، في ذلك المكان الآخر، ولن تراه بعد اليوم أبدًا.. فبلغت قسوة ذلك عليها حد البكاء لا من ألم الولادة وحده...

لكنها الآن، وهي نائمة مع صغارها الجدد تحت قمرٍ مكتمل، وجميعهم بأمان بعيدين عن القطيع في هذه الأثناء، تقلبت وعلى ثغرها ابتسامة، وجذبت أحدث إخوتهم الذكور إليها وبدأت تلعقه، والذئب الصغير لم يزل غارقًا في نومه، فأحاط بذراعيه عنق أمه الأشعث، وضغط خدّه على صدرها الوَبَري، فابتسما معًا؛ وفي سباتها الغريب نهض خاطرٌ بشريّ.. «إن الله يدقّ مساميره بإحكام وصدق».

وانسكر ضوء القمر في ذلك العالم الجميل، حيث كل الروائح طيّبة عليهما وهما نائمان في أحضان بعضهما، بينما الأختان على مقربة منهما.

9

في بلدة غوسلين بولاية أوهايو (غير بعيدة عن أماندا، وعلى مسافة نحو ثلاثين ميلًا جنوب كولومبس)، وقف رجل يُدعى بادي باركنز يجرف زبل الدجاج من عنبر الدواجن عند الغسق، وقد ربط قناعًا من الشاش على فمه وأنفه ليحول دون أن تتسلل سحابة الغبار الأبيض الخانقة المتصاعدة من ذَرّ مسحوق الروث إلى أنفه أو فمه، عبق الهواء برائحة الأمونيا النفّاذة، وقد أصابه نتنها بصداع، وعانى كذلك من ألمًا في ظهره، لأنه طويل القامة والعنبر واطئ السقف.

بمجموع الأحوال، لم يكن يسعه إلا أن يقرّ بأن هذه واحدة من ألعن الوظائف التي قد يُبتلى بها المرء... إن له ثلاثة أبناء، وكل واحد منهم، بحقّ اللعنة، يبدو غير متفرغ كلما احتاج عنبر الدجاج إلى التنظيف، والعزاء الوحيد في الأمر أنه كان على وشك الانتهاء، و...

الولد! يا إلهي، ذلك الولد!

تذكّر فجأة الصبي الذي سمّى نفسه لويس فارِن بوضوح كامل، وبنوع عجيب من المحبة! الصبي الذي ادّعى أنه متجه إلى خالته هيلين فوغان في بلدة باكاي ليك؛ الصبي الذي استدار نحو بادي حين سأله إن كان هاربًا، فكشف في تلك الالتفاتة عن وجه ممتلئ بخيرٍ صادق، وبجمالٍ غير متوقّع ومدهش.. جمالٍ جعله يفكر في أقواس قزح التي تبزغ

عند نهايات العواصف، وفي غروب شمس جاء في أيامٍ أنّ وتصبّب عرقًا من عمل أُنجز على أكمل وجه ولم يُتهاوَن فيه.

انتفض واقفًا وهو يلهث، وارتطم رأسه بجسور سقف العنبر ارتطامًا جعل عينيه تدمعان... لكنه كان، مع ذلك، يبتسم ابتسامةً مجنونة.. «يا إلهي، إن ذلك الصبي هناك، إنه هناك!» هكذا فكّر بادي باركنز، ومع أنه لم يدري أين يكون ذلك الـ«هناك»، فقد اجتاحه فجأة شعور عذب وعنيف بمغامرة مطلقة؛ ولم يشعر، منذ قرأ «جزيرة الكنز» في الثانية عشرة من عمره، ومنذ أن اعتصر كفّه لأول مرة صدر فتاة في الرابعة عشرة، بمثل هذا الذهول، ولا بمثل هذا الحماس، ولا بمثل هذا الامتلاء بفرح دافئ.

انفجر ضاحكًا. أسقط مجرفته، وبينما حدقت فيه الدجاجات بدهشة غبية، أخذ بادي باركنز يرقص رقصة متعثرة فوق زبل الدجاج، يضحك خلف قناعه ويطقطق بأصابعه.

«إنه هناك!» صاح بادي باركنز في وجه الدجاج وهو يضحك، «بحق لعنة المرح، إنه هناك! لقد بلغها أخيرًا، إنه هناك ومعه ما جاء من أجله!»

لاحقًا، كاد يظن... كاد، لكنه لم يتيقن أبدًا... أنه لا بد أن يكون قد انتشى بطريقة ما من أثر رائحة غبار الدجاج، لكنه علم أن ذلك لم يكن كل شيء، لا والله، لم يكن... لقد مرّ بنوع من الوحي، غير أنه لم يعد قادرًا على تذكّر ماهيته...

فظن أنه يشبه ذاك الشاعر البريطاني الذي حدّثهم عنه أستاذ الإنجليزية في الثانوية الرجل الذي تناول جرعة كبيرة من الأفيون، وأخذ يكتب قصائد عن ماخور صيني متخيّل وهو مخدّر... لكنه حين عاد إلى وعيه لم يستطع أن يُكمل ما بدأه.

«شيء من هذا القبيل»، فكّر، لكنه علم في قرارة نفسه أن الأمر ليس كذلك؛ ومع أنه لم يعد يذكر على وجه الدقة ما الذي فجّر ذلك الفرح، فإنه، شأنه شأن دوني كيغان، لم ينسَ أبدًا الكيفية التي جاء بها الفرح إليه، عذبًا كاملًا، دون استدعاء... لم ينسَ قط ذلك الإحساس الحلو العنيف بأنه لامس مغامرة عظيمة، وأنه نظر، لبرهة، إلى نورٍ أبيض جميل كان، في الحقيقة، جميع ألوان قوس قزح.

10

هناك أغنية قديمة للمغنّي بوبي دارين تقول..

«والأرض تسعل جذورًا ترتدي قمصان جينز وأحذية ثقيلة، اسحبوهم بعيدًا... اسحبوهم بعيدًا.»

وهي أغنية كان أطفال منطقة كايوغا بولاية إنديانا يستطيعون أن يتماهوا معها بحماسة كبيرة، لولا أنها ذاعت قبل زمنهم بوقت ليس بقليل، لم يكن قد مضى على فراغ «بيت الشمس» أكثر من أسبوع بقليل، ومع ذلك فقد اكتسب بالفعل سمعة بين أطفال المنطقة بوصفه بيتًا مسكونًا!

وبالنظر إلى البقايا المروّعة التي عثرت عليها الجرافات قرب الجدار الصخري في مؤخرة حقل فار، فإن هذا لم يكن مستغربًا، بدت لافتة «للبيع» الخاصة بالسمسار العقاري وكأنها مغروسة في العشب منذ عام كامل، لا منذ تسعة أيام فقط، وقد خفّض السمسار السعر مرة واحدة بالفعل، ويفكّر جديًا في خفضه مرة أخرى.

غير أن الأمر، كما اتّفق، لن يحتاج إلى ذلك.. فحين بدأ الثلج الأول يتناثر بصفًا من السماء الرصاصية فوق كايوغا (وفي اللحظة نفسها التي كان فيها جاك سوير يلمس التعويذة على بُعد نحو ألفي ميل)، انفجرت خزانات غاز البروبان السائل خلف المطبخ، قد جاء أحد عمّال شركة «غاز وكهرباء شرق إنديانا» في الأسبوع السابق وسحب كل الغاز إلى شاحنته،

مقسمًا أنك تستطيع أن تزحف إلى داخل أحد تلك الخزانات وتشعل سيجارة بأمان... لكنها انفجرت على كل حال... انفجرت في اللحظة ذاتها التي انفجرت فيها نوافذ حانة أوتلي إلى الشارع (ومعها عدد من الزبائن الذين كانوا يرتدون قمصان الجينز والأحذية الثقيلة... وقد خُملوا جميعًا بعيدًا على يد وحدات إنقاذ إلميرا).

احترق «بيت الشمس» عن آخره في وقت يكاد لا يُذكر.

«هلا رددت معي هللويا؟»

11

في جميع العوالم، حدث شيء ما... شيء انزاح واستقرّ في موضع جديد طفيف، كوحشٍ عظيمٍ يتقلب في نومه...

لكن في «بوينت فينوتي» كان ذلك الوحش في باطن الأرض؛ وقد استثير من سباته وأخذ يزمجر... ولم يعد إلى النوم طوال التسع والسبعين ثانية التالية، بحسب معهد الزلازل في معهد كاليفورنيا للتقنية «كالتيك».

ها قد بدأ الزلزال.

الفصل الرابع والأربعون

الزلزال

1

مرّ وقت قبل أن يدرك جاك أن سفينة أجنكور تتفكك حوله، ولم يكن هذا مستغربًا.. فقد سحرته الدهشة من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يكن موجودًا في الأجنكور على الإطلاق، ولا في بوينت فينوتي، ولا في مقاطعة مندوسينو، ولا في كاليفورنيا، ولا في الأراضي الأمريكية، ولا في تلك الأراضي الأخرى؛ لكنه كان فيها، وفي عدد لا متناهٍ من العوالم الأخرى أيضًا، وكلها في ذات الوقت...

ولم يكن ببساطة في مكان واحد في كل تلك العوالم؛ بل كان فيها في كل مكان، لأنه كان تلك العوالم نفسها، بدا أن التعويذة أكثر بكثير مما اعتقدغ والده.. حيث لم تكن مجرد محور كل العوالم الممكنة، بل كانت العوالم نفسها... العوالم، والمساحات بين تلك العوالم.

هنا حيث يتوافر قدر كافٍ من التجاوز على العقل ليُذهل حتى قديسًا تيبتيًا يعيش في كهف!

كان جاك سوير في كل مكان؛ كان جاك سوير كل شيء... نبتة عشب في عالم يبعد خمسين ألف عالم عن الأرض ذبلت من العطش في سهل تافه ما في مركز قارة تقابل تقريبًا

إفريقيا؛ مات جاك مع تلك النبتة، في عالم آخر، تزاوجت التنانين وسط سحابة عالية فوق الكوكب، وامتزجت نفَثات النار الناتجة عن نشوتها بالهواء البارد وسقط المطر والفيضانات على الأرض أدناها، كان جاك التنين الذكر؛ كان جاك التنين الأنثى؛ كان جاك الحيوان المنوي؛ كان جاك البويضة...

بعيدًا في الأثير، على بعد ملايين الأكوان، كانت ثلاث ذرات غبار تطفو بالقرب من بعضها البعض في الفضاء بين النجمي، كان جاك الغبار، وكان جاك الفراغ، تدحرجت المجرات حول رأسه مثل بكرات ورق طويلة، وضربت الأقدار كل واحدة بنمط عشوائي، فحوّلتها إلى أشرطة بيانو آلية كونية، تعزف كل شيء من موسيقى الرج تايم إلى تراتيل الجنائز.

عضت أسنانه السعيدة برتقالة؛ صرخ لحمه البائس بينما مزقته الأسنان... كان تريليونات من القطط الغبارية تحت بلايين الأسرّة، كان صغار الكنغر الذين يحلمون بحياتهم السابقة في جراب أمهم بينما تقفز الأم فوق سهلٍ بنفسجي حيث تجري الأرانب بحجم الغزلان وتقفز، كان لحم خنزير على مفصل في بيرو وبيضًا في عش تحت إحدى الدجاجات في عنبر أوهايو الذي كان بادي باركنز ينظفه، مسحوق روث الدجاج في أنف بادي باركنز؛ كان الشعيرات المرتجفة التي ستجعل بادي يعطس قريبًا؛ كان العطس نفسه؛ كان الجراثيم في العطس؛ كان الذرات في الجراثيم؛ كان التاكيونات(9)

في الذرات المسافرة إلى الوراء عبر الزمن نحو الانفجار العظيم في بداية الخلق.

قفز قلبه وومضت آلاف الشموس في انفجارات نجمية.

رأى عدد هائل يفوق الخيال من العصافير في عدد هائل يفوق الخيال من العوالم، وسجّل سقوط أو سلامة كل واحدة منها.

مات في جهنم مناجم الخامات في الأراضي.

وعاش كفيروس إنفلونزا في ربطة عنق إيثيريدج.

جرى مع الريح عبر أماكن بعيدة.

كان...

آه، كان...

كان الله.. الله، أو شيء قريب جدًا منه بحيث لا يُحدث فرقًا.

لا! صرخ جاك برعب.. لا، لا أريد أن أكون الله! أرجوكم! أرجوكم، لا أريد أن أكون الله، أريد فقط إنقاذ حياة أمي!

وفجأة، انطوت اللانهاية كيد خاسر يُغلق في قبضة محترف أوراق اللعب.. ضاقت إلى شعاع من الضوء الأبيض الساطع، تبعه إلى قاعة الأراضي، حيث لم تمر سوى ثوانٍ، وما زال يحمل التعويذة بين يديه.

2

في الخارج، بدأت الأرض تتحرك وكأنها راقصة كرنفال تقوم بحركة اهتزازية مثيرة...

المدّ الذي اقتحم الشاطئ، تراجع فجأة وبدأ يعدوا إلى الوراء، كاشفًا عن رمال سمراء عميقة كفخذي ممثلة شابة، وعلى تلك الرمال المكشوفة تلوّت أسماك غريبة، بعضها بدا وكأنه مجرد كتل هلامية من العيون.

كانت المنحدرات خلف المدينة مصنّفة رسميًا كصخور رسوبية، لكن لو نظر أي جيولوجي إليها لمرة واحدة سيخبرك فورًا أن هذه الصخور بالنسبة للصخور الرسوبية كالأثرياء الجدد بالنسبة لنخبة الأربعمائة(10).

كانت مرتفعات بوينت فينوتي في الواقع مجرد طين غاضب، والآن تشقق وبُعثر بجنون في ألف اتجاه... للحظة صمدت، تفتحت وتشبعت الشقوق الجديدة كأفواه لاهثة، ثم بدأت تنهار على المدينة كسيول من التراب، ومعها صخور ضخمة بحجم مصانع الإطارات في توليدو.

كانت فرقة وولف بقيادة مورغان قد دُمّرت في هجوم جاك وريتشارد المفاجئ على معسكر الاستعداد، والآن تقلص العدد أكثر بعد أن ركض العديد منهم يصرخون ويبكون في خوفٍ خرافي، قفز بعضهم عائدين إلى عالمهم الخاص، نجا بعض هؤلاء، لكن معظمهم ابتلعتهم الاضطرابات التي حدثت هناك،

وجوهر الكوارث المماثلة الذي امتد من هذا المكان عبر جميع العوالم، كما لو أن قضيب مسح جوفي للجغرافيا اخترقه.

تمكّن فريق من ثلاثة ذئاب يرتدون سترات دراجات فرينسو ديمونز من الوصول إلى سيارتهم لينكولن مارك IV العتيقة المثيرة وقد تمكنوا من قيادة مسافة نصف مربع في الشارع بينما عوى هاري جيمس بنفخ النحاس من جهاز التسجيل، قبل أن تسقط كتلة حجرية من السماء وتسحق سيارة كوني تمامًا.

ركض آخرون صارخين في الشوارع، وبدأت تغيّراتهم تتضح، تجولت المرأة ذات السلاسل في حلماتها بتروي أمام أحد هؤلاء، تمزق شعرها بهدوء على شكل خصال كبيرة، مدت إحدى هذه الخصل إلى الذئب، تمايلت الجذور الدموية كأطراف الأعشاب البحرية وهي تتمايل في مكانها على الأرض المتزعزعة.

«ها هي!» صاحت مبتسمة بهدوء... «باقة! لك!»

الذئب، الذي لم يكن هادئًا قيد أنملة، مزق رأسها في لقطة واحدة بفكيه وواصل الركض...

3

درس جاك ما أمسكه بين يديه، لاهثًا كطفل خرج إليه مخلوق غابي خجول من الأعشاب ليأكل من يده!

توهجت بين راحتيه، اتسعت وانكمشت، اتسعت من جديد ثم انكمشت مرة أخرى.

«مع دقات قلبي»، فكر...

بدت وكأنها زجاج، لكنها أوحت أيضًا بخفّة وانصياع طفيف بين يديه... ضغط عليها، فاستسلمت قليلًا، انطلقت الألوان من نقاط الضغط في أمواج خلابة... أزرق داكن من يده اليسرى، وأحمر قرمزي عميق من يده اليمنى.

ابتسم... ثم تلاشت الابتسامة.

«قد يمكنك قتل مليار شخص بهذا...»، خطر له.. حرائق، فيضانات، ومن يعلم ماذا بعد.. تذكر المبنى الذي انهار في أنغولا، نيويورك، بعد...

«لا، جاك»، همست التعويذة، وفهم حينها سبب استجابتها للضغط اللطيف بين يديه.. كانت حية، بالطبع كانت حية.

«لا، جاك.. كل شيء سيكون على ما يرام... كل شيء سيكون على ما يرام... وكل الأمور ستسير على خير ما يُرام.. فقط آمن؛ كن صادقًا؛ قف؛ لا تتردد الآن.»

حلّ السلام العميق في قلبه... يا له من سلام عميق جدًا.

قوس قزح... فكر جاك، متسائلًا لو تمكن يومًا من السماح لنفسه بإطلاق سراح هذه الجوهرة العجيبة.

4

على الشاطئ أسفل الممشى الخشبي، سقط جاردنر متمدّدًا على بطنه من شدة الرعب.. انغرزت أصابعه في الرمال الناعمة، وناح نواحًا واهنًا كصغيرٍ مذعور.

ترنّح مورغان نحوه كالثمل، وانتزع جهاز الإرسال المثبّت على كتف جاردنر بعنف.

«ابقوا في الخارج!» زأر خلاله، ثم أدرك أنه نسي أن يضغط زر الإرسال. فضغطه وصاح.. «ابقوا في الخارج! إذا حاولتم الخروج من المدينة فستنهار عليكم هذه الجروف اللعينة! انزلوا إلى هنا! تعالوا إليّ! هذا كله ليس سوى خدعٍ بصريةٍ لعينة! انزلوا إلى هنا! شكّلوا طوقًا حول الشاطئ! من يأتِ سيُكافَأ! ومن يتخلّف سيموت في الحفر وفي الأراضي المحروقة! انزلوا إلى هنا! المكان مفتوح! انزلوا إلى هنا حيث لا شيء يمكن أن يسقط عليكم! انزلوا إلى هنا، اللعنة عليكم!»

ألقى بالجهاز جانبًا، فانشقّ نصفين، وبدأت عشرات الخنافس ذات اللوامس الطويلة تزحف خارجةً منه.

انحنى ثم جذب جاردنر، الذي كان يعوي ووجهه مصفرًّا كالحليب، ورفعه بعنف.. قائلاً «قفي على قدميك، أيتها الجميلة.»

5

صرخ ريتشارد في غيبوبته بينما دفعته الطاولة التي كان مستلقيًا عليها إلى الأرض، سمع جاك الصرخة، فانتزعته من تأمله المأسور في التعويذة.

أدرك أن الأجنكورت يئن مثل سفينة في عاصفة شديدة، وعندما نظر حوله، رأى الألواح وقد ارتفعت عن الأرض، كاشفة عن الهيكل الخشبي المغبّر تحتها، تحركت العوارض ذهابًا وإيابًا كمضارب الطاحونة، زحفت الحشرات البيضاء الشاحبة بعيدًا عن نور التعويذة الصافي.

«سآتيك، ريتشارد!» صرخ، وبدأ يشق طريقه عبر الأرضية، ألقي بنفسه مرة وسقط، لكنه رفع الكرة المتوهجة عاليًا، مدركًا أنها هشة... إذا أصيبت بقوة، ستنكسر. وماذا بعد؟ لا يعلم إلا الله.. نزل على ركبة واحدة، ثم وقع على مؤخرته، ونهض مرة أخرى متمايلًا على قدميه.

من الأسفل، صرخ ريتشارد مرة أخرى...

فرد جاك..

«ريتشارد! سآتيك!»

من الأعلى، سمع صوتًا يشبه أجراس الزلاجات، فنظر ناحية الصوت ورأى الثريا تتأرجح ذهابًا وإيابًا، أسرع فأسرع... وقلادات الكريستال تصدر هذا الصوت، وبينما كان جاك

يراقب، انقطع السلسال وضربت الأرضية المتصدعة كقنبلة تحمل ألماسًا بدل المتفجرات، تناثرت الشظايا الزجاجية في كل مكان.

استدار وخرج من الغرفة بخطوات واسعة وعنيفة... فبدا ككوميديان مسرحي يؤدي دور بحار سكران.

على طول الرواق، ألقي به من جدارٍ لآخر إثر تأرجح الأرض وانقسامها، في كل مرة يصطدم فيها بجدار، أبعد التعويذة عنه، فصارت ذراعيه كملقطين متوهجين كجمر أبيض حار.

«لن تتمكن أبدًا من النزول على الدرج.»

«يجب أن أفعل.. يجب.»

وصل إلى منصة الدرج حيث واجه الفارس الأسود، تحرك العالم بطريقة جديدة؛ تعثر جاك ورأى الخوذة على الأرض أدناه تتدحرج بعيدًا بجنون.

استمر جاك بالنظر إلى الأسفل، تحرك الدرج في موجات عنيفة كبيرة جعلته يشعر بالغثيان. ارتفعت درجة من الدرج فجأة، مخلفة فجوة سوداء.

«جاك!»

«سآتيك، ريتشارد!»

«لا يمكنك النزول على تلك الدرجات.. مستحيل، حبيبي.»

«يجب.. يجب..»

حاملاً التعويذة الثمينة والهشة بين يديه، بدأ جاك النزول على درج أصبح الآن كالسجادة الطائرة العربية المحتجزة في إعصار.

ارتج الدرج وأُلقي نحو نفس الفجوة التي سقطت فيها خوذة الفارس الأسود.. صرخ جاك وتمايل إلى الوراء نحو الانحدار، يضم التعويذة إلى صدره بيده اليمنى، ويمد يده اليسرى خلفه في الفراغ، ضاربًا اللاشيء. اصطدم كعباه بالحافة وانقلب إلى الخلف نحو الهاوية.

6

مرت خمسون ثانية منذ بدء الزلزال.. خمسون ثانية فقط... لكن الناجون من الزلازل سيخبرونك أن الزمن الموضوعي، زمن الساعة، يفقد معناه أثناء الزلزال.. بعد ثلاثة أيام من زلزال عام 1964 في لوس أنجلوس، سأل مراسل تلفزيوني ناجيًا كان بالقرب من مركز الزلزال عن مدة الهزة.

«مازالت مستمرة»، رد الناجي بهدوء!

بعد اثنتين وستين ثانية من بدء الزلزال، قررت معظم مرتفعات بوينت فينوتي الاستسلام للمصير والتحول إلى سهول بوينت فينوتي.. انهارت فوق المدينة بصوت طيني مكتوم ‹كوروممب›، تاركةً شريحة صخرية واحدة أقسى قليلاً، أشارت إلى الأجنكورت كإصبع متهم، ومن أحد التلال الجديدة المنهارة، ارتفعت مدخنة متسخة أشبه بقضيب مستثار.

7

على الشاطئ، وقف مورغان سلوت وجاردنر المنير متكئين على بعضهما البعض، وكأنهما يؤديان رقصة الهولا، وقد أرخى جاردنر المنير سلاحه من أعلى كتفه، انضم إليهما بعض الذئاب، تترنح أعينهم بين الرعب الشديد والغضب الجهنمي، وسيأتي المزيد منهم، جميعم متغيّرين أو في طور التغيير، حيث تدلت ملابسهم على أجسادهم كخرق ممزقة.

رأى مورغان واحدًا منهم يغوص نحو الأرض ويبدأ بعضّها، وكأن الأرض المضطربة عدو يمكن قتله!

ألقى مورغان نظرة على هذا الجنون وتجاهله.

عبرت شاحنة مكتوب على جانبيها «الطفل الجامح» بحروف سريالية الألوان، جابت ساحة بوينت فينوتي مسرعة، حيث طلب الأطفال من آبائهم الآيس كريم والمرايات التي تحمل صورة الأجنكورت! وصلت الشاحنة إلى الطرف الآخر، قفزت فوق الرصيف، ثم انطلقت نحو الشاطئ، محطمة الأكشاك المغلقة في طريقها.

فتحت صدع أخير في الأرض، والطفل الجامح الذي قتل تومي وودباين اختفى إلى الأبد، في البداية مقدمته ثم اندلعت نيران من انفجار خزان وقوده، وبينما هو يراقب، خطرت في ذهن سلوت ذكرى أبيه وهو يعظ عن نار العنصرة(11)، ثم انغلقت الأرض فجأة.

«اثبت!» صاح في وجه جاردنر المنير. «أظن أن المكان سيسقط فوقه ويسحقه تمامًا، لكن إذا خرج، ستطلق النار عليه، سواء كان هناك زلزال أم لا.»

«هل سنعرف إذا تحطم؟» صاح جاردنر المنير.

ابتسم مورغان سلوت ابتسامة خنزير في الأدغال.

«سنعرف»، تمتم.. «ستصبح الشمس سوداء.»

أربع وسبعين ثانية.

8

تمسّك جاك بيده اليسرى ببقايا حطام الدرابزين، توهجت التعويذة بشدة على صدره، وخطوط الطول والعرض التي تكسوها لمعت كما الأسلاك الدقيقة في المصباح الكهربائي، مال كعبيه وبدأ أخمص قدميه في الانزلاق.

سقوط! سريع! سأقع...

سبع وسبعون ثانية.

توقف كل شيء.

فجأة، توقف كل شيء تمامًا.

لكن بالنسبة لجاك، كما بالنسبة للناجي من زلزال '64، مازال الأمر مستمرًا، على الأقل في جزء من دماغه... في ذلك الجزء، ستستمر الأرض بالاهتزاز كجيلي في نزهة كنسية إلى الأبد.

سحب نفسه بعيدًا عن الانحدار وترنح حتى وسط الدرج الملتوي، وقف يلهث، والعرق يكسو وجهه، محتضنًا نجم التعويذة المستدير المضيء إلى صدره، منصتًا إلى الصمت.

في مكان ما، سقط شيء ثقيل.. خزانة أو دولاب ربما.. تمايل على حافة التوازن، الآن وقع مخلفًا تصادم مدوٍ.

«جاك! أرجوك! أظن أنني أموت!» صوت ريتشارد المتأوه، العاجز، بدا حقًا كصوت صبي على حافة الموت..

«ريتشارد! سآتيك!»

بدأ جاك بالنزول عبر الدرج الملتوي والمائل، حيث اختفت كثير من درجاته واضطر لتجاوز الفراغات، في مكان واحد، اختفت أربع درجات متتالية، فقفز، ممسكًا التعويذة على صدره بيد، ويجر يده الأخرى على الدرابزين المهشم.

مازالت الأشياء تتساقط، تحطم الزجاج وطقطق في مكان ما، كان مرحاض تدفقت مياهه بجنون، مرة بعد أخرى.

مكتب التسجيل المصنوع من الخشب الأحمر في الردهة انشق إلى نصفين، الأبواب المزدوجة كانت مواربة، لكن شعاع ضوء ساطع دخل منها... السجادة القديمة الرطبة بدت وكأنها تتأوه وتدخن اعتراضًا على الضوء.

الغيم قد انقشع، فكر جاك.. «لقد أشرقت الشمس في الخارج..» ثم.. «سنخرج من تلك الأبواب، ريتشي بوي.. أنت وأنا.. كبيران بحجم الحياة وفخوران فخر مضاعف.»

الممر الذي يمر بجانب بار مالك الحزين ويتجه إلى غرفة الطعام ذكره بمشاهد في بعض حلقات «المنطقة الغامضة»، حيث كل شيء مائل وغير متوازن.. هنا الأرض تميل لليسار، وهناك لليمين، وهنا تشبه سنامي الجمل! شق الظلمة مسترشدًا بالتعويذة التي أضاءت له الطريق كأكبر مصباح يدوي في العالم.

اندفع إلى غرفة الطعام ورأى ريتشارد مستلقيًا على الأرض

في خضم مفرش الطاولة المتشابك، الدم يسيل من أنفه، عند اقترابه، لاحظ أن بعض البثور الحمراء الصلبة قد انشقّت وبدأت الحشرات البيضاء تتسلل من لحم ريتشارد وتزحف ببطء على خديه، وبينما هو يراقب، خرجت واحدة من أنف ريتشارد.

صرخ ريتشارد، صرخة ضعيفة فقاعية بائسة، وحاول انتزاعها.. كانت صرخة شخص يحتضر في عذاب.

قميصه يموج إثر هذه المخلوقات.

تعثّر جاك على الأرض المحطمة نحوه... واندفع العنكبوت من الظلمة، يقذف سمه عشوائيًا في الهواء.

«فلشنغ فيف!» رن صوته الحاكي للصراصير، غريبًا ومذبذبًا.. «أوه أنت الفيشينغ فيف، أعدها أعدها!»

دون تفكير، رفع جاك التعويذة، انطلقت نيران بيضاء نقية.. نيران قوس قزح... أحرقت العنكبوت واستحال إلى السواد في ثانية واحدة فقط، صار كتلة صغيرة من الفحم المتصاعد تتأرجح ببطء لتتوقف نهائيًا في الهواء.

لا وقت للدهشة؛ ريتشارد يحتضر.

وصل جاك إليه، سقط على ركبتيه بجانبه، ورفع مفرش الطاولة كأنه ملاءة.

«أخيرًا وصلنا، يا صديقي،» همس، محاولًا ألا يرى الحشرات تزحف من لحم ريتشارد.. رفع التعويذة، تأمل، ثم وضعها على

جبهة ريتشارد، صرخ ريتشارد ببؤس وحاول الالتفاف بعيدًا، وضع جاك ذراعه على صدر ريتشارد النحيل وثبته... لم يكن صعبًا، ارتفعت رائحة كريهة أثناء احتراق الحشرات تحت التعويذة.

ماذا الآن؟ هناك المزيد، لكن ماذا؟

التفت عبر الغرفة ووقع بصره على كرة الرخام الخضراء التي تركها مع ريتشارد، التي كانت مرآة سحرية في العالم الآخر، وبينما ينظر، دحرجت لمسافة ستة أقدام من تلقاء نفسها، ثم توقفت.

دحرجت لأنها كرة رخام، وكان دور الكرة أن تتدحرج فالكرات دائرية، والتعويذة كذلك.

انبثق الضوء في عقله الحائر.

حامل ريتشارد، مرّر جاك التعويذة ببطء على طول جسده، بعد أن وصل إلى صدر ريتشارد، توقف الأخير عن المقاومة، ظن جاك أنه ربما أغمي عليه، لكن لمحة سريعة أظهرت أن الأمر لم يكن كذلك.. حدّق ريتشارد فيه بدهشة متزايدة...

واختفت البثور على وجهه!

الاحمرار الصلب بدأ يتلاشى!

«ريتشارد!» صرخ جاك، ضاحكًا بجنون.. «انظر إلى هذا! لقد تحققت المعجزة!»

مرّر التعويذة ببطء على بطن ريتشارد بكفّه، أضاءت التعويذة، تتغنى بلحن صحي شافي بلا كلمات.. على أسفل البطن، جمع جاك ساقي ريتشارد النحيلتين ومرّرها على الخط الفاصل بينهما حتى الكاحلين، توهجت التعويذة بالأزرق الساطع... الأحمر العميق... الأصفر... الأخضر كعشب يونيو... ثم عادت لتصبح بيضاء.

«جاك،» همس ريتشارد، «هل هذا ما جئنا من أجله؟»

«نعم.»

«جميلة،» قال ريتشارد، وتردد قليلًا.. «هل يمكنني حملها؟»

شعر جاك بوخز البخل فجأة.. انتزع التعويذة لنفسه للحظة.. «لا! قد تكسرها! والأهم، إنها لي! عبرت البلاد من أجلها! حاربت الفرسان من أجلها! لا يمكنك امتلاكها! لي! لي! لي...»

فجأة شعرت التعويذة ببرودة رهيبة، ولمحة واحدة... أكثر رعبًا لجاك من كل الزلازل في كل العوالم... تحولت للون الأسود القوطي، انطفأ نورها الأبيض، والغنى في داخلها، المدوي، والمميت، رأى الفندق الأسود. على الأبراج والأسطح المائلة، وعلى قباب البنايات المنتفخة، دارت الرموز الغامضة... ذئب، غراب، نجمة كابالية ملتوية ذات رمزية جنسية.

«هل ستكون الأجنكور الجديدة إذن؟» همست التعويذة..

«حتى الصبي يمكن أن يكون فندقًا... إذا أراد.»

صوت والدته في رأسه.. «إذا لم ترغب في المشاركة، جاكي، وإذا لم تستطع المخاطرة من أجل صديقك، فعليك البقاء حيث أنت.. إذا لم تستطع مشاركة الجائزة.. المخاطرة بالجائزة.. فلا تعُد إلى البيت.. الأطفال يسمعون هذا طوال حياتهم، لكن عندما يحين وقت العمل أو الصمت، لا يكون الأمر نفسه أبدًا.. إذا لم تستطع المشاركة، دَعني أموت، يا صديقي، لأنني لا أريد أن أعيش بهذا الثمن.»

ثقلت التعويذة فجأة كجثة، ومع ذلك، رفعها جاك ووضعها بين يدي ريتشارد.. كانت يدا ريتشارد شاحبتين وعظميتين... لكن ريتشارد حملها بسهولة، وأدرك جاك أن الإحساس بالثقل كان مجرد وهمه، رغبته المريضة والمشوهة، ومع عودة التعويذة لتضيء ضوءًا أبيضًا شافيًا، شعر جاك بأن الظلام الداخلي قد انزاح عنه.. خطر له ببطء.. «يمكنك التعبير عن ملكيتك لشيء من خلال مدى قدرتك على التنازل عنه بحرية... ثم تلاشت الفكرة.»

ابتسم ريتشارد، والابتسامة جعلت وجهه جميلًا.. رأى جاك ريتشارد يبتسم مرات عديدة، لكن في هذه الابتسامة كان هناك سلام لم يره من قبل؛ سلام يفوق فهمه، في ضوء التعويذة الأبيض الشافي، رأى جاك وجه ريتشارد يتعافى، رغم أنه لا يزال منهكًا ومريضًا.. احتضن التعويذة كطفل، وابتسم لجاك بعينين متلئلئتين.

«إذا كانت هذه هي سكة جزيرة سيبروك السريعة،» قال، «قد أشتري تذكرة موسم كامل.. إذا خرجنا من هنا.»

«هل تشعر بتحسن؟»

ابتسم ريتشارد مثل ضوء التعويذة.. «أفضل بكثير.. الآن ساعدني على الوقوف، يا جاك.»

أمسك جاك كتفه، ومد ريتشارد التعويذة.

«من الأفضل أن تأخذها أولًا،» قال.. «ما زلت ضعيفًا، وهي تريد العودة معك.. أشعر بذلك.»

أخذها جاك وساعد ريتشارد على النهوض، وضع ريتشارد ذراعه حول عنق جاك.

«هل أنت مستعد... يا صديقي؟»

«نعم،» قال ريتشارد.. «مستعد، لكن أظن أن طريق البحر مغلق، يا جاك... أظن أنني سمعت سطح السفينة ينهار أثناء الزلزال الكبير.»

«سنخرج من الباب الأمامي،» قال جاك.. «حتى لو وضع الله ممرًا فوق المحيط من النوافذ إلى الشاطئ، سأخرج من الباب الأمامي، لن نترك هذا المكان، ريتشي.. سنخرج كضيوف دفعوا الأجر.. أشعر أنني دفعت الكثير.. ما رأيك؟»

مد ريتشارد يده النحيلة، كفه إلى الأعلى.. البقع الحمراء المتعافية ما زالت بارزة.

«أظن أنه يجب أن نحاول،» قال.. «كفًا بكف يا جاكي.»

أحاط جاك يد ريتشارد بكفه، وبدأ الاثنان السير عبر الممر، ريتشارد بذراعه حول عنق جاك.

في منتصف الممر، نظر ريتشارد إلى الفوضى المعدنية الميتة.. «ما هذا بحق السماء؟»

«صفائح القهوة،» قال جاك، مبتسمًا.. «ماكسويل هاوس.»

«جاك، ما الذي...»

«لا تهتم، ريتشارد،» قال جاك وهو يبتسم، وما زال يشعر بتحسن، لكن التوتر بدأ يعود إلى جسده.. «الزلزال انتهى... لكنه لم ينتهِ بعد.. مورغان سيكون في انتظارنا الآن.. وجاردنر.»

«لا بأس.. فليحدث ما يحدث.»

وصلوا إلى الردهة، ونظر ريتشارد حوله بدهشة إلى الدرج، مكتب التسجيل المكسور، الكؤوس والرايات الملقاة، رأس دب أسود محشو وضع أنفه في أحد صناديق البريد، كما لو كان يشم شيئًا جيدًا.. ربما العسل!

«واو،» تمتم ريتشارد.. «المكان على وشك الانهيار تمامًا.»

أوصل جاك ريتشارد إلى الأبواب المزدوجة، ولاحظ شراهة ريتشارد لأشعة الشمس الصغيرة.

«هل أنت حقًا مستعد لهذا، ريتشارد؟»

«نعم.»

«والدك هناك.»

«لا، ليس كذلك.. لقد مات.. كل ما هناك هو... ما تسميه؟ التوأم الخاص به.»

«نعم.»

أومأ ريتشارد برأسه.. بالرغم من قرب التعويذة، بدا منهكًا مرة أخرى. «نعم.»

«سيكون هناك قتال عنيف.»

«حسنًا، سأفعل ما أستطيع.»

«أحبك، ريتشارد.»

ابتسم ريتشارد بصعوبة.. «وأنا أيضًا، جاك.. الآن لننطلق قبل أن أفقد أعصابي.»

9

آمن سلوت تمام الإيمان بأنه يسيطر على كل شيء... الوضع بالطبع، ولكن الأهم من ذلك، سيطرته على نفسه... ظل يعتقد هذا حتى رأى ابنه، الضعيف الواضح الملامح، المريض بشكل ظاهر، لكنه مازال حيًا جدًا، يخرج من الفندق الأسود وذراعه حول عنق جاك سوير ورأسه متكئ على كتف جاك.

كان سلوت أيضًا قد ظن أنه قد سيطر على مشاعره تجاه صبي فيل سوير... الغضب السابق الذي أضاع منه جاك للمرة الأولى في جناح الملكة، ثم في الغرب الأوسط.. يا إلهي، لقد عبر أوهايو بسلام... وأوهايو ليست إلا غمضة عين من أوريس، معقل مورغان الآخر، لكن غضبه دفعه للتصرف بلا ضوابط، وهكذا انزلق الصبي من بين يديه.

لقد كتم غضبه، لكنه الآن انفجر بحرية شريرة وغير مقيدة، كأن أحدهم سكب الكيروسين على نار مشتعلة.

ابنه، مازال حيًا... ابنه الحبيب، الذي نوى تسليمه ملكية العوالم والكون، متكئًا على سوير طلبًا للدعم.

وليس هذا كل شيء.. تلألأت التعويذة وتوهجت بين يدي جاك كنجمة سقطت إلى الأرض، حتى من هنا، شعر سلوت بها... كأن جاذبية الكوكب ازدادت فجأة، سحبته للأسفل، أثقلت قلبه، كأن الزمن يسرع، يجفف لحمه، ويغشى بصره.

«مؤلم!» صاحت جاردنر المنير بجواره.

معظم الذئاب الذين وقفوا في وجه الزلزال والتحموا بمورغان، بدأوا الآن يتراجعون، أيديهم أمام وجوههم، بعضهم بدأ يتقيأ بلا حول.

شعر مورغان بلحظة من الرهبة المربكة... ثم انفجر غضبه، حماسته، وجنونه... كل شيء تغذى على أحلامه الكبرى في السيطرة... فانفكت شبكة ضبط النفس تمامًا.

رفع إبهامه إلى أذنيه وغرسه عميقًا، حتى تألم، ثم أخرج لسانه وحرك أصابعه في وجه جاك سوير، ذلك الولد المحتضر القريب من الموت. لحظة لاحقة، أسنانه العليا هبطت كبوابة تغلق، مشعلة طرف لسانه المتحرك، لم يلحظ سلوت ذلك.. ثم أمسك بجاردنر من سترة الحماية.

شحب وجه جاردنر كالقمر من شدة الخوف.. «لقد خرجوا، لديه التعويذة، مورغان... يا ربي... يجب أن نهرب، يجب أن نهرب...»

«أطلق النار عليه!» صرخ مورغان في وجه جاردنر.. والدماء تقطر من لسانه المقطوع.. «أطلق النار عليه، أيها اللعين الأثيوبي، لقد قتل ابنك! أطلق النار عليه وأطلق النار على التعويذة اللعينة! اطلق عبر ذراعيه وحطمها!»

بدأ سلوت يرقص ببطء صعودًا وهبوطًا أمام جاردنر، وجهه يتشنج بشكل فظيع، أصابعه تتحرك بجانب رأسه، لسانه المقطوع يخرج ويختفي كأحد ألعاب رأس السنة الجديدة

التي تنفجر مع صوت نفخ.. بدا كطفل قاتل، مضحك ومروع في الوقت ذاته.

«لقد قتل ابنك! انتقم لابنك! أطلق النار عليه! أطلق النار على التعويذة! لقد قتلت والده، الآن أطلق عليه!»

قال جاردنر بهدوء «ريوول، نعم.. لقد قتل ريوول.. إنه أسوأ ولد رآه في حياته.. كل الأولاد كذلك، بديهية.. لكنه... هو...»

استدار نحو الفندق الأسود ورفع السلاح على كتفه، كان جاك وريتشارد قد وصلا إلى أسفل الدرج الأمامي الملتوي وبدآ بالنزول على الممشى الواسع، الذي كان مستويًا قبل دقائق وأصبح الآن عبثيًا بشكل جنوني.. في مجال الرؤية لدى جدكين، بدا الصبيان بحجم المقطورات.

«أطلق النار عليه!» صرخ مورغان.. أخرج لسانه النازف مرة أخرى وأصدر صوتًا غريبًا متغطرسًا... «يدا-يدا-يدا-ياه!» تعثرت قدماه، في حذاءَي غوتشي المتسخين، صعودًا وهبوطًا، وضفطت أحدهما على طرف لسانه المقطوع وغرسته في الرمال.

«أطلق النار عليه! أطلق النار على التعويذة!» عوّل مورغان..

أدار فوهة البندقية بدقة كما حدث عندما استعد جاردنر لإطلاق النار على الحصان المطاطي، ثم استقرت. كان جاك يضم التعويذة إلى صدره، محور التصويب فوق ضوءها المتلألئ الدائري.. الرصاصة ستخترقها، محطمة إياها،

وستصبح الشمس سوداء... لكن قبل ذلك، فكر جاردنر، سأرى صدر أسوأ صبي ينفجر.

«إنه ميت لا محالة»، همس جاردنر، وضغط على زناد البندقية.

10

رفع ريتشارد رأسه بصعوبة شديدة، وعيونه كادت تحترق من وهج الشمس المنعكسة.

رجلان.. أحدهما يميل رأسه قليلاً، والآخر يبدو وكأنه يرقص.. تلك الومضة الشمسية مرة أخرى، وفهم ريتشارد.. فهم... وكان جاك يركز في المكان الخطأ.. جاك كان ينظر إلى الأسفل نحو الصخور حيث استلقى سبيدي.

«جاك احذر!» صرخ.

نظر جاك حوله بدهشة.. «ماذا...»

حدث كل شيء بسرعة.. كاد جاك أن يفوته تمامًا، ريتشارد رأى ما حدث وفهمه، لكنه لم يستطع أبدًا أن يفسر بالضبط ما الذي حدث لجاك.. وميض الشمس ارتد مرة أخرى عن منظار بندقية القناص، هذه المرة، أصاب شعاع الضوء المنعكس التعويذة، فعكسته التعويذة مباشرة نحو القناص.. هذا ما أخبر ريتشارد جاك به لاحقًا، لكن ذلك يشبه قول إن مبنى إمباير ستيت يتكون من عدة طوابق.

لم تكتفِ التعويذة بعكس ضوء الشمس؛ بل ضاعفته بطريقة ما.. أرسلت شعاعًا كثيفًا من الضوء مثل شعاع الموت في أفلام الفضاء، استمر لثانية واحدة فقط، لكنه نقش على شبكية ريتشارد لحوالي ساعة بعدها، أولًا أبيض، ثم أخضر، ثم أزرق، وأخيرًا، مع تلاشيه، أصفر ليموني كأشعة الشمس.

11

«إنه ميت لا محالة» همس جاردنر، ثم امتلأ المنظار بنار حيّة، تحطّمت عدسات زجاجه السميكة، واندفع زجاجٌ منصهر يتصاعد منه الدخان إلى داخل عين جاردنر اليمنى، وانفجرت الطلقات في مخزن بندقية الـWeatherbee، فتمزّق جزؤه الأوسط إربًا، إحدى شظايا المعدن الطائرة بترت معظم خد جاردنر الأيمن، تطايرت خطاطيف وانثناءات أخرى من الفولاذ حول سلوت في عاصفة معدنية، وتركته على نحو لا يُصدّق بلا أذى.

كان ثلاثة من الذئاب قد ثبتوا في خضم ما جرى، الآن فرّ اثنان منهم على عقبيهما، أما الثالث فممدّدًا على ظهره، يحدّق في السماء بعينين جامدتين، وزناد الـWeatherbee مغروسًا تمامًا بين عينيه.

«ماذا؟» زمجر مورغان، وفمه الملطخ بالدماء مفتوح على اتساعه.. «ماذا؟ ماذا؟»

بدا جاردنر على نحو غريب مثل وايل إي كايوتي في رسوم «رود رانر» بعد أن ينقلب عليه أحد اختراعات شركة آكمي.

ألقى السلاح بعيدًا، ورأى سلوت أن جميع أصابع اليد اليسرى لجارد قد انتزعت.

مدّ جاردنر يده اليمنى لقميصه ونتف بأناقة جراب السكين المثبت على الحزام الداخلي لسرواله وهو غلاف ضيق صغير

من جلد محبب في حركة تشبه حركات المتأنثين، وأخرج منه قطعة عاج مكسوّة بالكروم عند أطرافها، ضغط زرًا، فانطلقت شفرة رفيعة بطول سبع بوصات.

«سيّئ» همس.. «سيّئ!» وبدأ صوته يرتفع.. «كلهم ذكورا سيّئون! هذا بديهي! إنه بديهي!»

وانطلق يجري صعودًا على الشاطئ نحو ممر الأجنكورت، حيث يقف جاك وريتشارد، واستمر صوته في الارتفاع حتى صار صرخة محمومة رفيعة..

«سيّئ! شرًا! سيّئ! شَرًا! سيييئ! شِرررررر...»

توقف مورغان للحظة أطول، ثم قبض على المفتاح المعلّق في عنقه، وبمجرد أن أمسك به، بدا وكأنه أمسك أيضًا بأفكاره المذعورة المتخبطة.

«سيذهب إلى الزنجي العجوز، وهناك سأقضي عليه.»

«شِرررررر...» صرخ جاردنر، وسكينه القاتلة ممدودة أمامه وهو يعدو.

استدار مورغان وأخذ يركض على الشاطئ مدركًا على نحو مبهم أن الذئاب جميعهم قد فرّوا، ولا بأس بذلك.

«سيتكفّل هو بتدبير أمر جاك سوير والتعويذة وحده تمامًا.»

الفصل الخامس والأربعون

وحدثت العديد من الأشياء

1

اندفع جاردنر المنير صوب جاك بجنون، والدماء تنهمر على وجهه الممزق، فاستحال لحطام الجنون ذاته...

تحت الشمس الساطعة الحارقة، لأول مرة منذ ما لا بد أنه عقود، بدت فينوتي من الأعلى خرابًا من مبانٍ منهارة، وأنابيب محطّمة، وأرصفة انتفخت ككتبٍ مائلة على رفٍّ مختل، وثمة كتبٌ حقيقية بُعثرت هنا وهناك، أغلفتها الممزقة رفرفت فوق شقوق الأرض العارية.

خلف جاك، أطلق فندق أجينكور صوتًا يشبه الأنين على نحو غريب؛ ثم سمع جاك هدير ألف لوحٍ انهاروا فوق بعضهم بعضًا، وجدرانًا تمايلت وتداعت في وابل من العيدان الخشبية المتكسرة وغبار الجِصّ.

وأدرك الصبي إدراكًا خافتًا هيئة مورغان سلوت الشبيهة بالنحلة، وهو ينزلق على امتداد الشاطئ، فباغتته وخزة قلق من أن خصمه يتجه نحو سبيدي باركر... أو نحو جثته.

«إنه يحمل سكينًا يا جاك»، همس ريتشارد.

لطخت يد جاردنر المسحوقة قميصه الحريري الأبيض، الذي

كان يومًا بلا دنس! بخطوط فوضوية من الدماء.

«شرًّا شـــرّا!» صرخ صراخًا حادًا، وصوته لا يزال ضعيفًا تحت القصف المتواصل للماء على الشاطئ وأصوات الدمار المتقطعة... «ششـــــر...».

«ماذا ستفعل؟» سأل ريتشارد.

«كيف لي أن أعرف؟» أجاب جاك وكان ذلك أصدق جواب لديه...

لم يكن لديه أدنى فكرة عن كيفية هزيمة هذا المجنون، ورغم ذلك... تيقن أنه سيهزمه. «كان ينبغي أن تقتل كلا الأخوين إيليس»، تمتم جاك في سره.

وجاردنر، مازال يصرخ، راكضًا عبر الرمل، على مسافة غير قصيرة، في منتصف الطريق تقريبًا بين نهاية السياج وواجهة الفندق، قناعٌ من الدم الأحمر يغطي نصف وجهه، ودمائه تنهمر بشكل متواصل من يده اليسرى المعطوبة على الأرض الرملية، وبدا أن المسافة بين المجنون والصبيين انكمشت إلى نصفها في ثانية واحدة.

هل وصل مورغان سلوت إلى الشاطئ الآن؟ شعر جاك باندفاعٍ كاندفاع التعويذة، يدفعه إلى الأمام... يدفعه دفعًا.

«شرّا شرٌ بديهي! شرّا!» صاح جاردنر.

«انقلب!» صرخ ريتشارد بصوت عالٍ...

وخَطا جاك جانبًا

كما فعل داخل الفندق الأسود.

وفجأة وجد نفسه واقفًا أمام أوزموند تحت شمس الأراضي اللاهبة، انسلّ معظم يقينه فجأة! كل شيء بدا كما هو، لكنه في الوقت نفسه كان مختلفًا... وبدون أن ينظر، علم أن خلفه شيئًا أسوأ كثيرًا من أجينكور، لم يكن قد رأى قط الواجهة الخارجية للقلعة التي تحول إليها الفندق في الأراضي، لكنه أدرك على نحو مفاجئ أن لسانًا يلتف خارج الأبواب الأمامية الهائلة من أجلِه... وأن أوزموند سيدفعه هو وريتشارد عائدَين إليه.

كان أوزموند يعصب عينه اليمنى برقعة، ويضع قفازًا ملطخًا على يده اليسرى وانسابت أربطة سوطه عن كتفه وتلوت كأفاعٍ.

«آه، نعم»، قال بنصف فحيح ونصف همس، «إنه الفتى... ابن الكابتن فارِن».

ضمّ جاك التعويذة إلى بطنه في حماية غريزية، وانزلقت التفافات السوط على الأرض، مستجيبة لأدق حركات يد أوزموند ومعصمه كما يستجيب جواد السباق ليد الفارس.

«ماذا ينفع الفتى أن يربح خرزة زجاجية إن خسر العالم كله؟»

وكأن السوط قد ارتفع من تلقاء نفسه قليلًا عن الأرض.

«لا شيء! لا شيء على الإطلاق!»

وانبعثت رائحة أوزموند الحقيقية... رائحة العفن والقذارة والفساد الدفين دفعةً واحدة، وارتعش وجهه النحيل المجنون كأن صاعقةً تشققت تحته، ابتسم ابتسامةً مشرقةً جوفاء، ورفع السوط الملتف فوق كتفه.

«يا قضيب التيس»، قال أوزموند تقريبًا بحنو.

وانقضّت سيور السوط تغني نحو جاك، الذي تراجع في هلعٍ خاطف، لكن ليس بعيدًا بما يكفي.

قبضت يد ريتشارد على كتفه وهو ينقلب مرةً أخرى، فانمحى الصوتُ المرؤّع، الضاحك على نحو ما، من الهواء في الحال.

«سكين!» سمع صوت سبيدي يقول.

مخالفًا غرائزه، خطا جاك إلى داخل الفراغ الذي كان فيه السوط، لا إلى الخلف كما تمنى بكل كيانه، سقطت يد ريتشارد عن حدبة كتفه، وتلاشى صوت سبيدي في عويلٍ منقطع. تشبث جاك بالتعويذة المتوهجة على بطنه بيده اليسرى، ومد يده اليمنى إلى أعلى، وانغلقت أصابعه على معصمٍ عظميٍّ كما السحر.

ضحك جاردنر المنير ضحكةً خافتة.

«جاك!» دوى صوت ريتشارد من خلفه.

وكان جاك واقفًا من جديد في هذا العالم، تحت نورٍ منسكبٍ مطهِّر، ويد جاردنر الممسكة بالسكين تندفع إلى أسفل باتجاهه، ووجه جاردنر المشوّه معلّقًا على بُعد بوصات من وجهه، وغشيتهم رائحة قمامة وحيوانات نافقة تُركت طويلًا على الطريق.

«لا شيء»، قال جاردنر.. «أتقدر أن تهتف لي هللويا؟»

ودفع بالسكين الأنيقة القاتلة إلى أسفل، وتمكن جاك من صدّها.

«جاك!» صرخ ريتشارد ثانيةً.

حدّق جاردنر إليه بعينٍ متلألئة حادة كطائر، واستمر في الضغط بالسكين إلى أسفل.

«ألم تعلم بعد ما الذي فعله جاردنر المنير؟» تردد صوت سبيدي.. «أمازلت لا تعلم؟»

نظر جاك مباشرةً إلى عين جاردنر الراقصة بجنون.. نعم، لقد علم.

اندفع ريتشارد وركل جاردنر في كاحله، ثم هوى بقبضةٍ واهنة على صدغه.

«لقد قتلتَ أبي»، صاح جاك.

تلألأت العين الوحيدة لجاردنر ردًا عليه.

«وأنتَ قتلتَ ولدي، أيها اللقيط الأسوأ!»

«مورغان سلوت هو من أمرك بقتل أبي... وأنت فعلت.»

ضغط جاردنر بالسكين إلى أسفل مسافتين كاملتين، واندفعت عقدة صفراء لزجة وفقاعة دم من تجويف عينه اليمنى.

صرخ جاك صرخة رعبٍ وغضبٍ حوت كل مشاعر الهجر والعجز الدفينة التي لازمته منذ موت أبيه... واكتشف أنه قد دفع يد جاردنر الممسكة بالسكين إلى أعلى حتى النهاية، صرخ ثانيةً، وكانت يد جاردنر اليسرى المبتورة الأصابع تضرب ذراع جاك اليسرى، وبينما كاد جاك أن ينجح في لي معصم جاردنر إلى الخلف، شعر بتلك الوسادة اللحمية المتقيحة تنزلق بين صدره وذراعه، وريتشارد لا يزال يناوش جاردنر من حوله، لكن ها هو جاردنر ينجح في تقريب يده المقطوعة الأصابع كثيرًا من التعويذة.

رفع جاردنر وجهه حتى لامس وجه جاك.

«هللويا»، همس.

لفَّ جاك جسده كله دفعة واحدة، مستفرغًا قوةً لم يكن يعلم أنه يمتلكها، جذب يد جاردنر الممسكة بالسكين إلى أسفل بعنف، وطارت اليد الأخرى المبتورة جانبًا، قبض جاك على معصمه، وتلوّت الأوتار المتحجرة في قبضته، ثم سقطت السكين، وقد غدت بلا أذى، كوسادة الجلد الممزقة التي ضربت أضلاع جاك مرارًا، اندفع جاك بجسده كله نحو جاردنر

المائل خارج مركزه، فأرسله يتعثّر مبتعدًا.

ودفع جاك التعويذة نحو جاردنر.

صرخ ريتشارد «ماذا تفعل؟»

كان ذلك صحيحًا... صحيحًا تمامًا. تقدّم جاك نحو جاردنر، الذي لم يزل يحدّق به ببريقٍ أقل يقينًا، وطوح التعويذة نحوه.

ابتسم جاردنر، وانتفخت فقاعة دم أخرى دسمة في محجر عينه الفارغ، ولوّح بعنفٍ نحو التعويذة، ثم انحنى ليلتقط السكين، اندفع جاك ولمس بسطح التعويذة الدافئ المحزوز جلدَ جاردنر، مثلما حدث مع ريويل، حدث مع جاردنر المنير، قفز جاك إلى الخلف.

عوى جاردنر عواء حيوانٍ ضالٍّ جريح، وفي الموضع الذي مسّته فيه التعويذة، اسودّ الجلد، ثم تحوّل إلى سائلٍ ينزلق ببطء، وينسال بعيدًا عن الجمجمة، تراجع جاك خطوة أخرى. وسقط جاردنر على ركبتيه، وتحولت فروة رأسه إلى ملمسٍ شمعي، وفي أقل من نصف ثانية، لم يبقَ سوى جمجمةٍ لامعة بارزة من عنق القميص الممزّق.

«انتهى أمرك»، فكّر جاك، «والخلاص منك رحمة!»

2

«حسنًا، تمتم جاك... مغمورًا بثقةٍ جنونية.. «لنذهب ونحضره يا ريتشي، لن...»

ثم نظر إلى ريتشارد فرأى أن صديقه صار على شفا الانهيار من جديد.. واقفًا يترنح على الرمال، وعيناه نصف مغمضتين بشرود أبله...

«ربما وبعد إعادة النظر في الأمر يمكنك الابتعاد هذه المرة»، قال جاك.

هزّ ريتشارد رأسه.. «قادِم يا جاك.. جزيرة سيبروك.. معك حتى النهاية... إلى آخر الخط.»

«سأضطر إلى قتله»، قال جاك.. «إن استطعتُ ذلك.»

هزّ ريتشارد رأسه بإصرارٍ عنيدٍ لا يلين.. «ليس أبي.. قلتُ لك.. أبي مات.. إن تركتني، فسأزحف.. سأزحف عبر الوحل الذي خلّفه ذلك الرجل، إن اضطررت.»

نظر جاك نحو الصخور. لم يكن يرى مورغان، لكنه لم يشك كثيرًا في وجوده هناك، وإن كان سبيدي مازال حيًا، فربما يتخذ مورغان في هذه اللحظة ما يلزم لتصحيح هذا الوضع.

حاول جاك أن يبتسم فلم يستطع.. «فكّر في الجراثيم التي قد تلتقطها.»

تردّد لحظة أطول، ثم مدّ التعويذة إلى ريتشارد على

مضض.. «سأحملك، لكن عليك أن تحمل هذه.. لا تُسقِط الكرة يا ريتشارد.. إن أسقطتها...»

«ماذا قال سبيدي؟»

«إن أسقطتها، فكل شيء يضيع.»

«لن أُسقطها.»

وضع جاك التعويذة في يدي ريتشارد، ومرة أخرى بدا أن ريتشارد يتحسّن عند لمسها... ولكن ليس كثيرًا.. فقد شحب وجهه شحوبًا مخيفًا.. وتحت وهج التعويذة الساطع، بدا كوجه طفلٍ ميتٍ الثقطت له صورة في ومضة فلاش مصوّر للشرطة.

إنه الفندق.. إنه يسمّمه.

لكن لم يكن الفندق وحده؛ ليس تمامًا.. كان مورغان.. مورغان هو من كان يسمّمه...

استدار جاك، وقد أدرك أنه يكره أن يصرف نظره عن التعويذة ولو لحظة واحدة.. انحنى بظهره وثنّى يديه على هيئة رِكابين.

اعتلى ريتشارد ظهره، أمسك بالتعويذة بيد، ولفّ الأخرى حول عنق جاك.

فقبض جاك على فخذي ريتشارد.

(إنه خفيف كالشوكة البرية.. يحمل سرطانه الخاص..

عاش به طوال حياته.. مورغان سلوت مشعٌ بالشر، وريتشارد يحتضر من التلوّث الإشعاعي.)

وانطلق يعدو بخفة نحو الصخور التي يرقد سبيدي خلفها، شاعِرًا بحرارة التعويذة ونورها فوقه مباشرة.

3

اندفع جاك يركض حول الجانب الأيسر من كتلة الصخور وريتشارد على ظهره، ومازات تغمره الثقة الجنونية... لكن المفاجأة الوقحة لقّنته أنها لم تكن سوى وهم...

فجأةً اندفعت ساق ممتلئة مكسوّة بصوف بنيّ فاتح من خلف آخر صخرة، كذراع بوابة رسوم، وعلى أسفل الطرف المرفوع لمح جاك لمحةً خاطفة من جورب نايلون بنيّ، أنيق ومشدود بإتقان.

«اللعنة!» صرخ عقله.. «كان ينتظرك! يا لك من أحمق!»

صرخ ريتشارد، وحاول جاك أن يتوقّف، لكنه لم يستطع.

أسقطه مورغان بسهولة المتنمّر الذي يعرقل طفلًا أصغر منه في ساحة اللعب، بعد سموكي أبدِيك، وأوزموند، وجاردنر، وإلروي، وبعد شيءٍ بدا كخليطٍ بين تمساح ودبابة شيرمان، لم يحتج الأمر في النهاية سوى مورغان سلوت البدين المصاب بضغط الدم المرتفع، القابع خلف صخرة، يراقب وينتظر صبيًا مغترًا يُدعى جاك سوير لينقضّ عليه راقصًا بثقة.

«ييييه!» صرخ ريتشارد حين تعثّر جاك إلى الأمام، وقد أدرك جاك على نحوٍ غائم ظلّهما المشترك المندفع إلى يساره، حتى بدا كأنه ظلّ تمثالٍ هندوسي متعدد الأذرع، شعر بثقل التعويذة النفسي يتحوّل... ثم ينزلق أكثر من اللازم.

«احترس عليها يا ريتشارد!» صرخ جاك.

اندفع ريتشارد فوق رأس جاك وسقط، عيناه متسعتان بالهلع، وأوتار عنقه بارزة كأوتار البيانو، رفع التعويذة وهو يهوي، وانسحبت زوايا فمه إلى أسفل في زمجرة يائسة، ارتطم بالأرض وجهه أولًا كأنف صاروخٍ معطوب، لم يكن الرمل هنا حول الموضع الذي سقط فيه سبيدي رملًا حقيقيًا، بل خليطًا خشنًا من حصى وصخور وأصداف صغيرة، هبط ريتشارد على صخرةٍ قذفها الزلزال... دوّى ارتطامٌ مكتوم، وللحظة بدا كنعامةٍ دفنت رأسها في الرمال، فيما راحت مؤخرته، المغطّاة بسروالٍ قطنيٍ متسخ مصقول، تتأرجح في الهواء بترنّح سكير.

في ظروفٍ أخرى.. لو لم يكن ذلك الصوت المكتوم الرهيب قد وقع.. لصار مشهدًا كاريكاتوريًا صالح لصورة فوتوغرافية حية وملونة.. «ريتشارد العاقل يتصرّف بجنون على الشاطئ»، لكنه لم يكن مضحكًا على الإطلاق.

انفرجت يدا ريتشارد ببطء... وتدحرجت التعويذة ثلاثة أقدام على المنحدر اللطيف للشاطئ، ثم توقّفت، عاكسة السماء والغيم، لا على سطحها، بل في جوفها المضيء بخفوت.

«ريتشارد!» زمجر جاك.

كان مورغان خلفه في مكانٍ ما، لكنه نسيه للحظة.. تبخّرت

كل طمأنينته منذ أن امتدّت تلك الساق الصوفية أمامه كبوابة، خُدع كطفلٍ في ساحة روضة... وريتشارد... ريتشارد كان...

«ريتش...»

انقلب ريتشارد على ظهره، فرأى جاك أن وجهه المسكين المرهق مغطّى بالدم السائل، تدلّى جزء من فروة رأسه في شكلٍ مثلث كالشراع الممزّق حتى قرب إحدى عينيه، رأى الشعر يبرز من تحته ويمسّ خدّ ريتشارد كعشبٍ رمليّ، وحيثما كانت تلك الجلدة ذات الشعر، رأى اللمعان العاري لجمجمة ريتشارد سلوت.

«هل انكسرت؟» سأل ريتشارد، بصوت متصدع كالصراخ.. «جاك، هل انكسرت عندما سقطت؟»

«الأمر بخير يا ريتشي... إنها...»

انتفخت عينا ريتشارد المحاطتان بالدم فجأةً نحو شيءٍ خلف جاك «جاك! جاك، انتبه...!»

شيءٌ بدا كلبِنةٍ من الجلد.. أحد أحذية مورغان سلوت من نوع «غوتشي» اندفع صاعدًا بقسوة بين ساقي جاك وارتطم مباشرة بخصيتيه.. كانت ضربةً مركزية قاتلة، فانطوى جاك إلى الأمام، يعيش فجأة أعظم ألم عرفه في حياته... عذابًا جسديًا لم يتخيّله يومًا.. لم يستطع حتى أن يصرخ.

قال مورغان سلوت «لا بأس... لكنك لا تبدو بخير يا جاكي

بوي.. إطلاقًا.»

في تلك اللحظة تقدم الرجل صوب جاك ببطء... ببطء لأنه يتلذّذ بهذه اللحظة... رجلًا لم يُقدّم إلى جاك على حقيقته من قبل.. وجهًا أبيض أطل من نافذة عربة سوداء عظيمة للحظاتٍ عابرة، عينين داكنتين شعرتا بوجوده على نحوٍ غامض؛ ماج شكله وتحول فأعاده للحقل حيث مكث هو و»وولف» يتحدثان عن العجائب وأشقائه وقمر الشبق العظيم؛ وكان ظلًا في عيني أندرز وامتلأ وجهه بالوميض وتحول، فاستعاد بذلك واقعة الحقل.»

«لكنني لم أرَ مورغان من أوريـس حقًا إلا الآن»، فكّر جاك.. ومع ذلك ظلّ هو جاك... جاك بسروالٍ قطنيٍّ باهتٍ متسخ يشبه ما قد يرتديه حمّالٌ آسيويّ، وصندل ذي سيور من جلد خام، إنه ليس جيسون... بل جاك.

صرخ صرخة مكتومة من هول الألم بين فخذيه...

على بُعد عشرة أمتار اشعت التعويذة بوهجها على شاطئ من الرمال السوداء، لم يكن ريتشارد هناك، إلا أن وعي جاك لم يستوعب هذه الحقيقة إلا بعدها بقليل.

ارتدى مورغان عباءة زرقاء داكنة مشدودة عند العنق بمِشبك فضّي مطروق، ونفس السروال الصوفي الفاتح الذي ارتداه سلوت، لكنه هنا محشور داخل حذاءين أسودين، كان يمشي بعرجٍ خفيف، تخلف قدمه اليسرى المعيبة خطوطا

قصيرة على الرمال، تدلى المشبك الفضي متأرجحًا، وأدرك جاك أن لا علاقة له بالعباءة، التي كانت مربوطة بحبلٍ داكن بسيط بل إنه قلادةٌ من نوعٍ ما، في البدء ظنّه مضرب غولف صغيرًا مماثلًا لما قد تنزعه امرأة من سوار حُليّها وتعلّقه في عنقها للزينة، لكنه حين اقترب سلوت رأى أنه أنحف من ذلك، لم ينتهِ برأس مضرب، بل برأس مدبّب.

بدا كمانعة صواعق.

«لا، لا تبدو بخير أبدًا، أيها الصبي»، قال مورغان من أوريـس، تقدّم إلى حيث يرقد جاك، يئنّ قابضًا على فخذيه، وقد ضم ساقيه إليه من شدّة الألم... انحنى، واضعًا يديه فوق ركبتيه، وراح يتأمّل جاك كما يتأمّل رجلٌ حيوانًا دهسته سيارته... حيوانًا غير مثير للاهتمام كثيرًا، كجرذ أرضي أو سنجاب.. «لست بخير على الإطلاق.»

انحنى مورغان أكثر.

«كنتَ مشكلةً حقيقية لي»، قال مورغان من أوريـس..»لقد سبّبتَ ضررًا كبيرًا.. لكن في النهاية...»

«أظنّني أموت»، همس جاك.

«ليس بعد.. أعلم أنه نفس الشعور، لكن صدّقني، لم يقربك الموت بعد.. بعد خمس دقائق ستعرف حقًا كيف يكون الإحساس بالموت.»

«لا... حقًا... أنا محطم من الداخل...» أنّ جاك.. «اقترب...

أريد أن أقول... أن أسأل... أن أترجّى...»

تلألأت عينا مورغان الداكنتان في وجهه الشاحب.. ربما كانت فكرة تضرّع جاك هي ما أثارته.. انحنى حتى كاد وجهه يلامس وجه جاك.. كانت ساقا جاك منقبضتين من شدّة الألم، ثم فجأةً اندفعتا إلى الخارج وإلى الأعلى، للحظة شعر كأن نصلًا صدئًا يشقّ طريقه من أعضائه التناسلية إلى جوفه، لكن صوت صندله وهو يرتطم بوجه مورغان، ويشطر شفتيه ويكسر أنفه إلى الجانب، عوّض الألم وأكثر.

ترنّح مورغان من أوريـس إلى الخلف، يزمجر ألمًا ودهشةً، وعباءته تخفق كجناحي خفّاش عظيم.

نهض جاك على قدميه، للحظة رأى القلعة السوداء... كانت أضخم كثيرًا من قلعة «أجنكور»، بل بدت كأنها تمتد على أفدنة، ثم اندفع متشنّجًا متجاوزًا باركوس المغمى عليه (أو الميّت!).

اندفع نحو التعويذة، التي كانت ترقد في سكينة تشعّ على الرمال، وبينما يركض انقلب عائدًا إلى الأراضي الأمريكية.

«أيها الوغد!» صرخ مورغان سلوت. «أيها الوغد الصغير العفن! وجهي! وجهي! لقد أذيتَ وجهي!»

ثم دوّى أزيز فرقعة، وانتشرت رائحة تشبه الأوزون، مرّ فرع خاطف من البرق الأزرق الأبيض بمحاذاة يمين جاك، فصهَر الرمل كالزجاج.

ثم أمسك التعويذة... أمسكها من جديد! وبدأ الألم الممزّق النابض بين فخذيه يخفّ على الفور، استدار نحو مورغان رافعًا الكرة الزجاجية بين يديه.

كان مورغان سلوت ينزف من شفته، ويرفع يدًا إلى خدّه، وأمل جاك أنه قد كسر بعض أسنان سلوت أيضًا. وفي اليد الأخرى، الممدودة في موضعٍ مواجه لموضع جاك على نحوٍ غريب، حمل الشيء المفتاحيّ الذي أطلق منذ لحظة صاعقة البرق على الرمل قرب جاك.

تحرّك جاك جانبًا، وذراعاه ممدودتان إلى الأمام، وتبدّلت الألوان داخل التعويذة كآلة قوس قزح، بدا كأنها تفهم قرب سلوت، إذ بدأت الكرة الزجاجية المخطّطة تطلق طنينًا خفيضًا شعر به جاك أكثر مما سمعه، كوخزٍ في راحتيه، انفتح داخلها شريطٌ أبيض صافٍ ساطع كشعاع نور اخترق مركزها، فانتفض سلوت جانبًا ووجّه المفتاح نحو رأس جاك.

مسح الدم عن شفته السفلى، وقال «لقد آذيتني، أيها الوغد الصغير القذر.. لا تظن أن تلك الكرة الزجاجية ستنقذك الآن.. مستقبلك أقصر من مستقبلها بقليل.»

«إذن لمَ تخاف منها؟» سأل الصبي، دافعًا بها إلى الأمام مرة أخرى.

تفادى سلوت جانبًا كما لو أن التعويذة نفسها قد تطلق صواعق. أدرك جاك.. «هو لا يعرف ما تستطيع فعله، لا يعرف

عنها شيئًا حقًّا، كل ما يعرفه أنه يريدها.»

«ألقِها فورًا»، قال سلوت.. «اتركها، أيها الدجّال الصغير، وإلا نسفتُ رأسك حالًا.. ألقها.»

«أنت خائف»، قال جاك.. «الآن بعدما صارت التعويذة أمامك مباشرة، تخاف من المجيء لأخذها.»

«لستُ مضطرًا أن آتي لأخذها»، صاح سلوت.. «اتركها، أيها المنتحِل اللعين.. لنرَ إن كنتَ ستكسرها بيدك، يا جاكي.»

«تعالَ وخذها أيها الأعرج»، قال جاك، شاعرًا بغضبٍ كاسح يدفعه بكامل قوته.. جاكي... كان يكره أن يسمع لقب أمه من فم سلوت الرطب.. «لستُ الفندق الأسود، يا أعرج.. أنا مجرد طفل.. ألا تستطيع أن تنتزع كرةً زجاجية من طفل؟»

كان جليًا له أن المواجهة متجمّدة ما دام ممسكًا بالتعويذة.. اشتعلت شرارة زرقاء داكنة في قلب الكرة ثم انطفأت، تبعتها أخرى على الفور، ومع ذلك ظلّ ذلك الطنين القوي ينبعث من قلب الزجاج المخدّر.. لقد كُتِب له أن يحصل على التعويذة؛ كان مقدّرًا له أن يأخذها.. كانت التعويذة، كما خطر له، تعرف بوجوده منذ مولده، وانتظرت لتتحرّر على يده.. كانت تحتاج إلى جاك سوير وحده.. قال متحدّيًا.. «هلمّ وحاول أن تأخذها.»

دفع سلوت بالمفتاح نحوه وهو يزأر، يتدلّى الدم من ذقنه، وللحظة بدا حائرًا، محبطًا وغضوبًا كثورٍ في حظيرة، وابتسم

له جاك فعلًا.. ثم لمح جاك بطرف عينه ريتشارد الراقد على الرمل، فاختفت الابتسامة من وجهه حيث رأى وجه ريتشارد مكسوًا بالدم حرفيًا، وشعره الداكن ملتصقًا به.

«أيها الوغد...» بدأ، لكنه أخطأ حين صرف نظره.. إذ ارتطم انفجار حارق من نور أزرق وأصفر مباشرةً إلى جواره.

التفت إلى سلوت الذي كان يطلق صاعقة أخرى عند قدميه، تراجع جاك قفزًا، وصهَر عمود الضوء المدمّر الرمل عند قدميه إلى سائل أصفر منصهر، سرعان ما تصلّب إلى شريط طويل أملس من الزجاج.

«ابنك سيموت»، قال جاك.

«وأمك ستموت»، ردّ سلوت بزَمجرة.. «ألقِ تلك اللعينة قبل أن أقطع رأسك، الآن.. اتركها.»

قال جاك «لِمَ لا تذهب وتضاجع ابن عرس؟»

فتح مورغان سلوت فمه صارخًا، كاشفًا عن صفٍّ من أسنان مربّعة ملطّخة بالدم.. «سأضاجع جثتك!» تذبذب المفتاح نحو رأس جاك ثم ابتعد، تلألأت عينا سلوت، ورفع يده فجأةً فصار المفتاح يشير إلى السماء، انبثقت من قبضته سحابة طويلة من البرق صاعدةً، تتسع كلما ارتفعت، أظلمت السماء.. وأشرقت التعويذة ووجه مورغان في العتمة المفاجئة... ووجهه لأن نور التعويذة فاض عليه.. أدرك جاك أن وجهه هو أيضًا لا بدّ أن يكون قد انكشف في ذلك التوهّج العنيف.

وما إن لوّح بالتعويذة المتوهّجة نحو سلوت، لا يدري أيعمد إلى إرغامه على إسقاط المفتاح، أم إلى استفزازه، أم إلى فرك أنفه بعجزه حتى فُهِم له أنه لم يبلغ بعد نهاية قدرات مورغان سلوت...

راحت رقائق ثلجٍ سمينة تهوي من السماء المظلمة، توارى سلوت خلف ستار الثلج المتكاثف، وسمع جاك تردد ضحكته اللزجة.

4

نهضت متعثّرة من سريرها العاجز.. ومضت إلى النافذة، تطلّعت إلى شاطئ ديسمبر الموحش، الذي اضائه مصباح شارعٍ واحد على الممشى الخشبي، وفجأةً حطّ نورس على حافة النافذة في الخارج، تدلى شريط غضروفي من أحد جانبي منقاره، وفي تلك اللحظة فكّرت في سلوت.. بدا النورس شبيهًا بسلوت.

ارتدّت ليلي إلى الخلف أولًا، ثم عادت، شعرت بغضبٍ سخيفٍ تمامًا... لا يمكن لنورس أن يشبه سلوت، ولا يمكن لنورس أن يغزو أرضها... هذا ليس صوابًا.. طرقت الزجاج البارد بطرف إصبعها فنفش الطائر جناحيه للحظةً قصيرة، لكنه لم يطر، وعندها سمعت فكرةً تنبعث من عقله البارد، سمعتها بوضوح موجةٍ إذاعية..

«جاك يحتضر يا ليلي... جاك يحتـــــــضر...»

أمال رأسه إلى الأمام، وطرق الزجاج عمدًا، كغراب إدغار آلان بو..

«يحتـــــضر...»

«لا!» صرخت فيه.. «ابتعد أيها اللعين، يا سلوت!» لم تطرق هذه المرة، بل اندفعت بقبضتها إلى الأمام، فاخترقت الزجاج، تراجع النورس خافقًا وهو يصيح، وكاد يسقط. اندفع الهواء الجليدي عبر الفتحة في النافذة.

والدم يقطر من يد ليلي لا؛ لا يقطر فحسب، بل ينساب... لقد جرحت نفسها بعمق في موضعين.. التقطت شظايا الزجاج من وسادة اللحم عند جانب راحة يدها، ثم مسحت يدها في صدر قميص نومها.

«لم تتوقع ذلك.. أليس كذلك يا ذي الدماغ الخربة» صرخت في وجه الطائر الذي دار بقلق فوق الحدائق، ثم انفجرت باكية.. «اتركه الآن! دعه وشأنه! دع ابني وشأنه!»

كانت مغطّاة بالدم من رأسها إلى أخمص قدميها.. والهواء البارد يندفع عبر اللوح الزجاجي الذي حطمته، وفي الخارج رأت أوّل رقاقات الثلج تتهادى من السماء، وتدوّر داخل الضوء الأبيض لذلك المصباح الوحيد.

5

«احترس، يا جاكي.»

تردد صوت ناعم.. من جهة اليسار.

دار جاك إلى هناك، رافعًا التعويذة ككشاف ضوء، فأرسل شعاعًا مضيئًا مغطى بتساقط الثلوج.

لم يدرك شيئًا حوله سوى... الظلام... الثلج... صوت المحيط.

«الجهة خطأ، يا جاكي.»

استدار إلى اليمين، وقد انزلقت قدماه على طبقة الثلج المتجمد، بات قريبًا أكثر من ذي قبل.

رفع جاك التعويذة «تعال وخذها، أيها اللعين سلوت!»

«ليس لديك فرصة، يا جاك.. يمكنني الإمساك بك متى شئت.»

من هلفه... أقترب وأقترب.. لكن عندما رفع التعويذة المتوهجة، لم يرَ سلوت فقط اندفع الثلج في وجهه، استنشق الهواء البارد وبدأ يسعل.

ضحك سلوت من أمامه مباشرة.

ارتد جاك إلى الخلف، وكاد يتعثر في سبيدي.

«هوو.. هوو، جاكي!»

ظهرت يد من الظلام على يساره، وخدشت أذن جاك، استدار في تلك الجهة، وقلبه يخفق بشدة، وعيناه تتسعان.. انزلقت قدمه، وركع.

أطلق ريتشارد تنهيدة خافتة كالشخير من مكان قريب..

من فوقه، دوّت مدافع الرعد في الظلام الذي جلبه سلوت بطريقة ما.

«اقذفها عليّ!» سخر سلوت، وهو يرقص خارج الظلام العاصف المتشابك، ويفرقع أصابع يده اليمنى، يلوح بالمفتاح المعدني بيساره نحو جاك.. كانت حركاته متقطعة، متزامنة بطريقة غريبة، بدا لجاك كقائد فرقة لاتينية قديم... ربما كزافييه كوجات.

«اقذفها عليّ، لما لا؟ معرض الرماية، يا جاك! حمامة طينية! العم مورغان الكبير! ما رأيك، يا جاك؟ جرب حظك، اقذف الكرة واربح دمية كيوبي!»

واكتشف جاك أنه سحب التعويذة إلى كتفه الأيمن، ربما بنية تنفيذ ذلك.. لقد حاول إخافته، دفعه للذعر، لإجباره على التخلي عنها...

تلاشى سلوت مرة أخرى في الغيوم، واندفع الطوفان الثلجي كالزوبعة.

استدار جاك متوتّرًا، لكنه لم يرَ سلوت في أي مكان.. ربما غادر! ربما...

«ما خطبك، يا جاكي؟»

لا، إنه مازال هنا.. في مكان ما.. على اليسار.

«ضحكت عندما مات والدك العزيز، يا جاكي. ضحكت في وجهه، وعندما توقَّف محركه أخيرًا شعرت...»

تذبذب الصوت، ثم خفت للحظة، وعاد، من جهة اليمين.

استدار جاك متفاجئًا، لا يفهم ما يحدث، وتحتد أعصابه أكثر فأكثر.

«... قلبي طار كطائر في السماء، طار هكذا، يا جاكي.»

اندفع حجر من الظلام، موجه ليس إلى جاك بل إلى الكرة الزجاجية، تفادى جاك الحجر، ولمح سلوت بصعوبة، ثم اختفى مجددًا.

صمت... ثم عاد سلوت، يعزف تسجيلًا جديدًا.

«لقد ضاجعت والدتك، يا جاكي»، سخِر الصوت من خلفه.

يد سميكة وحارة شدت سرواله.

استدار جاك، وكاد أن يتعثر مرة أخرى في ريتشارد.. دموع حارّة، مؤلمة، غاضبة بدأت تتدفق من عينيه.. كرهها، لكنها هناك، ولا شيء في العالم يستطيع إنكارها.

صرخت الرياح كتنين في نفق الرياح...

قال سبيدي «السحر فيك»،

لكن أين السحر الآن؟ أين، أين، أين؟

«كف عن الحديث عن أمي!»

«ضاجعتها كثيرًا»، أضاف سلوت بفرح متغطرس...

مرة أخرى على اليمين، شكل سمين يرقص في الظلام.

«ضاجعتها بدعوة منها، يا جاكي!»

وراءه! قريب جدًا!

استدار جاك، رفع التعويذة، فومض ضوء أبيض، ترنح سلوت بعيدًا عنها، لكن قبل ذلك، رأى جاك انقباض الألم والغضب على وجهه.. لقد لمس الضوء سلوت وأذاه.

لا تهتم بما يقوله.. كلها أكاذيب وأنت تعرف ذلك.. لكنه... كيف يفعل هذا؟ يشبه إدغار بيرغن، لا... يشبه الهنود في الظلام، الذين يقتربون من قافلة العربات.. كيف يستطيع؟

«أحرقت شعري قليلًا تلك المرة، يا جاكي»، قال سلوت، وضحك بصوت منتصر.. لقد بدا منهكًا قليلًا، لكن ليس بما يكفي.. لهث جاك كالكلب في يوم صيف حار، وعيناه تبحثان عن سلوت في الظلام العاصف.

«لكن لن ألومك، يا جاكي.. دعنا نرى... عما كنا نتحدث؟ آه نعم، عن والدتك...»

تذبذب قليل... خفوت قليل... ثم اندفع حجر من الظلام على اليمين وضرب جاك في صدغه.. استدار، لكن سلوت

اختفى مرة أخرى، قافزًا برشاقة إلى الثلج.

«كانت تلف ساقيها الطويلتين حولي حتى أصرخ للرحمة!» أعلن سلوت من خلف جاك وإلى اليمين. «آووووو!»

لا تدغه يسيطر عليك... لا تدعه يخيفك...

لكنه لم يستطع المقاومة.. كانت أمه التي يتحدث عنها هذا الرجل القذر؛ أمه...

«توقف! اصمت!»

سلوت أمامه الآن... قريب جدًا، لدرجة أنه من المفترض أن يراه بوضوح رغم الثلج المتساقط، لكن كل ما كان هناك وميض، كوجه يُرى تحت الماء في الليل.

اندفع حجر آخر من الظلام وضرب جاك في مؤخرة رأسه، تعثر إلى الأمام وكاد أن يتعثر على ريتشارد مرة أخرى... ريتشارد الذي بدأ يختفي سريعًا تحت بطانية من الثلج.

رأى النجوم... وفهم ما يحدث...

سلوت يتنقل! يتنقل... يتحرك... يقفز إلى الخلف!

استدار جاك في دائرة غير مستقرة، كرجل محاصر بمئة عدو بدل واحد، شعاع من البرق الأخضر المزرق خرج من الظلام مد يده نحو التعويذة، آملاً أن تعيده إلى سلوت.. لكن فات الأوان.. خفتت اللحظة.

لماذا لا أراه هناك؟ هناك في الأراضي؟

وجاءته الإجابة في ومضة مذهلة... وكأن التعويذة أجابت، فومضت بمروحة رائعة من الضوء الأبيض قطعت ظلمة الثلج كما المصابيح الأمامية للقطار.

«لا أراه هناك، لا أستجيب له هناك، لأنني لست هناك! جيسون ذهب... وأنا أحادي الطبيعة! سلوت يقفز على شاطئ لا يوجد فيه أحد سوى مورغان من أوريـس ورجل ميت أو يحتضر اسمه باركوس، ريتشارد ليس هناك أيضًا، لأن ابن مورغان من أوريـس، رشتون، مات منذ زمن بعيد، وريتشارد أحادي الطبيعة أيضًا! عندما قفزت سابقًا، كانت التعويذة هناك... لكن ريتشارد لم يكن! مورغان يقفز... يتحرك... يقفز إلى الخلف... يحاول إخافتي...»

«هوو-هوو! يا جاكي!»

اليسار!

«هنا!»

اليمين!

لكن جاك لم يعد يسمع المكان.. بل دقق النظر في التعويذة، منتظرًا الإيقاع الأهم في حياته.

من الخلف.. هذه المرة سيأتي من الخلف...

ومضت التعويذة، ككشاف قوي في الثلج.

استدار جاك... واستدار وقفز إلى الأراضي، إلى ضوء

الشمس الساطع. وهناك كان مورغان من أوريـس، ضخم كما الحياة وقبيح قبح مضاعف.. للحظة لم يدرك جاك أنه وقع في الحيلة؛ كان مورغان يعرج بسرعة إلى مكان سيكون خلف جاك عند عودته إلى الأراضي الأمريكية.

ابتسامة صبيانية شريرة على وجهه، عباءته تتطاير خلفه، حذاؤه الأيسر يجر خطوطًا على الرمال.

ركض حوله في دائرة مضيقًا عليه الخناق، يثيره بأكاذيب فاحشة عن والدته، يقذف الحجارة، ويقفز ذهابًا وإيابًا.

صرخ جاك.. «أراك!» بأعلى صوته.

حدق مورغان مذهولًا، قابضًا بيده على القضيب الفضي.

«أراك!» صرخ جاك مرة أخرى.. «هل ندور مرة أخرى، أيها اللعين؟»

رمى مورغان طرف القضيب نحوه، وتحول وجهه خلال ثانية من التعبير البسيط المرن للدهشة إلى نظرة أكثر مكرًا... رجل ذكي يرى كل الاحتمالات بسرعة.. ضاقت عيناه، وكاد أن يقتل جاك، لكن بذكاءه أدرك جاك كيف يقفز مورغان بين العوالم، فنجا مجددًا.

تمسك جاك بمكانه، منتظرًا الإيقاع شبه السحري.. وفي لحظة وجيزة، حبس أنفاسه...

لو كان مورغان أقل غرورًا بمكره، ربما كان قد قتل جاك في تلك اللحظة.

لكن، تمامًا كما توقع، اختفى مورغان فجأة من الأراضي.

شهق جاك.. كان جسد سبيدي (جسد باركوس، أدرك جاك) بلا حراك على بعد قصير.. جاء الإيقاع.. زفر جاك وقفز مرة أخرى.

شريط زجاجي جديد قسم الرمال على شاطئ بوينت فينوتي، عاكسًا شعاعًا أبيض مفاجئ صادر عن التعويذة.

«فاتتك واحد، أليس كذلك؟» همس مورغان سلوت من الظلام.

ثلج يقصف جاك، الرياح الباردة تجمد أطرافه، حلقه، جبينه، على مسافة طول سيارة، وجه سلوت أمامه، جبهته مشدودة في تجاعيد مألوفة، فمه الدموي مفتوح، يمد المفتاح نحو جاك في العاصفة، وخط دم أسود ينساب من فتحة أنفه اليسرى الصغيرة، عينا سلوت، المحمرتان إثر الألم، تتلألأان في الظلام.

6

فتح ريتشارد سلوت عينيه في ارتباك، كان كل جزءٍ من جسده غارقًا في البرد، وفي اللحظات الأولى ظنّ، بلا أي انفعال على الإطلاق، أنه قد مات.. لقد سقط في مكان ما، على الأرجح من تلك الدرجات الشديدة الانحدار والمخاتلة خلف مدرّج مدرسة ثاير، والآن هو بارد وميت، ولن يحدث له شيء بعد الآن.. اجتاحه لثانية واحدة إحساس مذهل بالارتياح.

غير أن رأسه منحه اندفاعًا جديدًا من الألم، وشعر بدمٍ دافئ يسيل فوق يده الباردة... وهذان الإحساسان دليلًا على أنه، مهما تمنى في تلك اللحظة، فإن ريتشارد لويلين سلوت لم يكن قد مات بعد... بل إنه محض مخلوقٍ جريحٍ يتألم، بدا له وكأن قمة رأسه قد شُطرت بالكامل، لم يكن لديه أدنى تصور صحيح عن مكانه...

كان الجو باردًا، دقق عيناه بما يكفي فأخبراه بأنه مستلقٍ في الثلج.. لقد حلّ الشتاء، وقذفت عليه السماء وابل من الثلج، ثم سمع صوت أبيه، فعادت إليه كل الأشياء دفعة واحدة.

أبقى ريتشارد يده على قمة رأسه، لكنه أمال ذقنه ببطء شديد ليتطلع في الاتجاه الذي أتى منه صوت أبيه.

كان جاك سوير ممسكًا بالتعويذة، وهذا هو الأمر التالي الذي

وعاه ريتشارد.. والتعويذة سليمة غير مكسورة.. فعاد إليه جزء من ذلك الارتياح الذي شعر به حين ظنّ نفسه ميتًا!

وحتى من دون نظارتيه، استطاع ريتشارد أن يرى على جاك نظرةً لا تُقهَر ولا تنحني، نظرة هزّته من أعماقه.. بدا جاك كأنه... كأنه بطل.. لا أكثر.. بدا كبطلٍ متّسخٍ أشعث، فتيٍّ بشكل فاضح، غير ملائم للدور في كل شيء تقريبًا، لكنه مع ذلك بطلٌ بلا جدال.

أدرك ريتشارد الآن أن جاك هو مجرد جاك.. تلك الهالة الاستثنائية، كأن نجمًا سينمائيًا تكرّم بأن يتجول في هيئة صبي في الثانية عشرة بثياب رثّة، كانت قد زالت، وهذا ما جعل بطولته أشد وقعًا في نفس ريتشارد.

ابتسم أبوه ابتسامةً شرهة، لكن ذلك لم يكن أباه.. لقد اشتهلك أبوه منذ زمن بعيد... استهلكته غيرته من فيل سوير، وجشع طموحاته.

قال جاك «يمكننا أن نظل ندور على هذا النحو إلى الأبد.. أنا لن أسلمك التعويذة أبدًا، وأنت لن تستطيع تدميرها بتلك الأداة التي بيدك. استسلم.»

تحرك طرف المفتاح في يد أبيه ببطء إلى الأمام وإلى الأسفل، وكعادة وجه أبيه الجائع المحتاج، استقر موجّهًا مباشرةً نحوه.

قال أبوه «سأفجّر ريتشارد أولًا.. هل تريد حقًا أن ترى

صديقك ريتشارد يتحول إلى شرائح لحم مقدد؟ هممم؟ هل تريد؟ وبالطبع لن أتردد في أن أسدي الخدمة نفسها لذلك الطفيلي إلى جواره.»

تبادل جاك وسلوت نظرةً خاطفة قصيرة، وعلم ريتشارد أن أباه لا يمزح.. سيقتله إن لم يُسلِّم جاك التعويذة.. ثم سيقتل الرجل الأسود العجوز، سبيدي.

همس بصعوبة «لا تفعل ذلك... تبًا له يا جاك.. دعه يذهب إلى الجحيم.»

وكاد جاك أن يصيب ريتشارد بالجنون حين غمزه بمزحة سريعة.

وقال أبوه «فقط ألقِ التعويذة.»

وشاهد ريتشارد، في رعبٍ مطبق، جاك وهو يُميل كفيه ويدع التعويذة تتدحرج وتسقط من بين يديه.

7

«جاك، لا!»

لم ينظر جاك إلى ريتشارد.. «لن تمتلك شيئًا ما لم تستطع التخلي عنه»، كرر عقله له هذه الحقيقة بنبضات مستمرة.. «لن تمتلك شيئًا ما لم تستطع التخلي عنه، ما الفائدة التي تعود على الإنسان؟ لا فائدة على الإطلاق، لا شيء على الإطلاق، ولن تتعلم ذلك في المدرسة، بل تتعلمه على الطريق، تتعلمه من فريد جانكلو، ومن وولف، ومن ريتشارد وهو يندفع برأسه إلى الصخور مثل صاروخ تايتان II لم ينفجر بشكل صحيح.»

تتعلم هذه الأشياء، أو تموت في مكان ما في العالم حيث لا نور واضح.

«لا مزيد من القتل»، قال في ظلمة الشاطئ المملوءة بالثلوج في تلك الظهيرة في كاليفورنيا.. مغمورًا بالإرهاق التام... لقد كانت، إجمالًا، أربعة أيام من الرعب، والآن، في النهاية، أسقط الكرة كما يفعل لاعب كرة أمريكية مبتدئ يحتاج الكثير ليتعلمه...

لقد أضاع كل شيء.. ومع ذلك، ها هو ذاك صوت أندرس المؤكد الذي سمعه، أندرس الذي ركع أمام جاك/جيسون مسدلا تنورته حوله ورأسه منحني أندرس يقول «كل شيء سيكون على ما يرام، كل شيء سيكون على ما يرام، وكل

الأمور ستكون على خير ما يرام.»

توهجت التعويذة على الشاطئ، وذابت الثلوج على جانبها بشكل لطيف في قطرات، وعبر كا قطرة ارتسم قوس قزح، وفي تلك اللحظة أدرك جاك نقاء التخلي عن الشيء المرغوب.

«لا مزيد من المذابح.. انطلق وحطمها إن استطعت»، صاح.. «أنا آسف من أجلك.»

وكان هذا الأخير هو ما دمر مورغان سلوت بالتأكيد.. لو احتفظ بأقل قدر من العقلانية، لكان قد اقتلع حجرًا من الثلج الغريب وحطم التعويذة... كما امكنه تحطيمها، في وضعها الضعيف، البسيط، المكشوف.

بدلاً من ذلك، أدار المفتاح عليها.

وفي أثناء ذلك، امتلأ ذهنه بذكريات حب وكراهية عن جيري بلدسو وزوجته.

جيري بلدسو، الذي قتله، ونيتا بلدسو، التي كان يجب أن تكون ليلي كافانو... ليلي، التي صفعته بقوة حتى نزف أنفه مرة واحدة عندما حاول لمسها وهو سكران.

انطلقت النار... نار خضراء وزرقاء ممتدة من ماسورة المفتاح المعدني الرخيص، صوبت نحو التعويذة، ضربتها، انتشرت فوقها، محولة إياها إلى شمس مشتعلة.

كل لون كان هناك للحظة... للحظة، كان كل العالم هناك، ثم اختفى.

ابتلعت التعويذة النار القادمة من مفتاح مورغان...

ابتلعتها كاملة...

عاد الظلام، هوت قدما جاك من تحت جسده، وجلس مرتطمًا على ساقي سبيدي باركر الممدودتين بلا حراك. أصدر سبيدي صوتًا خشنًا وارتجف.

كان هناك توقف لمدة ثانيتين حينما ثبت كل شيء... ثم فجأة اندفعت النار مرة أخرى من التعويذة في فيضان، فتح جاك عينيه على مصراعيهما رغم فكره المضطرب والمعذب

(ستفقد بصرك! جاك! ستفقده!)

وأضيئت الجغرافيا المتغيرة لشاطئ بوينت فينوتي كما لو أن إله كل الأكوان انحنى للأمام ليلتقط صورة، رأى جاك السفينة أجينكور، منهارة ونصف مدمرة؛ رأى المرتفعات المنهارة التي صارت الآن الأراضي المنخفضة؛ رأى ريتشارد على ظهره؛ رأى سبيدي مستلقيًا على بطنه ووجهه ملتف إلى جانب واحد، كان سبيدي مبتسمًا.

ثم اندفع مورغان سلوت إلى الخلف محاصرًا بحقل من النار من مفتاحه الخاص... نار ابتلعتها التعويذة كما ابتلعت ومضات الضوء من منظار الشمس الخاص بجاردنر المنير.. وأعادتها إليه ألف مرة.

فتح ثقب بين العوالم.. ثقب بحجم النفق المؤدي إلى أوتلي.. ورأى جاك سلوت، ببدلته البنية الجميلة المشتعلة،

ويده الهزيلة العظمية ما زالت ممسكة بالمفتاح، مدفوعة عبر ذلك الثقب، كانت عينا سلوت تغلي في محجريهما، لكنهما مفتوحتين... كان واعيًا...

وبينما مرّ رأى جاك تغيره.. رأى العباءة تظهر كأجنحة خفاش حلّق عبر لهب شعلة، رأى حذاءه المشتعل، شعره المشتعل، رأى المفتاح يصبح شيئًا يشبه صاعق البرق المصغر.

ورأى... ضوء النهار!

8

عاد في فيضان، تدحرج جاك بعيدًا عنه على الشاطئ المغطى بالثلوج، مبهورًا..

وفي عمق أذنيه داخل رأسه سمع صرخة مورغان سلوت المحتضرة وهو يُدفَع إلى الوراء عبر كل العوالم التي كانت، نحو العدم.

«جاك؟» جلس ريتشارد متمايلًا، ممسكًا برأسه. «جاك، ماذا حدث؟ أظن أنني سقطت من درجات المدرج.»

كان سبيدي يرتجف في الثلج، والآن قام بضغط جسدي يشبه تمرين الفتيات ودون أن يتوقف نظر نحو جاك. بعينين منهكتين... ووجه خالٍ من العيوب.

«عمل ممتاز، جاك»، قال وابتسم.. «ممتاز...» ثم انحدر جزئيًا إلى الأمام مرة أخرى، لاهثًا.

«قوس قزح»، فكر جاك وهو مذهول.. نهض ثم سقط مرة أخرى.. غطى الثلج المتجمد وجهه ثم بدأ يذوب مثل الدموع، دفع نفسه على ركبتيه، ثم نهض مرة أخرى.. كان مجال رؤيته مليئًا بالبقع... لكنه رأى البقعة الضخمة المحترقة في الثلج حيث كان مورغان واقفًا.. تتلاشى مثل دمعة.

«قوس قزح!» صرخ جاك سوير، ورفع يديه نحو السماء، يبكي ويضحك! مرددًا «قوس قزح! قوس قزح!»

توجه إلى التعويذة، والتقطها وهو لا يزال يبكي.

أخذها إلى ريتشارد سلوت، الذي كان رشتون؛ إلى سبيدي باركر، الذي كان ما هو عليه...

شفاهم...

«قوس قزح، قوس قزح، قوس قزح!»

الفصل السادس والأربعون

رحلة أخرى

1

لقد شفاهم، لكنه لم يكن قادرًا أبدًا على تذكّر كيف جرى ذلك على وجه الدقّة، أو أيًا من تفاصيله المحددة... كل ما بقي في ذاكرته، على نحو غامض، أن التعويذة قد توهّجت وغنّت بين يديه للحظات، وأن نارَها بدت وكأنها تنساب فوقهم حتى تشبعوا بحمّام من النور... هذا كل ما استطاع استعادته.

وفي النهاية، خبا الضوء المجيد في التعويذة... خبا... ثم انطفأ.

أطلق جاك، وهو يفكّر في أمّه، صرخةً مبحوحةً نائحة.

تعثّر سبيدي حتى وصل إليه عبر الثلج الذائب، ثم وضع ذراعه حول كتفي جاك.

قال سبيدي

«ستعود يا جاك المسافر.»

ابتسم، لكنه بدا أشدّ إرهاقًا بمرّتين من جاك.. لقد شُفي سبيدي... لكنه لم يكن بعدُ بخير.. إن هذا العالم يقتله، فكّر جاك بفتور.. على الأقل، يقتل الجزء منه الذي هو «سبيدي

باركر».

لقد شفته التعويذة... لكنه لا يزال يحتضر.

قال سبيدي

«لقد فعلتَ بها ما فعلت، وعليك أن تؤمن أنها ستفعل بك الأمر نفسه.. لا تقلق.. تعال إلى هنا، يا جاك.. تعال حيث يرقد صديقك.»

فعل جاك ذلك.. كان ريتشارد نائمًا في الثلج الذائب.. لقد اختفى ذلك الشريط الجلديّ الرخو المقزّز، لكن أثرًا طويلًا أبيض من فروة الرأس كان ظاهرًا بين شعره الآن... أثرًا من جلد لن ينبت عليه الشعر أبدًا.

قال سبيدي

«أمسك بيده.»

سأل جاك

«لماذا؟ ولمَ هذا؟»

قال سبيدي

«سننقلب.»

نظر جاك إلى سبيدي متسائلًا، لكن سبيدي لم يقدّم أي شرح.. اكتفى بأن أومأ، كأنه يقول نعم، أنت محق.

حسنًا، فكّر جاك، لقد وثقتُ به إلى هذا الحدّ...

فانحنى وأمسك بيد ريتشارد، أمسك سبيدي بيد جاك الأُخرى.

وفي لمح البصر، انقلب الثلاثة معًا.

2

استشف جاك بحدسه أن الشخص الواقف إلى جواره هنا، على هذا الرمل الأسود المطبوعة عليه آثار قدم مورغان الأوريسيّ في كل موضع، يبدو معافىً قويًا صحيح الجسد.

حدّق جاك بدهشةٍ ممزوجة بشيءٍ من القلق في هذا الغريب الذي بدا شبيهًا بعض الشبه بالأخ الأصغر لسبيدي باركر.

«سبيدي.. السيد باركوس، أعني.. من تكون...؟»

قال باركوس

«أنتما بحاجة إلى الراحة، أيها الفتيان، أنت على وجه اليقين، وهذا الفارس الغضّ الآخر أشدّ حاجةً إليها.. لقد اقترب من الموت أكثر مما قد يدركه أيّ شخص آخر غيره يومًا ما... ولا أظنه من الطراز الذي يعترف بالكثير، حتى لنفسه.»

قال جاك

«نعم... أنت مصيب تمامًا.»

قال باركوس لجاك

«سيرتاح على نحوٍ أفضل هنا.»

ثم انطلق صاعدًا على الشاطئ مبتعدًا عن القصر، حاملاً ريتشارد بين ذراعيه، ترنّح جاك يلاحقه قدر ما استطاع، لكنه أخذ يتخلّف عنه شيئًا فشيئًا.. تسارعت أنفاسه المتقطعة،

وارتعشت ساقاه كأنهما من مطّاط، وآلمه رأسه من أثر ارتدادات المعركة الأخيرة... صداع الصدمة المتأخّر، كما افترض.

«لماذا... إلى أين...»

هذا كل ما استطاع أن يلهث به، وقد ضمّ التعويذة إلى صدره، والتي غدت الآن خامدة، أسود سطحها الخارجيّ، وصار معتما بلا بريق ولا جاذبيّة.

قال باركوس

«فقط إلى أعلى قليلًا.»

ثم أردف

«أنت وصديقك لا ترغبان في أن تستريحا حيث كان هو، أليس كذلك؟»

هزّ جاك رأسه نافيًا، على شدّة ما كان به من إنهاك.

ألقى باركوس نظرةً سريعة للخلف، ثم نظر إلى جاك نظرةً حزينة.

قائلاً

«إن رائحة شرّه مازالت تعبق هناك في الخلف... وتفوح أيضًا برائحة عالمك، يا جاك..

أما بالنسبة إليّ، فالرائحتان متشابهتان على نحوٍ يبعث على القلق.»

ثم استأنف المضي، وريتشارد بين ذراعيه.

3

على بُعد أربعين ياردة صعودًا على الشاطئ توقَّف، هناك كان الرمل الأسود قد انحسر إلى لونٍ أفتح.. ليس أبيض، بل رماديًا متوسطًا.

أنزل باركوس ريتشارد برفق، وارتمى جاك إلى جواره.

كان الرمل دافئًا.. دافئًا على نحوٍ يبعث على الطمأنينة.. لا جليد هنا.

جلس باركوس إلى جانبه متربّعًا.

«ستنام الآن،» قال.. «قد لا تستيقظ قبل الغد، ولن يزعجك أحد إن حدث ذلك.. ألقِ نظرة.»

أشار باركوس بذراعه نحو الموضع الذي قامت فيه رأس فينوتي في الأراضي الأمريكيّة، رأى جاك أوّلًا القلعة السوداء، وقد انهار أحد جوانبها بالكامل وتفجّر، كما لو أن انفجارًا هائلًا وقع في جوفها...

بدت القلعة الآن عاديّةً كأنها بناء مألوف.. لقد احترق خطرها، وخُمل كنزها الآثم بعيدًا، لم تعد سوى حجارة مكدّسة في أنماط.

وبإمعان النظر أبعد، رأى جاك أن الزلزال لم يكن عنيفًا كثيرًا هنا.. ولم يكن ثقة الكثير ليُدمّر..

رأى أكواخًا قليلة مقلوبة كأنها شُيّدت في معظمها من

أخشاب طافية، ورأى عددًا من العربات المحطّمة التي قد تكون أو لا تكون... سيارات كاديلاك في الأراضي الأمريكيّة، ومن حين لآخر رأى جسدًا أشعث ساقطًا.

قال باركوس

«الذين كانوا هنا ونجَوا قد رحلوا الآن.. إنهم يعلمون ما الذي حدث، ويعلمون أن أورِيس قد مات، ولن يزعجوكم بعد اليوم.. الشرّ الذي قبع يوما هنا قد زال.. هل تعلم ذلك؟ هل تشعر به؟»

همس جاك

«نعم... لكن... يا سيّد باركوس... أنت لست... لستَ...»

«ذاهبًا؟ بلى.. قريبًا جدًا.. أنت وصديقك ستنعمون بنومٍ طيّب، لكن يجب أن يكون بيني وبينك حديث قصير أوّلًا.. لن يطول، لذلك أريدك أن تحاول رفع رأسك عن صدرك للحظة على الأقل.»

وببعض الجهد رفع جاك رأسه وفتح عينيه... حسنًا... على قدر ما استطاع.. من جديد.. أومأ باركوس.

«عندما تستيقظ، توجّه شرقًا... ولكن لا تنقلب! ابقَ هنا لبعض الوقت.. ابقَ في الأراضي.. سيكون هناك الكثير ممّا يجري في جانبكم فرق إنقاذ، طواقم أخبار، ولا يعلم جيسون ماذا أيضًا.. على الأقل سيذوب الثلج قبل أن يعلم أحد بوجوده، سوى قلّة سيتم التعامل معهم على أنهم غرباء

الأطوار...»

قاطعه جاك

«لماذا عليك أن ترحل؟»

قال باركوس

«لا بدّ لي من الترحال قليلًا الآن، يا جاك.. ثمّة عمل كثير ينبغي إنجازه هنا.. خبر موت مورغان يسافر الآن شرقًا بالفعل.. يسافر بسرعة.. وأنا أسير خلف هذا الخبر في هذه اللحظة، ويجب أن أتقدّم عليه إن استطعت.. أريد أن أعود إلى المخافر... وإلى الشرق... قبل أن يبدأ كثير من الأشرار في النزوح إلى أماكن أخرى.»

ثم نظر إلى المحيط، وكانت عيناه باردتين رماديّتين كالصّوّان.

«عندما يحين موعد السداد، لا بدّ للناس أن يدفعوا.. مورغان رحل، لكن الدّين ما زال قائمًا.»

قال جاك

«أنت هنا أشبه برجل شرطة، أليس كذلك؟»

أومأ باركوس.

«أنا ما تسمّيه القاضي العام والجلّاد الأعلى مجتمعين في شخصٍ واحد.. هنا، على أيّة حال.»

ثم وضع يده القويّة الدافئة على رأس جاك.

«أمّا هناك، فأنا مجرّد رجل يجوب من مكان إلى آخر، يقوم ببعض الأعمال العرضيّة، ويعزف بعض الألحان، وأحيانًا، صدّقني، يعجبني ذلك أكثر بكثير.»

ابتسم مزّة أخرى، وكانت تلك المزّة ابتسامة سبيدي.

«وسترى ذلك الرجل من حينٍ لآخر، يا جاكي.. نعم، من حينٍ لآخر ومن مكانٍ إلى مكان.. ربما في مركزٍ تجاري، أو في حديقة.»

وغمزه بعينه.

قال جاك بقلق

«لكن سبيدي... ليس بخير.. أيًّا يكن ما ألم به، فقد كان أمرًا لم تستطيع التعويذة أن تصلحه.»

قال باركوس

«سبيدي شيخٌ كبير.. هو في عمري، لكن عالمك جعله أكبر منّي.. ومع ذلك، ما يزال في عمره بضع سنوات متبقّية، ربما غير قليلة، فلا تقلق، يا جاك.»

سأله جاك

«هل تعدني؟»

ابتسم باركوس ابتسامة عريضة..

«أعدك.»

وردّ جاك بابتسامة منهكة..

«توجّه أنت وصديقك شرقًا، امشيا حتى تقدّرا أنكما قطعتم نحو خمسة أميال، عندما تتجاوزان تلك التلال المنخفضة، فسيصير الطريق سهلًا.. ابحثا عن شجرة عظيمة.. أعظم شجرة رأيتها في حياتك، عندما تصل إلى تلك الشجرة العتيقة الكبيرة، يا جاك، أمسك بيد ريتشارد، وانقلبا عائدَين ستخرجان قرب شجرة سيكويا عملاقة قد شُقّ نفق في أسفل الطريق، الطريق هو الطريق رقم سبعة عشر، وستكونان عند أطراف بلدة صغيرة في شمال كاليفورنيا تُدعى ستوريفيل.. ادخلا البلدة، ستجدان محطة موبيل عند إشارة الوميض.»

قال جاك

«ثم ماذا؟»

هزّ باركوس كتفيه.

«لا أدري، لا على وجه اليقين.. قد تلتقي يا جاك، بشخص ستتعرّف عليه.»

قال جاك

«لكن كيف سنعود إلى...»

«شششش،» قال باركوس، ووضع يده على جبين جاك تمامًا كما كانت تفعل أمّه حين كان

(رضيعًا هزيلا، والأبُ خرج يصطاد، وكلّ تلك الترهات الجميلة، لا لا، نم يا جاكي، كلّ شيء على ما يرام، كلّ شيء على ما يرام)

صغيرًا جدًّا...

«كفى أسئلة.. أظنّ أن كلّ شيء سيكون على ما يرام لك ولريتشارد الآن.»

اضطجع جاك، وضمّ الكرة الداكنة في ثنية ذراعه، بدا كأنّ على كلّ جفن من جفنيه كتلةً خرسانية مربوطة.

قال باركوس بوقارٍ هادئ

«لقد كنتَ شجاعًا وصادقًا، يا جاك.. ليتك كنتَ ابني... وأنا أحيّيك على شجاعتك، وعلى إيمانك، هناك أناس في عوالم كثيرة يدينون لك بجميلٍ عظيم.. وبطريقةٍ أو بأخرى، أظنّ أن معظمهم يشعر بذلك.»

استطاع جاك أن يرسم ابتسامة.

وقال بصوتٍ واهن

«ابقَ قليلًا.»

قال باركوس

«حسنًا.. إلى أن تنام.. لا تقلق، يا جاك.. لن يؤذيك شيء هنا.»

قال جاك

«أمّي كانت تقول دائمًا...»

لكن قبل أن يُتمّ جملته، سرقه النوم.

4

وهكذا ظلّ مستغرقًا النوم، على نحوٍ غامض، حتى في اليوم التالي حين كان مستيقظًا من الناحية التقنية... وإن لم يكن نومًا خالصًا، فثمّة على الأقل تلك القدرة الوقائيّة المُخدِّرة في الذهن التي جعلت معظم ذلك اليوم بطيئًا، حالمًا.. وقف هو وريتشارد، الذي بدا بدوره بطيئًا متردّد الحركة، تحت أطول شجرة في العالم، ومن حولهما بثّت شُذَرات ضوئية على أرض الغابة.

عشرة رجالٍ بالغين، لو تشابكت أيديهم، لما استطاعوا أن يطوّقوا جذعها.. كانت الشجرة شامخة صاعدةً، هائلةً متفرّدة في غابة من الأشجار الطوال بدت كوحش عملاق، مثالًا نقيًا على فيض أراضي العجائب.

«لا تقلق»، قال باركوس، حتى وهو يوشك أن يتلاشى ضبابيًا في الأثير كقطّ تشيشاير.. أمال جاك رأسه ليتطلّع نحو قمّة الشجرة، لم يدرك هذا إدراكًا واعيًا، لكنه كان مستنزفًا عاطفيًا لدرجة إن عظمة الشجرة لم تُثر فيه سوى ومضةٍ ضئيلة من الدهشة! وأسند جاك يده إلى القشرة الملساء على غير المتوقّع.

«لقد قتلتُ الرجل الذي قتل أبي»، قالها في سرّه..

وقبض بيده الأخرى على الكرة الداكنة، التي بدت ميّتة، كرة التعويذة.. حدق ريتشارد بدوره إلى أعلى، إلى رأس

الشجرة الجبّار، على ارتفاع يعادل ناطحة سحاب فوقهما. ملت مورغان، وكذلك جاردنر، ولا بدّ أن الثلج قد ذاب الآن عن الشاطئ. ومع ذلك، لم يكن كلّه قد زال.. شعر جاك وكأن شاطئًا كاملًا من الثلج يملأ رأسه.. لقد ظنّ ذات يوم... منذ ألف عام، كما بدا له الآن! أنه إن استطاع يومًا أن يُمسك بالتعويذة بين يديه حقًّا، فسيُغمر بالنصر والإثارة والرهبة إلى حدٍّ يجعله يفيض بها، لكنه الآن لم يشعر إلا بأدنى لمحة من كلّ ذلك. كان الثلج يتساقط في رأسه، ولم يكن يرى أبعد من تعليمات باركوس... وأدرك أن الشجرة الهائلة هي التي تسنده.

قال لريتشارد

«أمسك بيدي.»

تسائل ريتشارد

«لكن كيف سنعود إلى البيت؟»

رد جاك

«لا تقلق.»

وأطبق يده على يد ريتشارد.

لم يكن جاك سوير بحاجة إلى شجرةٍ تسنده.. فلقد جاك سوير قد ذهب إلى الأراضي الملعونة، وقهر الفندق الأسود، وكان شجاعًا وصادقًا، وكان أيضًا صبيًا في الثانية عشرة من عمره، منهك القوى، يتساقط الثلج في دماغه.

وانقلب عائدًا إلى عالمه بلا عناء، وانزلق ريتشارد عبر أيّ حواجز كانت هناك إلى جواره مباشرة.

5

لقد تقلّصت الغابة؛ أصبحت الآن غابة أمريكية، وتمايل سقف الأغصان برفق منخفضًا بشكل ملحوظ، وبدت الأشجار من حولهم أصغر حجمًا بشكل ظاهر مقارنةً بذلك الجزء من غابة الأراضي التي وجههم إليها باركوس.

أدرك جاك بخفوت هذا التغيير في مقياس كل شيء من حوله قبل أن يرى الطريق الإسفلتي ذو الحارتين أمامه؛ لكن واقع القرن العشرين اصطدم به تقريبًا على الفور، إذ ما أن رأى الطريق حتى سمع صوت الخفقان المتواصل لمحرّك صغير، فانسحب هو وريتشارد على الفور قبل أن تمرّ سيارة صغيرة بيضاء من نوع رينو لو كار بجانبهما.

انطلقت السيارة عبر النفق الذي شُقّ في جذع شجرة السيكويا العملاقة (والذي كان حجمه أكبر قليلاً من نصف نظيره في الأراضي)، لكن على الأقل بالغًا واحدًا وطفلين في السيارة لم يكونوا ينظرون إلى أشجار السيكويا التي جاءوا لرؤيتها من نيوهامبشير («عش حرًا أو مت!»). لقد استدارَت المرأة وطفلاها الصغيران في المقعد الخلفي ليتأمّلا جاك وريتشارد بدهشة، فبدت أفواههم ككهوفًا سوداء صغيرة، مفتوحة على مصراعيها.. لقد شاهدوا للتو صبيّين يظهرا بجانب الطريق كالأشباح، متشكّلين على نحوٍ معجزي وفوري من العدم، كما لو كانا الكابتن كيرك والسيد سبوك بعد أن نزلا من سفينتهما الفضائية عبر الانتقال الآني.

قال جاك لريتشارد

«هل تستطيع المشي قليلًا؟»

أجاب ريتشارد

«بالطبع.»

خطا جاك على سطح الطريق رقم 17، ومشى عبر الفتحة الضخمة في الشجرة.

فكر.. «ربما أكون أحلم بكل هذا، ربما أكون لا أزال على شاطئ الأراضي، وريتشارد فاقد الوعي بجانبي، وكلانا تحت رعاية باركوس الكريم.»

«قالت أمي دائمًا... قالت أمي دائمًا...»

6

مضيا كما لو كانا في ضباب كثيف (مع أنّ ذلك اليوم في تلك المنطقة من شمال كاليفورنيا كان مشمسًا وجافًا بالفعل)، قاد جاك سوير ريتشارد سلوت خارج غابة السيكويا العملاقة، ونزلا طريقًا مائلًا مرورًا بمروج ديسمبر اليابسة.

... أن أهم شخص في أي فيلم غالبًا ما يكون المصوّر ...

كان جسده بحاجة إلى مزيد من النوم، وعقله بحاجة إلى إجازة.

... أنّ الفيرموث هو هلاك المارتيني الجيد ...

تبعه ريتشارد بصمت، متأمّلًا.. كان بطيئًا جدًا لدرجة أنّ جاك اضطر إلى التوقّف على جانب الطريق والانتظار حتى يلحق به ريتشارد، على بُعد نصف ميل تقريبًا، تمكنا من رؤية بلدة صغيرة، لا بدّ أنها كانت ستوريفيل. بعض المباني البيضاء المنخفضة تراصت على جانبي الطريق، كُتب على أحدها: انتيكات، ومن وراء المباني، ومض ضوء إشارة المرور المعلق فوق تقاطع خالٍ، رأى جاك زاوية لافتة موبيل خارج محطة الوقود.

مشى ريتشارد متثاقلًا، رأسه منحنٍ لدرجة أنّ ذقنه اقترب من صدره تقريبًا.. وعندما اقترب، لاحظ جاك أخيرًا أنّ صديقه يذرف الدموع.

وضع جاك ذراعه حول كتفي ريتشارد وقال

«أريدك أن تعرف شيئًا.»

سأل ريتشارد، ووجهه الصغير متلطّخ بالدموع لكنه متحدٍ

«ماذا؟»

قال جاك

«أحبك.»

انتقلت عينا ريتشارد سريعًا إلى سطح الطريق، أبقى جاك ذراعه فوق كتفي صديقه، بعد لحظة، رفع ريتشارد رأسه ونظر مباشرة إلى جاك ثم أومأ برأسه.. وكان ذلك يشبه تمامًا ما قالت ليلي كافانو سوير، مرة أو مرتين، لابنها.. «جاكي، هناك أوقات لا يجب عليك فيها أن تفرغ ما في قلبك عبر فمك.»

قال جاك

«نحن في طريقنا، ريتشي.»

انتظر جاك حتى مسح ريتشارد دموعه..

«أظنّ أنّ شخصًا ما من المفترض أن يلتقينا هناك عند محطة موبيل.»

قال ريتشارد

«هتلر، ربما؟»

وضغط بكفيه على عينيه، بعد لحظة، أصبح جاهزًا مرة أخرى، وسار الصبيان معًا نحو ستوريفيل.

7

وقفت سيارة كاديلاك، على الجانب المظلل من محطة موبيل إلدورادو ذات هوائي تلفاز على شكل بوميرانغ في الخلف، بدت كبيرة كأنها منزل متنقل، ومظلمة بعمق كالموت.

قال ريتشارد متأوّهًا

«يا جاك... ورطة كبيرة!»

وأمسك بكتف جاك.. اتسعت عيناه وارتعش فمه.

شعر جاك بالأدرينالين يتدفق في جسده مرة أخرى.. لم يعد يرفع معنوياته، بل جعل التعب يزداد.. لقد كان هناك الكثير، الكثير، الكثير.

بدأ جاك النزول نحو محطة موبيل قابضًا على الكرة الكريستالية الداكنة التي أصبحت عليها التعويذة.

صرخ ريتشارد خلفه بصوت ضعيف

«جاك! ماذا تفعل بحق الجحيم؟ إنها واحدة منهم! نفس السيارات كما في ثايرا! نفس السيارات كما في بوينت فينوتي!»

قال جاك

«قال لنا باركوس أن نأتي إلى هنا.»

همس ريتشارد

«أنت مجنون، يا صاح.»

أجاب جاك

«أعلم ذلك. لكن كل شيء سيكون على ما يرام.. سترى.. ولا تنادني بـ›يا صاح‹.»

انفتحت باب الكاديلاك، وخرجت ساق غليظة مغطاة بجينز أزرق باهت.. استحال القلق لرعب حقيقي عندما رأى جاك أن مقدمة حذاء السائق الأسود قد قُطعت كاشفة عن أصابع القدم الطويلة والمشعرة.

صاح ريتشارد بجانب جاك مثل فأر في الحقل.

إنه ذئبًا بالفعل... أدرك جاك ذلك حتى قبل أن يستدير الرجل الذي وقف وقاربت قامته السبعة أقدام، شعره طويل ومبعثر وغير نظيف، متشابك حتى طوقه، نبتت به بعض نباتات البردقوش، ثم استدار الشكل الضخم، ورأى جاك ومضة عيون برتقالية.. فجأة تحوّل الرعب إلى فرح.

ركض جاك نحو ذلك الشكل الكبير دون اكتراث لموظف محطة الوقود الذي خرج ليلقي نظرة عليه، وللناس المتسكعين أمام المتجر العام، كان شعره يتطاير إلى الخلف، وحذاؤه الرياضي المهترئ يطرق الأرض بصوت عالٍ، ووجهه مبتسم بارتباك، وعيناه تتلألأ مثل التعويذة نفسها.

بدلة عمالة أوشكوش، بحق السماء.. نظارات دائرية بلا إطار.. نظارات جون لينون.. وابتسامة عريضة مرحبة.

صرخ جاك سوير

«وولف! وولف، أنت حي! وولف، أنت حي!»

كان مازال على بُعد خمسة أقدام عندما قفز، وأمسكه الذئب بسهولة وأناقة، مبتسمًا بسعادة.

قال وولف

«جاك سويرا وولف! انظر إلى هذا! تمامًا كما قال باركوس! أنا هنا في هذا المكان اللعين الذي تفوح منه رائحة المستنقع، وأنت هنا أيضًا! جاك وصديقك! وولف! رائع!»

أخبرت رائحة الذئب جاك أن هذا ليس ذئبه بالضبط، لكنها أشارت إلى أنه قريب منه... بالتأكيد قريب جدًا.

قال جاك وهو لا يزال بين ذراعي الذئب القويتين والمبعثرتين

«عرفت شقيقك.»

قال وولف

«أخي وولف»، ووضع جاك على الأرض، ومد يده ولمس التعويذة بطرف إصبعه.. كان وجهه مملوءًا بالتقدير والرهبة.. وعندما لمسها، ظهرت شرارة واحدة ساطعة دخلت عميقًا إلى عمق الكرة الباهتة مثل مذنب طافي.

شهق، ونظر إلى جاك، باسمًا، وابتسم جاك في المقابل.

وصل ريتشارد الآن، محدقًا بهما بدهشة وحذر.

قال جاك

«هناك ذئاب جيدة كما هناك سيئة في الأراضي»

قاطعه وولف

«الكثير من الذئاب الجيدة.»

مد يده نحو ريتشارد، تراجع ريتشارد للحظة ثم صافحه.. «كان شكل فمه عندما صافحه الذئب يجعل جاك يظن أن ريتشارد كان يتوقع نفس المعاملة التي منحها الذئب لهك باست منذ زمن بعيد.

قال جاك بفخر

«هذا هو أخ ذئبي من نفس الرحم.»

مسح حلقه، غير متأكد من كيفية التعبير عن مشاعره تجاه أخ هذا الكائن.. هل يفهم الذئاب التعازي؟ هل هي جزء من طقوسهم؟

قال

«أحببت أخاك.. أنقذ حياتي.. باستثناء ريتشارد هنا، كان تقريبًا أفضل صديق امتلكته على الإطلاق، أظنّ.. آسف لأنه مات.»

قال أخ وولف

«إنه في القمر الآن،وسيعود.. كل شيء يزول، جاك سوير،

مثل القمر، كل شيء يعود، مثل القمر.. هيا.. ألا تريد الهرب من هذا المكان النتِن؟»

بدت الدهشة على ريتشارد، لكن جاك فهمه وتجاوب معه فمحطة موبيل بدت محاطة برائحة زيتية حارة من الهيدروكربونات المقلية، كان الأمر مثل كفن بني يمكنك أن ترى من خلاله.

ذهب الذئب إلى الكاديلاك وفتح الباب الخلفي كسائق وعلى ما يبدو، هو كذلك بالفعل.

تمتم ريتشارد بخوف

«جاك؟»

قال جاك

«لا بأس.»

سأل ريتشارد

«لكن إلى أين...»

رد جاك

«إلى والدتي، أظن.. إلى أقصى البلاد، إلى أركاديا بيتش، نيو هامبشاير. درجة أولى.. هيا، ريتشي.»

سارا نحو السيارة.. على جانب المقعد الخلفي العريض كان هناك حقيبة جيتار قديمة ومهترئة، قفز قلب جاك مرة أخرى.

قال جاك

«سبيدي! هل سيأتي معنا؟»

رد أخ وولف مبتسمًا

«لا أعرف أحدًا اسمه سبيدي.. كان لي عم سريع الحركة، ثم أصبح أعور.. وولف!... ولم يستطع مواكبة القطيع بعد ذلك.»

أشار جاك إلى حقيبة الجيتار.

«من أين أتت هذه؟»

ابتسم الذئب، مُظهرًا أسنانه الكبيرة

«باركوس، تركها لك أيضًا.. كدت أنسى.»

أخرج من جيبه الخلفي بطاقة بريدية قديمة جدًا، على الوجه كانت هناك دوّامة مليئة بالخيول المألوفة.. إيلا سبيد وسيلفر ليدي من بينها، لكن السيدات في المقدمة يرتدين تنانير بارزة، والفتيان يرتدون سراويل قصيرة، وكثير من الرجال قبعات ديربي وشوارب رولّي فينجرز، وقد نعمت البطاقة كالحرير إثر مرور الزمن.

قلب البطاقة، وقرأ أولًا النص في الوسط

دوامة أركاديا بيتش

4 يوليو 1894

كان سبيدي، وليس باركوس الذي خط جملتين في مساحة

الرسالة، كان خطه كبيرًا، غير متقن، كتب بقلم رصاص ناعم ذو سن عريض

«لقد صنعت عجائبًا كبيرة، جاك.. استخدم ما تحتاجه من الموجود في الحقيبة والباقي احتفظ به أو تخلص منه.»

وضع جاك البطاقة في جيبه الجانبي وركب المقعد الخلفي للكاديلاك، متكئًا على المقعد الفخم.

كانت إحدى مشابك حقيبة الجيتار القديمة مكسورة ففتح الثلاثة الآخرين.

ركب ريتشارد بعد جاك، همس

«يا إلهي!»

كانت حقيبة الجيتار محشوة بأوراق نقدية فئة عشرين دولارًا.

8

قادهم وولف إلى المنزل، ومع أن جاك سرعان ما غشيه الغموض حول كثير من أحداث ذلك الخريف، فقد نُقشت كل لحظة من تلك الرحلة في ذاكرته لبقية حياته.. جلس هو وريتشارد في مؤخرة سيارة الكاديلاك إل دورادو، وقادهم وولف لأقصى الشرق، عرف وولف الطرق، وقاد بهم، أحيانًا يشغّل أشرطة Creedence Clearwater Revival(12)، بدا أن أغنية "اركض عبر الأدغال" هي المفضلة لديه... بصوت عالٍ يكاد يقترب من تمزيق طبلة الأذن... ثم يقضي فترات طويلة يستمع إلى تغيّرات نغمة الرياح وهو يعبث بزر نافذة بابه.. بدا أن ذلك يسحره تمامًا.

شرقًا، شرقًا، شرقًا... نحو شروق الشمس كل صباح، وإلى الغسق الأزرق العميق الغامض كل مساء، يستمع أولًا إلى جون فوغرتي ثم إلى الرياح، وجون فوغرتي مرة أخرى ثم الرياح مرة أخرى.

توقفوا لتناول الطعام في ستاكيز، وبرجر كينج، ودجاج كنتاكي، وعند الأخير، حصل جاك وريتشارد على وجبات فردية، بينما حصل وولف على دلو عائلي ولاك بنهم الواحد والعشرين قطعة، ومن صوت المضغ، بدا أنه أكل معظم العظام أيضًا... جعل ذلك جاك يتذكر وولف والفشار... أين كان ذلك؟ مانسي، أطراف مانسي مجمع سينمات سيبلكس، قبل

أن يُلقى بهما في دار نور الشمس.

ابتسم... ثم شعر وكأن سهمًا اخترق قلبه، نظر من النافذة حتى لا يرى ريتشارد لمعان دموعه.

في الليلة الثانية توقفوا في جولسبرغ، كولورادو، وطبخ وولف لهم عشاءً كبيرًا على شواية محمولة أخرجها من الصندوق الخلفي للسيارة، أكلوا في حقل ثلجي تحت ضوء النجوم، ملفوفين في معاطف ثقيلة استخرجها من مجموعة عازف الغيتار، رصدت السماء زخات نيزكية، ورقص وولف في الثلج كطفل.

قال ريتشارد بتأمل

«أحب هذا الرجل.»

رد جاك

«نعم، وأنا أيضًا.. كان يجب أن تقابل أخاه.»

«أتمنى لو قابلته.» بدأ ريتشارد يجمع القمامة، ما قاله بعد ذلك أربك جاك تقريبًا بالكامل..

«أظن أنني أنسى الكثير من الأمور، جاك.»

«ماذا تعني؟»

«ذلك تمامًا.. مع كل ميل أتذكر أقل قليلاً مما حدث.. كل شيء يصبح ضبابي، وأظن... أظن أن هذا ما أريده.. انظر، هل أنت متأكد حقًا أن والدتك بخير؟»

حاول جاك ثلاث مرات الاتصال بوالدته، فلم يجب أحد، لم يقلق كثيرًا حيال ذلك، فقد كانت الأمور على ما يرام، أو هكذا أمل.. وعندما يصل، ستكون هناك، مريضة... لكنها على قيد الحياة، هكذا يأمل.

«نعم.»

«فلماذا لا ترد على الهاتف؟»

قال جاك

«سلوت لعب ببعض الحيل على الهواتف، وأظن أنه فعل نفس الشيء مع المساعدين في نزل قصر الحمراء أيضًا.. لكنها بخير، مريضة... لكنها بخير.. ما زالت موجودة، أستطيع أن أشعر بها.»

«وإذا نجحت هذه المعجزة... « ارتجف ريتشارد قليلًا، ثم تابع

«ألا تزال... أقصد، ألا تزال تعتقد أنها ستسمح لي... أن أبقى معكم؟»

قال جاك

«لا، ربما سترغب أن تراك في دار أيتام، أو ربما في السجن! لا تكن غبيًا يا ريتشارد، بالطبع يمكنك البقاء معنا.»

«حسنًا... بعد كل ما فعله والدي...»

رد جاك ببساطة

«كان ذلك والدك، ريتشي، ليس أنت.»

«ألن تذكرني دائمًا؟ كما تعلم... تذكرني بالأمور؟»

«لن أفعل إذا أردت أن تنسى.»

«أريد ذلك، جاك... حقًا أريد.»

عاد وولف

«هل أنتم مستعدون؟ وولف!»

«كلنا مستعدون،» قال جاك.. «استمع، وولف، ماذا عن شريط سكوت هاميلتون الذي حصلت عليه في شايان؟»

«بالتأكيد، جاك.. ثم ماذا عن بعض أغاني فرقة Creedence؟»(13)

«'اركض عبر الأدغال، صحيح؟»

«أغنية رائعة، جاك! قوية! وولف! أغنية قوية جدًا!»

«بالتأكيد، وولف.» رمق جاك ريتشارد بعينين ممتزجتين بالدهشة، وابتسم ريتشارد بدوره.

في اليوم التالي اجتازوا نبراسكا وأيوا؛ وبعد يوم، مروا أيضًا بجانب أطلال دار نور الشمس المهدمة.. اعتقد جاك أن وولف أخذهم عمداً لرؤية المكان الذي مات فيه أخوه.. شغّل شريط Creedence بأعلى صوت ممكن، لكن جاك اعتقد أنه سمع وولف ينهار بالبكاء.

الزمن... شرائح متوقفة من الزمن... بدا جاك وكأنه يطفو، وانتابه شعور بالتعليق والانتصار والتوديع... بعدما أنجز عمله الشرفي.

مع غروب الشمس في اليوم الخامس، عبروا إلى نيو إنجلاند.

الفصل السابع والأربعون

نهاية الرحلة

1

بدت الرحلة الطويلة كلها من كاليفورنيا إلى نيو إنجلاند، بمجرد أن وصلوا إلى هذه المسافة، وكأنها قد حدثت في بعد ظهر واحد طويل ومساء واحد ممتد.. بعد ظهر استمر لأيام، ومساء ربما امتد طوال الحياة، مليء بغروب الشمس والموسيقى والمشاعر.

تساءل جاك في نفسه بدهشة يا لها من نار متأججة، أنا حقًا خارج هذا العالم، حين نظر للمرة الثانية خلال ما افترض أنه نحو ساعة إلى الساعة الصغيرة المثبتة في لوحة القيادة واكتشف أن ثلاث ساعات قد مرّت دون أن يشعر.. هل هو اليوم ذاته فعلًا؟

تدفقت أغنية "اركض عبر الأدغال" في الأجواء، وهزّ وولف رأسه على الإيقاع، مبتسمًا بلا توقف، يجد دومًا أفضل الطرق؛ نافذة السيارة الخلفية تُظهر السماء كلها مفتوحة بألوان الغسق الممتدة، أرجوانية وزرقاء، وذلك الأحمر العميق الرنان لغروب الشمس.

تذكر جاك كل تفصيلة من هذه الرحلة الطويلة الممتدة، كل كلمة، كل وجبة، كل لمحة من الموسيقى سواء زوت سيمز أو

جون فوغيرتي، أو وولف ببساطة يستمتع بأصوات الهواء، لكن امتداد الزمن الحقيقي قد انحنى في ذهنه حتى أصبح مركزًا متراصًا كألماسة.

نام في المقعد الخلفي المريح وفتح عينيه على الضوء أو الظلام، على أشعة الشمس أو النجوم. ومن الأمور التي تذكرها بدقة خاصة، بعد أن دخلوا نيو إنجلاند وبدأت التعويذة تتوهج مرة أخرى، مشيرةً إلى عودة الزمن الطبيعي أو ربما عودة الزمن نفسه إلى جاك سوير... ووجوه الناس الذين تطلعوا إلى المقعد الخلفي للإل دورادو (أناس في مواقف السيارات، بحّار وفتاة ذات وجه عريض في سيارة مكشوفة عند إشارة ضوئية في مدينة صغيرة مشمسة في أيوا، طفل نحيف من أوهايو يرتدي ملابس ركوب الدراجة على طراز فيلم Breaking Away)(14)ليروا ربما إذا كان ميك جاغر أو فرانك سيناترا قد قررا زيارتهم بالسيارة! لا، لم يكن هناك سوانت، أيها الناس.. سرقه النوم بعيدًا.

استفاق مرة واحدة (كولورادو؟ إلينوي؟) على دقّ موسيقى الروك، بينما صفق وولف بأصابعه محكمًا السيارة الكبيرة على الطريق بسلاسة، والسماء تتفجر بألوان برتقالية وأرجوانية وزرقاء، ورأى ريتشارد قد حصل على كتاب ما وكان يقرأه باستخدام ضوء المقعد الأمامي المدمج في الإل دورادو، كان كتاب عقل بروكا،(15) قد عرف ريتشارد دومًا الوقت.

أدار جاك عينيه إلى الأعلى وترك الموسيقى وألوان المساء

تغمره.

لقد فعلوها، لقد أنجزوا كل شيء... كل شيء إلا ما كان عليهم فعله في بلدة مصيف صغيرة الفارغة في نيو هامبشير.

خمسة أيام، أم غسق طويل حالم؟ "اركض عبر الأدغال". ساكسفون تينور زوت سيمز يقول إليك قصة، هل تحب هذه القصة؟ ريتشارد كان أخاه، أخاه...

عاد الزمن إليه تقريبًا حين استعادت التعويذة حياتها، خلال غروب الشمس الساحر في اليوم الخامس، فكر جاك في اليوم السادس.. أووتلي... كان بإمكاني أن أرشد ريتشارد عبر نفق أووتلي، وكل ما تبقى من تاب، كان بإمكاني أن أرشد وولف إلى الطريق... لكن لم أرغب في رؤية أووتلي مرة أخرى، لم يكن هناك رضا أو متعة في ذلك.

وأصبح الآن واعيًا إلى مدى قربهم، وإلى كم قطعوا من الطريق بينما انجرف عبر الزمن كصافرة.

لقد أوصلهم وولف إلى الشريان الكبير لطريق 95-I، والآن بعد أن كانوا في كونيتيكت، لم يعد شاطئ أركاديا إلا على بعد بضع ولايات، صعودًا على الساحل المنحني لنيو إنجلاند، ومن هذه النقطة فصاعدًا، بدأ جاك يعد الأميال والدقائق أيضًا.

2

في الساعة الخامسة وخمس عشرة دقيقة مساءً من يوم 21 ديسمبر، بعد حوالي ثلاثة أشهر من اليوم الذي حدّد فيه جاك سوير وجهته وأمَله نحو الغرب، وصلت سيارة كاديلاك إل دورادو السوداء إلى ممر كسر الحصى أمام فندق وحدائق قصر الحمراء في مدينة أركاديا بيتش، نيوهامبشاير.

في الغرب، اختفى الغروب وداعًا هادئًا، مزيجًا من الأحمر والبرتقالي تدريجيًا في الأصفر... ثم الأزرق... ثم البنفسجي الملكي، وفي الحدائق نفسها، تصادمت الأغصان العارية معًا تحت ريح الشتاء القاسية، وحتى قبل يوم لم يمضِ أسبوع كامل، كانت هناك شجرة صغيرة تلتقط الحيوانات الصغيرة وتأكلها سنجابيات، طيور، وحتى القطة النحيلة لموظف الاستقبال، لقد ماتت هذه الشجرة فجأة... أما النباتات الأخرى في الحديقة، فهي الآن عظمية المظهر، لكنها ما زالت تخفي حياة كامنة في سبات.

صوت إطارات الكاديلاك ذات الأحزمة الفولاذية يفرقع فوق الحصى، ومن الداخل، محجوب خلف الزجاج المظلل، انطلق صوت كريدنس كليروواتر ريفايفال، غنّى جون فوجرتي «الناس الذين يعرفون سحري قد ملأوا الأرض بالدخان».

توقفت الكاديلاك أمام الأبواب المزدوجة العريضة، لم يكن هناك سوى الظلام خلفها.. انطفأت المصابيح الأمامية

الطويلة، ووقفت السيارة الطويلة في الظل، وعادمها الأبيض ينبعث ببطء، ومصابيح الوقوف البرتقالية تتلألأ.

هنا، عند نهاية اليوم؛ هنا، عند الغروب، مع الألوان التي تتفتح من السماء الغربية في مجدها.

هنا...

هنا بالضبط، في هذه اللحظة.

3

خلف الكاديلاك ومض هناك ضوء خافت وغير مستقر.. إنها التعويذة... لكن توهّجها ضعيف، لا يزيد عن وهج يرقة مضيئة تحتضر.

التفت ريتشارد ببطء نحو جاك، وبدت ملامحه شاحبة وخائفة..

ممسكًا بكتاب كارل ساجان في كلتا يديه، ويعتصره كما تعصر غسّالة قطعة قماش.

فكر جاك.. إنها التعويذة ريتشارد، وابتسم.

قال ريتشارد «جاك، هل تريد...»

أجابه جاك «لا، انتظر حتى أناديك.»

فتح باب الكاديلاك الخلفي الأيمن وترجل من السيارة، ثم نظر إلى ريتشارد الجالس على مقعده منكمشًا.. صغير الحجم، يعصر كتابه بيديه، ببؤس...

دون تفكير، اقترب جاك للحظة وقبّل خد ريتشارد، وضع ريتشارد ذراعيه حول عنق جاك للحظة، وعانقه بعنف، ثم تركه، لم ينطق أي منهما بكلمة.

4

تحرّك جاك نحو الدرج المؤدي إلى بهو الطابق العلوي... ثم استدار يمينًا وسار للحظة نحو حافة الممرّ بدلاً من ذلك، كان هناك حاجز حديدي هناك، وأسفله صخور متشققة ومتدرجة تنحدر إلى الشاطئ.. وإلى يمينه، وقفت لعبة الأفعوانية في عالم المرح بأركاديا في مواجهة السماء المظلمة.

رفع جاك وجهه نحو الشرق، والريح التي عصفت بالحدائق الرسمية رفعت شعره عن جبهته ودفعت به إلى الخلف.

رفع الكرة في يديه، كما لو كان يقدّمها قربانًا للمحيط.

5

في الحادي والعشرين من ديسمبر عام 1981، وقف فتى يُدعى جاك سوير قرب المكان الذي تلتقي فيه المياه بالأرض، ويداه تحضنان شيئًا ذا قيمة، مطلًا على المحيط الأطلسي الهادئ في الليل.

كان قد أتمّ الثالثة عشرة من عمره في ذلك اليوم، وإن لم يكن مدرك ذلك، وكان ذا جمال فائق، شعره البني طويلاً.. ربما أطول من اللازم.. لكن نسيم البحر صفّفه إلى الخلف كاشفًا عن جبين صافٍ وجميل.

وقف هناك مستغرقًا في التفكير بأمه، وبالغرف في هذا المكان الذي تقاسموه معًا.. هل ستشعل ضوءًا هناك في الأعلى؟ مال إلى الاعتقاد بأنها ستفعل.

استدار جاك، وعيناه تتلألأان بجنون في ضوء التعويذة.\\

6

تلمست ليلي خطواتها على طول الجدار بيدٍ مرتجفة، هيكلية، باحثة عن مفتاح الضوء.. حتى وجدت المفتاح وأشعلته.. أي شخص شاهدها عليها في تلك اللحظة لعلى الأرجح أدار وجهه بعيداً.. خلال الأسبوع الماضي أو نحو ذلك، بدأ السرطان يتفشى داخلها كما لو أنه يشعر بأن شيئاً ما على الطريق قد يفسد متعته بالكامل.

تزن ليلي كافانو الآن ثمانية وسبعين رطلاً، جلدها شاحب، مشدود فوق جمجمتها كورقة جلدية بالغة الرقة، وتحولت الدوائر البنية تحت عينيها إلى اللون السقم الأسود المميت؛ وتحدق عيناها من محجريهما بذكاء محموم ومرهق، اختفى صدرها، وذاب اللحم من على ذراعيها وأردافها وتفتحت تقرحات الفراش من خلف فخذيها.

ولم يكن هذا كل شيء.. ففي غضون الأسبوع الماضي، أصيبت بالتهاب رئوي.

وفي حالتها المنهكة، كانت بالطبع مرشحة ممتازة لأي مرض تنفسي من الممكن أن يأتي حتى في أفضل الظروف... وهذه لم تكن من تلك الظروف بالتأكيد...

توقفت مولدات الطاقة في قصر الحمراء منذ وقت طويل عن إصدار صوتها الليلي المسموع ولم تعرف المدة بالضبط... فالزمن أصبح ضبابياً وغير محدد بالنسبة لها كما كان بالنسبة

لجاك في الكاديلاك.. كل ما عرفته هو أن التدفئة توقفت في الليلة نفسها التي ضربت فيها نافذتها بقبضتها، مما جعل النورس الذي بدا مثل سلوات يطير بعيداً.

منذ تلك الليلة، أصبح قصر الحمراء صندوقاً بارداً مهجوراً، قبرًا ستلقى فيه حتفها قريباً.

إذا كان سلوات مسؤولاً عما حدث في قصر الحمراء، فقد قام بعمل رائع بحق.. اختفى الجميع.. الجميع.. فلا خادمات تتجول بعرباتها التي تصر في الممرات، ولا عامل صيانة يصفر، ولا كاتب مكتب بلسانٍ متلعثم، لقد وضعهم جميعاً في جيبه وأخذهم بعيداً.

قبل أربعة أيام حين لم تتمكن من العثور على ما يكفي في الغرفة لتلبية شهيتها العصفورية نهضت من سريرها وسارت ببطء على طول الممر نحو المصعد، أحضرت معها كرسيًا في هذه الرحلة، جلست عليه بالتناوب، ورأسها يتهدل من التعب، واستخدمته كعكاز... استغرق الأمر منها أربعين دقيقة لتقطع أربعين قدماً من الممر إلى فتحة المصعد.

ضغطت زر المصعد مراراً، لكنه لم يأتِ، لم تضيء الأزرار حتى.

تمتمت بصوت أجش «تباً!»، ثم أحرزت لنفسها عشرين قدماً أخرى نحو الدرج.

«هااي!» صرخت إلى الأسفل، ثم انهمرت في نوبة من

السعال، وهي منحنية على ظهر الكرسي.

ربما لم يسمعوا صراخها، رغم تأكدها من أنهم لا بد وأنهم سمعوا سعالها وهو يمزق ما بقى من رئتيها.

ولكن لم يأتِ أحد.

صرخت مرة أخرى، مرتين، واتتها نوبة سعال أخرى، ثم عادت لتسير في الممر، الذي بدا طويلاً كامتداد طريق نيبراسكا في يوم صافٍ، لم تجرؤ على النزول عبر تلك الدرجات. لم تكن لتصعدها مجدداً، ولم يكن هناك أحد هناك؛ لا في الردهة، ولا في مطعم سرج الحمل، ولا في المقهى، ولا في أي مكان... والهواتف خارج الخدمة! على الأقل، الهاتف في غرفتها كان خارج الخدمة، ولم تسمع رنينًا واحدًا في أي مكان آخر في هذا الصرح القديم.. لم يكن يستحق المخاطرة.. كانت لعبة سيئة.. لم ترغب أن تتجمد حتى الموت في الردهة.

تمتمت.. «جاكي، أين أنت بحق الجحيم...»

ثم بدأت بالسعال مرة أخرى، وهذه المرة كان شديدًا، وفي المنتصف انهارت إلى جانب واحد مغشياً عليها، سحبت الكرسي القبيح فوقها، واستلقت على الأرض الباردة لحوالي ساعة تقريباً، ومن المحتمل أن التهاب الرئة قد انتقل في تلك اللحظة إلى جسد ليلي كافانو المتدهور بسرعة.

بطريقة ما... عادت إلى غرفتها، ومنذ ذلك الحين ظلت في

دوامة متزايدة من الحمى، تستمع إلى تنفسها الذي يعلو ويعلو حتى بدأ عقلها المحموم يتخيل رئتيها كحوضين عضويين تغوص فيهما سلاسل مغمورة تطرق، ومع ذلك تمسكت بالحياة... تمسكت لأن جزءًا من عقلها أصر، بجنون، ويأس متزايد، على أن جاك في طريقه للعودة من حيثما كان.

7

بدأت غيبوبتها الأخيرة كحفرة صغيرة في الرمال... حفرة دارت شيئًا فشيئًا كدوامة حتى أصبح صوت السلاسل الغارقة في صدرها زفرة طويلة وجافة...»هاااااااه...».

ثم حدث شيء ما أيقظها من تلك الدوامة المتسعة، وجعلها تتلمس الجدار في الظلام البارد بحثًا عن مفتاح النور..

نهضت من السرير، لم تكن تملك القوة الكافية لفعل ذلك؛ كان الطبيب ليسخر من مجرد التفكير في الأمر.. ومع ذلك، فعلت، سقطت مرتين على الأرض، ثم تمكنت أخيرًا من الوقوف على قدميها، بشفتين مشدودة في عبوس إثر الجهد.. تلمست الكرسي، وجدته، وبدأت تتعثر عبر الغرفة نحو النافذة.

ليلي كافانو، ملكة أفلام الدرجة الثانية، اختفت.

إنها تلك الرهبة التي تحركها، بعدما ابتلعها السرطان، واحرقتها الحمى المتصاعدة.

وصلت إلى النافذة ونظرت إلى الخارج.

«جاك!» حاولت الصراخ.. لم يخرج شيء سوى همس خشِن.. رفعت يدها، حاولت التلويح، شعرت بالدوار

(هاااااااه...)

يغمرها... تمسكت بحافة النافذة..

«جاك!»

فجأة، سطعت الكرة بين يدي الشكل الظاهر أمامها، كاشفة وجهه، وكان وجه جاك، إنه جاك، يا إلهي، إنه جاك بالفعل.. لقد عاد جاك إلى المنزل.

اندفع الشكل ركضًا.

«جاك!»

تلك العيون الغارقة، المحتضرة، أضحت أكثر إشراقًا.. انهمرت الدموع على وجنتيها الصفراء المترهلة.

8

«أمي!»

ركض جاك عبر الردهة، وهو يرى لوحة الهاتف القديمة محترقة وملتوية، كما لو أصابها حريق كهربائي، لكنه تجاهل ذلك على الفور. لقد رآها، وبدت فظيعة... بدا الأمر وكأنه ينظر إلى ظلّ فزاعة معلقة على النافذة.

«أمي!»

صعد الدرج مسرعًا، أحيانًا بخطوتين وأحيانًا بثلاث، بينما التعويذة تتلعثم بومضة واحدة من الضوء الوردي المحمر ثم تخبو في يده.

«أمي!»

عبر الممر نحو غرفتهما، قدماه كأنهما تطيران، وأخيرًا سمع صوتها... ليس صيحة نحاسية أو ضحكة خفيفة من الحلق، بل إنه ذاك الصراخ المليء بالغبار لكائن على حافة الموت.

«جاكي؟»

«أمي!»

اندفع لداخل الغرفة.

9

في السيارة أدناه، حدق ريتشارد سلوت العصبي إلى الأعلى من خلال نافذته المظللة.

ماذا يفعل هنا؟ وماذا يفعل جاك هنا؟ كانت عينا ريتشارد تؤلمه.. جاهد نفسه لينظر إلى النوافذ العليا في مساء غائم ومظلم.. وبينما انحنى جانبًا وحدق إلى الأعلى، اندلع وميض أبيض ساحق من عدة نوافذ في الطابق العلوي، مرسلاً لحظة ضوئية، كأنها ستارة متألقة، غطت واجهة الفندق بأكملها.. وضع ريتشارد رأسه بين ركبتيه متألمًا.

10

كانت على الأرض تحت النافذة... رآها هناك أخيرًا، السرير المبعثر، الذي بدا وكأنه مغطى بالغبار بطريقة ما، كان فارغًا، وغرفة النوم بأكملها، المبعثرة كما لو إنها غرفة طفل، بدت فارغة... تجمدت معدة جاك واحتبست الكلمات في حلقه... ثم أطلقت التعويذة وميضها الهائل مرة أخرى، محولة كل شيء في الغرفة للحظة إلى أبيض نقي عديم اللون، غردت بصوت خشن.. «جاكي؟»، وصاح هو.. «أمي!»، وهو يراها مطوية كغلاف حلوى فارغ تحت النافذة...

نحيفة ومرهقة، وشعرها ممتد على سجادة الغرفة القذرة، بدت يداها كأنها مخالب صغيرة حيوانية، شاحبتان ومتخشبتان. «يا إلهي، أمي، يا للعجب، يا يا إلهي»، تمتم، وبطريقة ما تحرك عبر الغرفة دون أن يخطو خطوة، لقد طاف، سبح عبر غرفة ليلي المزدحمة والمجمدة في لحظة بدت له حادة كصورة على صفيحة تصوير فوتوغرافي، شعرها تجمع على السجادة القذرة، ويديها الصغيرتان متشابكتان ومعقودتان.

استنشق رائحة المرض الثقيلة، ورائحة الموت الداني... لم يكن جاك طبيبًا، وقد جهل بمعظم ما كان خطأً في جسد ليلي، لكنه عرف شيئًا واحدًا... إن أمه تموت، حياتها تتسرب من خلال شقوق غير مرئية، ولم يتبق لها سوى وقت قليل.. لقد نطقت اسمه مرتين، وهذا تقريبًا كل ما سمحت به الحياة

المتبقية بداخلها، وقد بدأ بالفعل في البكاء، فوضع يده على رأسها الغائب عن الوعي، ووضع التعويذة على الأرض بجانبها.

شعرها كان ممتلئًا بالرمل ورأسها يحترق.. «أمي، أمي»، قال، ورفع يديه تحتها، لم يتمكن بعد من رؤية وجهها، من خلال ثوب نومها الرقيق، شعر بوركها حار كموقد، وعلى كفه الآخر، كان لوح كتفها الأيسر ينبض بحرارة مماثلة... لم تكن لديها وسادات لحم مريحة فوق عظامها، للحظة مجنونة من الزمن المتوقف، بدا كما لو أنها طفلة صغيرة قذرة، مريضة ووحيدة بطريقة ما.. سالت الدموع فجأة من عينيه بلا إرادة، رفعها، وكان الأمر كأنه يرفع حزمة من الملابس... تأوه جاك، تدلى ذراعا ليلي بلا حراك، بلا رشاقة.

(ريتشارد)

لقد شعر بريتشارد... لم يكن بالسوء الذي شعر به الآن، حتى عندما شعر ريتشارد كقشّة جافة على ظهره، نازلاً التل الأخير إلى «بوينت فينوتي» المسموم، لم يتبق من ريتشارد في تلك اللحظة سوى حب الشباب والطفح الجلدي، كان أيضًا يحترق بالحمى، لكن جاك أدرك برعب وبلا تفكير أن ريتشارد قد امتلك حياة فعلية، ومادة أكثر، مما تمتلكه أمه الآن. ومع ذلك، لقد نادت اسمه.

(وريتشارد كان على وشك الموت)

لقد نادت اسمه.. تمسك جاك بذلك.. لقد وصلت إلى النافذة.. لقد نادت اسمه.. كان من المستحيل، واللا معقول، وغير الأخلاقي تخيل أنها قد تموت.. تدلى إحدى ذراعيها أمامه كعود قصب هين على وشك الانكسار... وسقط خاتم زفافها من إصبعها.

بكى بلا توقف، بلا وعي... «حسنًا، أمي»، قال، «حسنًا، أنت بخير الآن، حسنًا، كل شيء على ما يرام.»

من الجسد المترهل بين ذراعيه جاء اهتزاز قد يكون موافقة.

وضعها برفق على السرير، فاستدارت بلا وزن إلى جانبها، وضع جاك ركبة على السرير وانحنى فوقها، سقط شعرها المتعب بعيدًا عن وجهها.

11

مرة، في بداية رحلته، رأى أمه للحظة مخزية كأنها امرأة مسنة.. امرأة مستهلكة، منهكة، في محل شاي، وما إن تعرف عليها، حتى تلاشى الوهم، وعادت ليلي كافانو سوير إلى ذاتها التي لا تشيخ.

فالليلي كافانو الحقيقية لا يمكن أن تكبر أبدًا... كانت دائمًا شقراء، بابتسامة حادة كسكين صغير، ووجهها يحمل عبئًا ممتعًا وتحديًا للعالم، هذه ليلي كافانو التي صورها الإعلان على اللوحة الإعلانية، والتي قوّت قلب ابنها.

أما المرأة على السرير، فلم تشبه إلى حد كبير الممثلة على اللوحة الإعلانية، دموع جاك اعمته لفترة وجيزة. «أوه، لا لا لا»، تمتم، ووضع كفه على وجنتها الصفراء.

لم تبدُ وكأن لديها القوة لرفع يدها.. أخذ يدها المشوهة الجافة والباهتة في يده. «رجاءً، رجاءً، رجاءً، لا...» لم يستطع حتى أن يسمح لنفسه بقول الكلمة كاملة.

ثم أدرك كم بذلت هذه المرأة المنكمشة جهدًا.. لقد كانت تبحث عنه، فهم ذلك في موجة سريعة من الإدراك الصادم.. كانت أمه تعرف أنه قادم.. لقد وثقت بأنه سيعود، وبطريقة مرتبطة على ما يبدو بوجود التعويذة نفسها، فقد علمت لحظة عودته.

«أنا هنا، أمي»، همس، اندفعت كتلة سائلة من أنفه،

ومسحها بلا اكتراث بكم معطفه.

أدرك لأول مرة أن جسده كله يرتجف.

«لقد أعدتها»، قال، شعر بلحظة فخر مشعة مطلقة، بالإنجاز الخالص.. «لقد أعدت التعويذة نفسها»، قال.

وضع يدها الصغيرة الشبيهة بالجوز برفق على غطاء السرير.

إلى جانب الكرسي، حيث وضعها (برفق أيضًا) على الأرض، واصلت التعويذة توهجها، لكن ضوءها كان خافتًا، مترددًا، غائمًا.

لقد شفيَ ريتشارد بمجرد أن مرر الكرة على طول جسد صديقه؛ وفعل الشيء نفسه مع سبيدي، لكن هذا كان شيئًا آخر.. علم ذلك، لكنه لم يعرف ما سيكون «هذا»... إلا إذا تعلق السؤال بالادراك وعدم الرغبة في التصديق.

لم يكن من الممكن أن تكسر التعويذة، حتى ينقذ حياة والدته... هذا ما كان علمه جيدًا.

الآن، امتلأ داخل التعويذة تدريجيًا ببياض غائم، تلاشت النبضات لتصبح ضوءًا ثابتًا واحدًا، وضع جاك يديه عليها، فانطلق من التعويذة جدار ضوئي أعمى، قوس قزح! بدا كما لو أنها تكاد تتحدث.. أخيرًا!

عاد جاك إلى الغرفة نحو السرير، والتعويذة تقفز وتنثر الضوء من الأرض إلى الجدار إلى السقف، مضيئة السرير

بومضات متقطعة، صارخة.

ما إن وقف بجانب سرير والدته، حتى شعر جاك بأن ملمس التعويذة يتغير بين أصابعه، صار صلابة زجاجها أقل انزلاقًا، أكثر مسامية، بدت أطراف أصابعه وكأنها تغوص في التعويذة، البياض المتصاعد داخله يغلي ويظلم.

وفي تلك اللحظة، شعر جاك بشعور قوي... بل عاطفي... كان يظن أنه مستحيل، في ذلك اليوم البعيد عندما انطلق لأول مرة إلى الأراضي.

كان يعلم أن التعويذة، موضوع كل تلك الصراعات الدموية والمتاعب، ستتغير بطريقة غير متوقعة. ستتغير إلى الأبد، وأنه سيفقدها.. لن تكون التعويذة ملكه بعد الآن.

تبلد جلده الشفاف أيضًا، ولان سطحها المنحوت الجميل، أصبح ملمسه الآن ليس زجاجيًا بل بل بلاستيكيًا دافئ.

وضع جاك التعويذة المتغيرة بسرعة ف يدي والدته، كانت تعرف مهمتها؛ لقد خُلقت لهذه اللحظة؛ في حداد خرافي ما، صُوِّرت لتجاوب مع متطلبات هذه اللحظة تحديدًا لا غيرها.

لم يكن يعرف ماذا يتوقع أن يحدث... انفجار من الضوء؟ رائحة دواء؟ الانفجار العظيم للخلق؟

لم يحدث شيء! استمرت والدته تموت مرئية بلا حركة.

«أوه، رجاءً»، تفوه جاك، «رجاءً... أمي... رجاءً....»

تجمدت أنفاسه وسط صدره، انفتح شق، كان في الأصل أحد الأخاديد العمودية في التعويذة، بصمت بدأ الضوء يتدفق ببطء ويتجمع على يدي والدته، ومن الداخل الغائم للكرة المتسربة، تدفق مزيد من الضوء عبر الشق المفتوح.

ومن الخارج غردت الطيور فجأة بترنيمة موسيقية احتفالاً بوجودها.

12

لكن جاك كان واعيًا لذلك فقط بشكل مشتت.. انحنى إلى الأمام وهو يلهث، يراقب التعويذة وهي تصب نفسها على سرير والدته، بريق غائم يتصاعد داخلها... الأخاديد وشرارات الضوء أحيَتها، ارتجفت عينا والدته...»أوه أمي»، همس.. «أوه...»

تدفق ضوء رمادي ذهبي من الفتحة في التعويذة وارتفع ضبابيًا على ذراعي والدته، وعبس وجهها الشاحب المتجعد قليلًا.

شهق جاك بلا وعي..

(ماذا؟)

(موسيقى؟)

انساب الغيم الرمادي الذهبي من قلب التعويذة على جسد والدته، غلفها بغشاء شفاف لكنه شبه معتم، تحرك برقة.

راقب جاك هذا النسيج السائل وهو ينزلق على صدر ليلي المسكين، نزولًا على ساقيها النحيلتين، من الشق المفتوح في التعويذة انبعثت رائحة رائعة مع الغيم الرمادي الذهبي، شذى حلو ومُر في آن، شذى زهور وتراب، عالي الجودة، مختمر؛ رائحة ولادة، فكر جاك، رغم أنه لم يشهد ولادة فعلية قط... استنشقها إلى رئتيه، وفي خضم دهشته، انتابته فكرة أنه هو

نفسه، جاكي سوير، يُولد في هذه اللحظة... ثم تخيل، بصدمة دقيقة بالكاد، أن الفتحة في التعويذة تشبه مهبلًا!

(بالطبع لم يرَ جاك مهبلًا قط، وعرف عنه أبسط المعلومات.)

نظر جاك مباشرة إلى الفتحة في التعويذة المتسعة والمترهلة.

وأدرك لأول مرة الضجيج الرهيب حوله، الممزوج بطريقة ما بالموسيقى الخافتة للطيور خارج النوافذ المظلمة.

(موسيقى؟ ماذا...؟)

كرة صغيرة ملونة مليئة بالضوء مرت أمام عينيه، ومضت للحظة في الفتحة المفتوحة، ثم استمرت تحت سطح التعويذة الغائم وهي تغوص في الداخل الغازي المتحرك.

رمش جاك.. كانت تشبه... تبعتها أخرى، وهذه المرة كان لديه الوقت لرؤية الحدود بين الأزرق والبني والأخضر على الكرة الصغيرة، والسواحل والجزر الصغيرة والجبال المتناثرة، على ذلك العالم الصغير، خطر له أن جاك سوير مشلول يقف محدقًا إلى نقطة صغيرة ملونة، وعلى تلك النقطة يقف جاكي بحجم ذرة غبار يحدق في عالم صغير بحجم ذرة! عالم آخر تبع العالمين الأولين، يدور داخل الغيمة المتسعة داخل التعويذة وخارجها.

حركت والدته يدها اليمنى وتأوهت.

بدأ جاك بالبكاء بصراحة.. ستعيش.. أدرك ذلك الآن...

كل شيء قد نجح كما قال سبيدي، وكانت التعويذة تجبر الحياة على العودة إلى جسد والدته المنهك والمريض، تقضي على الشر الذي يقتلها.

انحنى إلى الأمام، للحظة كاد أن يستسلم لصورة نفسه وهو يقبل التعويذة التي ملأت ذهنه، رائحة الياسمين والكركديه والأرض الطازجة المقلوبة ملأت أنفه...

انزلقت دمعة من طرف أنفه وتلألأت كالجوهرة في أشعة الضوء المنبعثة من التعويذة، رأى حزامًا من النجوم يمر عبر الشق المفتوح، وشمسًا صفراء تسبح في الفضاء الأسود الشاسع، بدا أن الموسيقى تملأ التعويذة، الغرفة، والعالم بأسره خارجها.

ظهر وجه امرأة، وجه غريب، عبر الفتحة المفتوحة، ثم وجوه أطفال، ثم وجوه نساء أخريات...

انهمرت الدموع على وجهه، فقد رأى في التعويذة وجه والدته نفسه، بملامحها الواثقة، الساخرة، الحانية... ملكة نصف مائة فيلم سريع الحركة. عندما رأى وجهه يطفو بين كل العوالم والحيوات التي تولد داخل التعويذة، شعر وكأنه سينفجر من هول المشاعر...

تمدد، استنشق الضوء... وأدرك أخيرًا دهشة الأصوات التي تدور حوله عندما رأى عيني والدته مفتوحتين على الأقل لثانيتين مباركتين...

(فكما الطيور الحية، كما العوالم الحية المحتواة في التعويذة، جاءت إليه أصوات الترومبون والبوق، صرخات الساكسوفون، أصوات الضفادع والسلاحف والحمام الرمادي يغني؛ وأصوات من يعرفون سحره تملأ الأرض بالدخان؛ وأصوات الذئاب تصنع موسيقى الذئاب مناجية القمر، ارتطمت المياه بمقدمة سفينة، وصفعت سمكة سطح بحيرة بجانبها، وشق قوس قزح الأرض، وبصق فتى مسافر قطرة من اللعاب ليشير له بالطريق، وتحسس طفل رضيع وجهه وفتح حلقه؛ وجاء الصوت الهائل لأوركسترا تغني بكل قلبها العظيم؛ وامتلأت الغرفة بأثر دخان صوت واحد يرتفع ويرتفع...)

فتحت ليلي عينيها على مصراعيهما، نظرت إلى وجه جاك بتعجب «أين أنا؟»

كان تعبير طفل حديث الولادة وقد قُذف إلى العالم للتو.. ثم أخذت نفسًا مفاجئً اهتز على أثره جسدها

وأنهرت تيارات من العوالم والمجرات المائلة والكون كله من التعويذة وهي تفعل، تم سحبها في سيل من ألوان قوس قزح، تتدفق إلى فمها وأنفها... واستقرت، متألقة، على بشرتها الشاحبة كقطرات الندى، واندمجت إلى الداخل، للحظة، عادت والدته لكامل تألقها... للحظة، صارت والدته هي التعويذة نفسها.

هرب كل المرض من وجهها، لم يحدث ذلك كما في تسلسل

الفيلم السريع بل حدث كل شيء مرة واحدة، على الفورا كانت مريضة... ثم أصبحت سليمة...

ازدهر وجنتيها بلونهما الوردي الصحي، شعرها الخفيف والمتفرق أصبح فجأة كثيفًا وناعمًا وغنيًا، بلون العسل الداكن.

حدق جاك فيها وهي تنظر إلى وجهه...»أوه... أوه... يا إلهي...» همست ليلي.

كان توهج قوس قزح يتلاشى الآن، لكن الصحة بقيت.

«أمي؟» انحنى إلى الأمام، شيء ما انضغط تحت أصابعه كرقائق سيلوفان... كانت القشرة الهشة للتعويذة.

وضعها جانبًا على الطاولة بجانب السرير، أزاح بعض زجاجات دوائها للقيام بذلك، تحطمت بعض الزجاجات على الأرض، ولم يكن للأمر أهمية... لم تعد بحاجة إلى الأدوية... وضع القشر بحذر، مدركًا... لا، بل عالمًا... أن حتى هذا سيتلاشى قريبًا جدًا.

ابتسمت والدته.. ابتسامة جميلة، مكتملة، ومتفاجئة قليلًا...»مرحبًا، أيها عالم، ها أنا عدت! ماذا تعرف عن ذلك؟ جاك، لقد عدت إلى المنزل»، قالت أخيرًا، وفركت عينيها وكأنها تتأكد أنه ليس سرابًا...

«بالطبع»، قال، حاول أن يبتسم.. كانت ابتسامة جيدة رغم الدموع التي انهمرت على وجهه. «بالطبع، بلا شك.»

«أشعر... بتحسن كبير، جاكي»

«حقًا؟» ابتسم، وفرك عينيه المبللتين براحتيه. «هذا جيد، أمي.»

تألقت عيناها.

«عانقني، يا جاكي.»

في غرفة بالطابق الرابع من فندق منتجع مهجور على الساحل الصغير لنيو هامبشاير، انحنى فتى يبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا اسمه جاك سوير، أغمض عينيه، واحتضن والدته بإحكام مبتسمًا، أدرك أن حياته العادية من المدرسة والأصدقاء والألعاب والموسيقى... الحياة حيث المدارس موجودة وأغطية السرير نظيفة للانزلاق بينهما ليلاً، الحياة العادية لفتى في الثالثة عشرة من عمره (إذا ما يمكن اعتبار حياة مثل هذه عادية في ظل اطوارها وفوضاها)

قد عادت إليه.. التعويذة قد فعلت ذلك من أجله أيضًا.. وعندما تذكر أن ينظر إليها، كانت قد اختفت.

الخاتمة

في غرفة بيضاء واسعة، مليئة بالنساء القلقات، فتحت لورا دي لوسيان، ملكة الأراضي، عينيها.

النتيجة

وهكذا تنتهي هذه الحكاية، ولأنها تاريخ صبي فقط، فلا بد أن تتوقف هنا؛ فالقصة لا يمكن أن تستمر كثيرًا دون أن تتحول إلى تاريخ رجل، عندما يكتب المرء رواية عن أشخاص بالغين، يعرف تمامًا أين يتوقف... أي عند الزواج؛ أما عندما يكتب عن صغار، فعليه أن يتوقف حيث يستطيع بأفضل ما يمكن.

معظم الشخصيات التي ظهرت في هذا الكتاب ما زالت حية، ومزدهرة، وسعيدة، وربما يأتي يوم يُستحق فيه استئناف القصة لمعرفة ما أصبحوا عليه؛ لذلك، سيكون من الحكمة ألّا يكشف أي جزء من حياتهم في الوقت الحاضر.

مارك توين، توم سوير

ـ تمت ـ

ترجمة منى عبد اللطيف

3 ديسمبر 2025م

(1) مخلوق أسطوري له جسد أسد ورأس وجناح إنسان

(2) سلسلة مطاعم أمريكية للوجبات السريعة

(3) مخلوقات من الأساطير الإغريقية نصفها انسان ونصفها الآخر ماعز وهم كائنات شريرة وبرية محبين للمرح والسرور والملذات

(4) لقب متخيل داخل الرواية أطلقته قوى الظلام الساكنة في الفندق الأسود على من يحاولوا الحصول على التعويذه.

(5) المستنقعات أو الأراضي الرطبة التي يغطيها الماء جزئيًا.

(6) بوابة حديدية تُرفع وتُخفض عموديًا بالسلاسل والبكرات.

(7) اسم علامة تجارية لقهوة أمريكية شهيرة.

(8) صحفي وكاتب أمريكي معروف برحلاته لأفريقيا وصيده للحيوانات.

(9) التاكيونات هي جسيمات افتراضية في الفيزياء النظرية لها خصائص غريبة مقارنة بالجسيمات العادية، حيث تتحرك أسرع من الضوء مما يجعلها غير خاضعة للقياس أو الرصد بالطرق التقليدية، لها كتلة تخيلية مربعها سالب، تتحرك عكس اتجاه الزمن أو تؤثر على المستقبل قبل الآن، وهي فرضية نظرية ولا يوجد دليلي تجريبي على وجودها.

(10) مصطلح تاريخي تم استخدامه في أواخر القرن التاسع عشر في نيويورك للإشارة إلى أثرى العائلات وأكثرهم نفوذًا في المدينة.

(11) نسبة إلى النار الرمزية التي ظهرت مع حلول الروح القدس على الرسل كما ورد في سفر الأعمال.

(12) فرقة موسيقية أمريكية مشهورة تعزف موسيقى الروك

(13) اختصار لاسم فرقة الروك الأمريكية الشهيرة

(14) هو فيلم كوميدي درامي أمريكي صدر عام 1979 يندرج تحت فئة الانتقال إلى مرحلة النضج أو دراما الشباب. يتميز الفيلم بمزج بين عناصر الرياضة (سباقات الدراجات)، والكوميديا، والرومانسية، بينما يركز على أربعة أصدقاء من الطبقة العاملة في بلومنجتون، إنديانا، بعد تخرجهم من المدرسة الثانوية.

(15) كتاب من تأليف العالم الأمريكي كارل ساغان ويستند الكتاب على دراسة عالم التشريح الفرنسي بول بروكا والذي اكتشف منطقة الدماغ المسؤولة عن الكلام وأطلق عليها فيما بعد منطقة بروكا.